
رواية
قيد الإخفاء
مصطفى النجار
تشكيل للنشر والتوزيع

قيد الإخفاء

رواية

مصطفى النجار



Email publish@tashkeel- publishing.com
Website www.tashkeel-publishing.com
Mobile 201006250473 FB/Tashkeeel

I.S.B.N : 978-977-6555-91-4

رقــم الإيـــداع : 2248/ 2019

تصميم الغـلاف : أحمد فرج

المراجعة اللغوية : أميرة أسامة

الإخراج الفنـــي : ضياء فريد

المـديـــر العــام : سيد شعبان

إهداء

⁝ «إلى الذين يدركون الفارق بين الواقع والخيال ⁝

تنويه

جميع الشخصيات والأحداث الواردة في الرواية هي من خيال المؤلف – سامحه الله – وأي تشابهٍ بينها وبين الواقع هو من قبيل المصادفة غير المقصودة!



ظلام داخل الشقة وخارجها في ليلةٍ غاب عن سمائها ضوء البدر، لا صوت يعلو خارج الشقة سوى صوت نباح الكلاب الضالة كلما أثارها صوت انفجار قذيفة جديدة، كفكفت ريم دموعها وحاولت التماسك وهي تحمل ذلك الطبق البلاستيكي الذي يحتوي على مياهٍ أثلجها برد الشتاءِ القارس وكأنها ممثلة بارعة متمكنة من أدواتها، بدلت وجهها العابث الباكي وألقت بهمومها وراء ظهرها وارتدت فوق حزنها وجهًا باسمًا مستبشرًا بمستقبلٍ أفضل وهي تدخل الغرفة الصغيرة؛ حيث تمددت ابنتها ديمة على الفراش سقيمة من أثر الحمى.

- ألم يأتِ أبي حتى الآن؟

- دودو، أنتِ تعرفين ضغوط العمل على أبيكِ.

جلست إلى جوارها على الفراش الصغير وبللت خرقة بالية ـ كان يرتديها زوجها قبل أن تَبلى وتتحول لمصفاةٍ من القماش من كثرة الثقوب ـ في طبقِ الماء ثم عصرتها قبل أن تضعها على جبين ابنتها أملًا في خفض حرارتها الآخذة في الارتفاع.

ـ أنا خائفة.

ـ خائفةٌ وأنا جوارك؟

قالتها الأم وهي تحتضن ابنتها، قدرتها على التمثيل فشلت في السيطرة على تلك الدمعة الدافئة رغم برودة الشتاء التي تفلتت من عينيها، كانت تسب زوجها حبيبها في سرها على تركها وحدها في تلك الليلة، كان مقدرٌ له أن يعود قبيل المغرب كعادته، ولكن يبدو أن القصف كان مكثفًا هذا العصر وعطَّل الطرق الرئيسية؛ فحال دون عودتهِ من العاصمة حيث عمله.

«**متى ينتهي هذا الجحيم؟!**»

أَسرَّتها في نفسها كي لا تضاعف من خوف ابنتها ديمة، العالم لم يعد آمنًا كما كان من قبل، سنواتٌ عجاف مرت افتقدت خلالها حياتها الآمنة المستقرة، اعتادت الاعتماد على ضوء الشموع مساءً بل وإطفائها وقت انطلاق صافرات الإنذار منذرة بقصفٍ قادم، تنظر إلى زجاجِ النوافذ المطلي بالأزرق فيتضاعف رعبها وهي وحدها مع صغيرتِها ذات التسعة أعوام.

ـ هل أقرأ عليكِ رواية جديدة هذه الليلة يا ديمة؟

ـ حقًا؟؟

قالتها الطفلة مبتهجة، لا يمكنها رفض هذا العرض من أمها لُتذكِّرها بسنواتٍ مضت.

نهضت ريم وأضاءت شمعة أخرى كي تساعدها على القراءة وتناولت الرواية من جوار التليفزيون الذي أصبح منذ سنواتٍ قطعة أنيقة من الخردة تُزين المكتبة الخشبية في منتصف الصالة.

ـ ما اسمها يا ريم؟

ـ أمك وتناديها بريم؟

ـ لأني أحبك.

قالتها الطفلة في سعادةٍ واحتضنت ذراع أمها؛ فتبسمت الأم رغمًا عن همومها، ثم قالت:

ـ اسمها «**قيد الإخفاء**» يا دودو.

ـ «**قيد الإخفاء**»!.. وماذا تعني هذه الكلمة؟

تمكنت الذكريات الحزينة من رسم الحزن على وجهها قائلة:

ـ لو كان هناك مدرسة لكنتِ عرفتيها بمفردك، لنقرأ لنعرف سويًا يا قلبي.

نكست الأم رأسها أرضًا لبرهةٍ كي لا تُعكر الدمعة التي انسلت من عينها صفو ابتسامتها، ثم بدأت تقص على مسامعها أحداث الرواية التي وقعت أحداثها في سنواتٍ ماضية.



1

اطمأنت سندس الليثي إلى نومِ صغيرها ذي العامين في فراشها وقت قيلولتهِ لتنعم هي بقليلٍ من الهدوءِ قبل استيقاظه ليتسلَّى بنشرِ الهرج والمرج في أرجاءٍ الشقة، ألقت نظرة إحباطٍ على ألعابه وقطع الملابس وأدوات المطبخ التي بعثرها في أرجاء الشقة، وقفت مليًا لتفكر: هل يستحق الأمر أن تبذل جهدًا في ترتيب كل شيءٍ وإعادته إلى موضعهِ أم لا؟

ثم ما لبثت أن تذكرت أن تعبها وعنائها في فعل ذلك سيذهب هباءً منثورا مع استيقاظ هذا الصغير بكاملِ طاقته، إعصارًا مدمرًا كان ياسين، لا يستطيع أحدٌ السيطرة عليه، هي تؤمن في داخلها أن ذلك الصغير يمتلك بطارية خفية في جسده؛ عندما ينفذ شحنها يسقط الطفل فجأة نائمًا في موضعهِ بلا مقدمات ويستيقظ فقط بعدما يكتمل شحن هذه البطارية!اتخذت قرارها بالتراجع عن بذل ذلك المجهود الذي لا طائل منه في ترتيب الشقة، لن ترضى

لنفسها أن تكون حمقاء «**كسيزيف اليوناني**» فتُهدِر ما بقِيَ لها من قليلِ الطاقة بلا جدوى، لا بطارية لديها في جسدها كصغيرها ولا وقتَ لديها للنوم لشحنها إن وجدت!

نظرت إلى ساعة الحائط لتُدرك أنه لم يتبقَ لديها سوى عشرة دقائق على الموعد الذي أرسله لها زوجها ليتحدثا سويًا.

كان القلق قد أسدل ستائره السوداء على قلبها بسبب التغيرات غير المبررة التي طرأت على زوجها شريف النجار في الفترةِ الأخيرة، لا يرجع الأمر لغيرةٍ أنثوية تقليدية فلم تكن سندس الليثي لتشك في زوجها وإخلاصه لها لثانيةٍ واحدة، وإنما قلقها كان منبعه تبدل طباع الزوج في الفترةِ الأخيرة، توتره الدائم حل محل هدوءه المعتاد، مكوثه لساعاتٍ طويلة خارج البيت قبل سفرها وصغيرها بحجةِ الانشغال في العمل، لم يكن شيئًا معتادًا وإنما استُحدِثَ في الأسابيع القليلة التي سبقت سفرهما، ذلك السواد الذي ظلل أسفل عينيهِ من قلة النوم لم يكن موجودًا منذ سنةٍ مضت، إصراره على مكوثها وصغيرها في مصر لبضعةِ أشهر بمفردهما أقلقها إذ لم يقنعها مبرره الواهي برغبتهِ في التركيز في عملهِ بشكلٍ أكبر، صدمها انفعاله عليها حين جادلت، وصدعت لأمرهِ حين بكى معتذرًا بعدها متعللًا أن ضغوط عمله تجعله غير مستقرٍ نفسيًا وأن الأفضل أن تبتعد هي وصغيرها لفترةٍ مؤقتة.

حاولت حينها أن تتخلَّ عن طبائعها كزوجةٍ مصرية عنيدة، وقررت المحافظة على ما اكتسبته خلال غربتها القصيرة من اتساع

الصدر لتقلباتِ مزاج زوجها وسافرت بقلقها وصغيرها ياسين ذو العامين عائدين إلى مصر.

جلست أمام حاسوبها الشخصي صامتة تتصارع الظنون بعنفٍ بالغ في عقلها منتظرة أن ينتهي العد التنازلي على ذلك الموقع الإلكتروني المخصص للمحادثات بالصوتِ والصورة والذي يُصِّر شريف النجار زوجها على حديثهما فقط من خلاله، موقع باللغةِ الكورية لا تفهم هي من محتواه حرفًا، فقط تنسخ الرابط الذي يُرسله إليها في شريطِ العنوان وتنتظر انتهاء العد التنازلي حتى موعد المحادثة، يرفض شريف النجار الحديث في الفترةِ الأخيرة عبر التطبيقات الإلكترونية المعتادة متعللًا برغبتهِ في الحفاظ على خصوصية حوارهما الذي عادةً ما يكون حميميًا، راغبًا في البقاءِ بمأمنٍ عن الشائعات التي تتقول بأن الاتصالات السلكية واللا سلكيةً والإلكترونية جميعها مراقبة، تبتلع مرغمةً ذلك المبرر الواهي؛ إذ لم تقتنع أن يشغل أحدهم باله ويترك ما وراءه للتلصص على محاولاتِ شريف النجار تسوُّل قبلة إلكترونية تتصدق عليه بها سندس الليثي بعد تمنُّعٍ رغم رغبتها الجامحة الشبقة لأن تصبح حقيقة واقعة!

انتهى العد التنازلي فانبثقت نافذة جديدة ظهر داخلها وجه زوجها الذي بدا مرعِبًا وقد اعتمد على إضاءة شاشة حاسوبه الشخصي فقط وسط غرفته المظلمة.

ـ مساء الفل يا سندس، ياسين كيف حاله؟

ضايقها شريف النجار بسؤالِه رغم لهفته واشتياقه اللتين تنسكبان بلا مواربةٍ من صوتهِ إذ ناداها باسمها مجردًا من أي كلمةٍ عاطفية خلافًا لما اعتادته منه.

- بخير يا شريف، المفترض أن تخبرني أنت بما بك، ولِمَ تُصِر على إثارة قلقنا بهذا الشكل؟! ولماذا تُطفئ النور هكذا؟ أهناك رفيقة معك في الشقة الآن؟!
- رفيقة!

تعجب شريف النجار في بلاهةٍ من وابل الأسئلة المتخمة بالغضبِ الذي أغرقته به زوجته ثم ما لبث أن تفهَّم ما ترمي إليه، انطلقت ضحكاته بلا توقف حتى غلبه السعال لتشطات هي غضبًا من سخريتهِ منها ومن سؤالها فتابعت غاضبة:

- ما الذي يضحكك إلى هذه الدرجة في كلماتي؟ أضحكني معك.
- أتغارين عليَّ يا قلبي؟!! ألستِ بواثقةٍ من إخلاص (**شرشر**)؟!

قال جملته الأخيرة راسمًا بسبابتيه وإبهاميه قلبًا فوق صدره غامزًا بعينهِ اليسرى، تبسمت سندس الليثي رغمًا عنها، ينجح هذا الماكر في تغليب كفة قلبها على كفة عقلها، انطلقت دون توقفٍ تسكب أمامه مشاعرها المتخمة بقلقها عليه، تخبره في عتابٍ عن خوفها من الأسبابِ التي قد أدت لتغيره خلال الفترةِ الماضيةِ وهو يكتفي بالنظرِ إليها في صمتٍ باسمًا سعيدًا بحبها الواضح له

وخوفها الصادق عليه؛ حتى أوقفت كلماتها بضع دموع صادقة تفلتت من عينيها فاختنق صوتها وكفت عن الحديثً، تناول هو دفة الحديث مُعربًا لها عن مكنون صدرهِ تجاهها، كان يعجز دائمًا عن التعبير عن عشقهِ لها بالكلمات، لم يكن من الرجال الذين أوتوا القدرة على الإتيانِ بمعسولِ الكلام متى أرادوا مع من أرادوا، دائمًا كان اعتصارها بين أحضانه يُغنيه عن الخَرس الذي يُصيب لسانه فيُلجمه حين يُريد أن يُعبر عن عشقهِ وولهه، حضنه وعيناه كانا رسول صدقهِ عند قلبها، وطالما بهما اكتفت.

حاول جاهدًا هذه المرة بكلماتٍ أودعها صدقه وحبه أن يُطمئنها على كونهِ بخير حال، مُرجعًا انشغاله عنهما في الفترةِ الأخيرة لاستغراقهِ في بحثٍ جديد سيقلب موازين العلم عبر العالم رأسًا على عقب.

كلماته رغم عجزها عن التعبير بث بصدقها بعضًا من الطمأنينة في قلبها، ولكن ما أسعدها حقًا هو إخبارها بقرار العودة إلى مصر قريبًا في إجازةٍ ليستجمَّا مع طفلهما قليلًا مباشرةً بعد الانتهاء من بحثه.

استمرا لساعةٍ أخرى في حديثهما ثم استأذنها في الانصراف لِينال قسطا من النومِ قبل استيقاظه لعمله صباحا.

أغلقت حاسوبها الشخصي، تكاد أجنحة الفرح أن تطير بها عن الأرض، استلقت على فراشها محتضنة صغيرها النائم إلى جوارها، أسبلت جفنيها لتُريح بدنها كما استراح عقلها وقلبها آملة

أن تنعم بقيلولةٍ قبل استيقاظ طفلها، فتحت جفنيها لتُلقي نظرة أخيرة على براءة وجه طفلها أثناء نومه؛ لتجد عينيه الواسعتين اللتين ورثهما عن أبيه تحدقان فيها وابتسامة سعيدة على وجههِ قائلًا بلُغته:

ـ ماما.. أكليني (**مَم**).

متصنعة البكاء كالأطفال ركلت بقدميها الفراش في إحباطٍ فاقدة الأمل في الحصول على غفوة صغيرة وقد اكتمل شحن بطارية طفلها الذي لن يخلد ثانيةً لنومهِ قبل منتصف الليل.

هناك في قارة أخرى، كان شريف النجار لا يزال منكفئًا على حاسوبه الشخصي مستغرقًا في بحثهِ الذي يعلم جيدًا أنه سيفتح عليه أبواب جحيمٍ قد لا يخرج منها سالمًا، وقد كان محقًا!



القلق ينشب مخالبه بشراسةٍ في صدر سندس الليثي، أسبوعٌ مضى منذ آخرِ حديثٍ لها مع زوجها شريف النجار، لم يحاول هو الاتصال بها بأَي طريقة ولو لمرةٍ واحدة.

كل مرةٍ كانت تتصل به كانت تُجيبها رسالة مسجلة بصوتٍ رخيم لامرأةٍ تبدو متبلدة المشاعر بأن هاتفه المحمول ربما يكون مغلقًا، أرسلت له عشرات الرسائل الإلكترونية على بريده الإلكتروني الشخصي وبريده الإلكتروني الخاص بالعمل ولم تتلقَّ ردًا من أيهما!

انقباض قلبها ينبؤها أن هناك أمرًا جللًا، بعد ترددٍ دام طويلًا أرسلت رسالة إلكترونية لبريد جهة عمله الإلكتروني ذاته مستعلمة منهم إن كان يحضر إلى عمله أم لا؟

مؤكدة على انقطاع اتصالها به منذ أسبوعٍ مضى.

كل ما كانت تخشاه حينها هو رفضهم الرد على سؤالها ـ رغم إعلامهم بأنها زوجته ـ باعتبار أن ما طلبته يُعَد بيانات سرية خاصة بهم وبموظفيهم وحسب، ولا يجوز الإفصاح عنها إلَّا وفقًا لقواعدٍ معينة قد لا تنطبق عليها، رغم مخاوفها تلك إلا أنها انتظرت ليومين آخرين ولكن لم يأتها ردٌّ منهم سواء بالسلب أو بالإيجاب!

لم يكن أمامها خيار آخر سوى معاودة المحاولة، ظلت ترسل إليهم رسائلها عشرات المرات في اليومِ الواحد حتى جاء ردهم، ولكنه جاء صادمًا!

«**لا أحد يعمل لدينا بهذا الاسم!**»

مبهوتة من وقع الصدمة راحت تُحملق في شاشةِ حاسوبها الشخصي المحمول تُعيد قراءة كلماتهم علَّها تكون واهمةً من أثر قلة النوم في لياليها الأخيرة، قارنت البريد الإلكتروني للراسل مع البريد الإلكتروني الخاص بهم على موقعهم الإلكتروني علَّها تكون قد أخطأت في كتابة بريدهم الإلكتروني ولكنها لم تجد اختلافًا!

راجعت صندوق رسائلها المرسلة فربما تكون من شدةِ قلقها قد أخطأت في كتابةِ اسم زوجها فأبدلت حرفًا مكان آخر، ولكنها وجدت الاسم قد كُتِبَ صحيحًا، بلغ الشك بها مبلغه فقارنت اسم زوجها المرسَل إليهم بصورةٍ ضوئية من جواز سفر زوجها فلم تجد اختلافًا!

مدفوعة بغضبها الجارف؛ أرسلت إليهم رسالة يتقاطر منها الغضب مكثفًا نقيًا مرفقًا بها صورة ضوئية لجواز سفر زوجها وصور عديدة من موقعهم الإلكتروني تحوي أخبارًا عن زوجها وفريق عمله وإشادتهم هم أنفسهم بهِ وبإنجازاته معربة عن تعجبها من ردهم غير المنطقي!

مرت أربع وعشرون ساعة من الانتظار الذي أوشك أن يقتلها القلق خلالها ليأتها ردهم برسالةٍ إلكترونية أخرى مقتضبة أشد صدمة!

رسالتهم الصادمة أكدوا فيها صحة الصور المرسلة إليهم ولكنهم عادوا ليؤكدوا لها عدم تعارض ذلك مع الرسالة المرسلة إليها مسبقًا من جانبهم، إذ لم يكن هناك شخصٌ يعمل لديهم بالفعل في ذلك الوقت يسمى شريف النجار؛ فشريف النجار المذكور قد تم فصله من العمل منذ عشرةِ أيام!



برهبةٍ بالغة اجتازت سندس الليثي وأبوها التعزيزات الأمنية أمام مدخل السفارة الأمريكية بالقاهرة، منكمشة في مقعدها جلست محاولة التظاهر بالتماسك أمام هذه السيدة الخمسينية الشقراء ذات الوجه المريح للنفس.

عرَّفت سندس الليثي نفسها أولًا ثم عرفتها بأبيها وزوجها وجِهة عمله الحكومية هناك في الولايات المتحدة الأمريكية.

– زوجي اختفى منذ حوالي عشرة أيام.

أجابتها سندس الليثي بلغةٍ إنجليزية سليمة وأجهشت بالبكاءِ ما إن سألتها السيدة الشقراء عن حاجتها، هبَّت السيدة الشقراء في قلقٍ من خلف مكتبها لتربط في حنانٍ على كتف سندس الليثي محاولة تهدئتها وقد بدت الأخيرة وكأن عينيها معينان لا ينضبان من دمعهما.

بعد دقائقٍ طالت استعادت سندس الليثي قدرتها على الحديث وسط نشيجٍ لا ينقطع وتمخطٍ كل دقيقتين، أخرجت ملفًا بلاستيكيًا يحويّ بضع أوراق تخص زوجها المفقود وبياناته وبيانات عمله وصورًا ضوئية لمراسلاتها معهم.

جعلت تقص على السيدة الشقراء تَغيُّر طِباعه في الفترةِ الأخيرة وتُخبرها عن نظراتِ القلق التي كانت دائمًا تطل من عينيه في كل مرةٍ يُحدثها، أخبرتها عما دار بينها وبين جهة عمله من مراسلات، وما أخبروها به عن فصلهِ من العمل.

ـ أنا لا أعرف أحدًا هناك من أصدقائهِ أو جيرانه.

أجابتها سندس الليثي بلغةٍ إنجليزية سليمة وهي تجفف دموعها بذات المنديل الذي تمخطت فيه مرارًا حين سألتها السيدة الخمسينية الشقراء باندهاشٍ عن عدم محاولتها الاتصال أولًا بأي شخصٍ من الجيران أو الزملاء لتسألهم عن اختفاء زوجها.

خلال الثلاث سنوات التي تلت زواجهما لم تقضِ أكثر من ثلاثة أشهر في العامِ الواحد مع زوجها في الولاياتِ المتحدة، ولم تكن تختلط بأيَ أحدٍ هناك على الإطلاق خلال هذه الفترة القصيرة إذ كان زوجها انطوائيًا بقدرٍ كبير؛ يعشق المكوث بالبيتِ برفقة أسرته كارهًا للاختلاط مع الآخرين.

بعربيةٍ تتحدثها بصعوبةٍ حاولت السيدة الشقراء طمأنتها وسط وعودٍ بمحاولةِ الوصول لزوجها بكلِّ السبلِ الممكنة، ثم نهضت مادة يدها لتصافح سندس الليثي وأبيها معلنة نهاية المقابلة.

رغم إقدام سندس الليثي على هذه الخطوة إلَّا أنها لم تكن تعول كثيرًا عليها، يُخبرها عقلها أنهم لن يهتموا بالأمر، فيحاول قلبها أن يُبدد شكوك عدم اهتمامهم متعللًا بكون زوجها يحمل الجنسية الأمريكية إلى جانب جنسيته المصرية، كونه مواطنًا أمريكيًا قد يدفعهم لقليل من الاهتمام بالأمر.



عندما تلقت سندس الليثي اتصالًا بعد يومين من السفارة الأمريكية طَلب خلاله أحدهم حضورها على وجهِ السرعة لمقر السفارة بالقاهرة، هرعت من بلدها منيا القمح ملتاعةً إليهم مثقلة بالشكوك تكتم سخطها من رفض المتصل الإفصاح عن أيَّةِ معلوماتٍ تخص زوجها.

الشكوك ثيران أسبانية تتناطح متصارعة داخل رأسها حول سبب هذا الاستدعاء العاجل، شكوك حول إمكانية اعتقال زوجها وتوجيه اتهامٍ له ـ كعربي المنشأ ـ بالتعاون مع منظماتٍ إرهابية، وشكوك أخَرى حول إصابة زوجها في حادثٍ، والقليل من الشكوك حول إمكانية انتحاره بسبب فصله من عمله الذي كان يعشقه، وَشَك ضعيف باهت حول اختفاء زوجها بناءً على رغبته الشخصية وابتعاده عنها بمحض إرادته لارتباطه بأمريكية حسناء شقراء الشعر، عيناها بلونِ السماء الصافية اسمها صوفيا سيطرت على لجامه بتنورة قصيرة تستند على ساقين كالرخام تسلبه عقله

بنهدين بارزين يزيد من حجمهما الذي لا يختلف عن الليمونتين مقاسًا ضيقًا من مشدات الصدر!

اللعينة صوفيا تلك التي ربما لم توجد تُدرك جيدًا كيف تسيل اللعاب أنهارًا من أفواهِ العرب!

تلك الشكوك جميعها تبددت وتلاشت تمامًا ما إن التقت نفس السيدة الخمسينية الشقراء التي قابلتها في المرةِ السابقة.

استقبلتها هذه المرة بوجهٍ أجبرته على تقمص الحزن وأجبرت الدموع على الترقرق أسفًا في عينيها، حاولت سندس الليثي تكذيب حدسها ولكن السيدة الخمسينية الشقراء أبت إلَّا أن تؤكده بعبارةٍ صادمة ليس فيها أي قدرٍ من مراعاةِ مشاعر المخاطَب.

- ليرحم الرب زوجك.

لا تتذكر سندس الليثي هل قالتها تلك السيدة الخمسينية الشقراء بإنجليزية سليمة أم بالعربية، كل ما تذكرته بعد ذلك أن الأرض قد مادت بها قبل أن تظلم الدنيا من حولها لتسقط فاقدة الوعي!



لسن كثيرات هن الزوجات اللاتي يحزنَّ بصدقٍ على فقدان أزواجهن، وكانت سندس الليثي منهن!

لم تستغرق تأشيرة دخول الولايات المتحدة لسندس الليثي وأبيها الكثير من الوقت وقد تعاونت معهما السفارة الأمريكية لتُذلل الكثير من العقبات.

لم تجد سندس الليثي من يقف إلى جوارها في مصابها الجلل غير أبيها المسن ليرافقها في سفرها؛ فليس لشريف النجار إخوة من الذكور، ثلاث أخوات فقط من أبٍ قد مات منذ أعوام وأم جاوزت الستين عامًا، أم أنهك بدنها مجموعة متنوعة من الأُمراض المزمنة تحاول جاهدةً أن تتعايش معهم مستعينة بحفنة من الأدوية تتناولها بشكلٍ منتظم على مدار اليوم.

طارت وأبوها وأحزانها التي لم تندمل صوب تلك القارة البعيدة لتتسلم جثمان شريف النجار ليُدفَن في وطنِه الأم كما أصرت أسرته، لم تواجه الزوجة وأبوها أي عراكيل بيروقراطية في استلام الجثمان ونقله للقاهرة.

ما فهمته سندس الليثي من المسئولين عن التحقيقات هناك أنهم عثروا على جثةٍ مجهولة الهوية على الطريق السريع خارج المدينة اتضح فيما بعد أنها تخص زوجها القتيل، لم يكن برفقة الجثة أيَّةَ بطاقة هوية أو هاتف محمول أو أي شيء من متعلقاته يستدلوا به على هويته، فقط ترك له القاتل رصاصة تزين منتصف جبهته بدقةٍ بالغة.

«**جريمة قتل هدفها السرقة**»

هكذا أخبروها بقناعاتهم!

لامت سندس الليثي زوجها القتيل سرًا، تمنت لو أن شريف النجار قد سلَّمَ اللصوص ما يملك دون مقاومةٍ منه ليدعوه ينصرف في سلامٍ بدلًا من ذلك الثقب الذي يُزين منتصف جبهته إثر رصاصةٍ لعينة خلَّفَت ورائها أرملة مكلومة وطفل يتيم وأم ثكلى وأخوات منتحبات!

سنواته العشر التي قضاها في الولايات المتحدة غيرت من ردود أفعاله، لو حدث له ذلك الأمر في مصر لسلَّمَ شريف النجار اللص كل ما يملك عن طيب خاطر ولكافأه اللص حينها بإعطائه القليل من المال الكافي للعودة إلى منزله تقديرًا منه على تعاونه!

«**بذلنا قصارى جهدنا ولكن لم نتوصل إلى أي شيءٍ يدلنا على هوية الجناة!**»

كانت تلك الجملة منهم بمثابةِ سكين إحباط انغرس في قلب سندس الليثي مباشرةً، سبتهم وأفحشت السباب بعربيةٍ سليمة لم يفهموها حنقًا منها على فشلهم في إيجادِ قتلة زوجها الملاعين، يتحدثون في ثقةٍ وغرورٍ واضح رغم فشلهم وكأنهم فعلوا كل ما عليهم وما تمليه عليهم ضمائرهم، لم تكن لتتخيل أن ترى شرطيًا أمريكيًا فاشلًا يقف ليلوك العلكة وينظر لها من خلف نظارتهِ الشمسية ليخبرها بسعادةٍ أنه فاشل!

لو أنهم أتوا بأي لصٍ من ذوي السوابق الإجرامية ولفقوا له التهمة كما يحدث في بقعةٍ أخرى من العالم تعرفها هي جيدًا خير المعرفة لشفى ذلك ضيق صدرها، لم تكن حينها لتجد غضاضة في الأمر، ولكنهم اختاروا الطرق القانونية القاصرة التي عادةً لا تعيد أي حقوقٍ لأصحابها ليتركوها تواجه مرارة الأيام التالية التي ستمتص ببطءٍ رحيق الحياة من روحها كلما نظرت لصغيرها اليتيم ولعينيه التي ورثها من أبيه.

ازداد ضيقها خلال أيامها المعدودات في الولايات المتحدة إذ لم يقابلها أيًا من زملاء زوجها الراحل، ولم تستطع الوصول لأي منهم حين حاولت؛ إذ لم تكن تعرف أحدًا منهم.

تمنت أن تقابل أيًا من زملاء زوجها خلال زيارتها لمقر عمله ليخففوا من حدةِ المعاملة الجافة التي تلقتها هناك، ولكن لم تتمكن من مقابلة أيًا منهم.

ذهبت إلى مقر عمله لتستفسر عن سبب فصل زوجها، فاكتفت الموظفة البغيضة حادة الصوت قاسية الطباع بإخبارها بأن زوجها قد انتهك سياسات العمل ووقَّع بنفسهِ على إقرارٍ بتنازله عن كافة مستحقاته وكأنه كان يعمل لدى شركة من شركات القطاع الخاص المصرية لا لدى جهة حكومية تابعة للولايات المتحدة الأمريكية.

عادت إلى مصر مع أبيها وجثة زوجها وأحزانها وحسب بلا أيَّةِ معلوماتٍ قد تُجيب عن كل التساؤلاتِ التي تتصارع في عقلها، عادت ليواري زوجها الثرى مودعة جثمانه بدموعٍ لا تكف عن انسكابها.

كانت المرة الأولى التي تواجه فيها سندس الليثي الهشة قسوة الحياة، أرملة في ريعان الشباب تمتاز بقدرٍ كافٍ من الجمال المتمثل في وجهها المُريح البشوش وابتسامة كانت تحدث غمازة واحدة في خدها الأيمن وقوام مستقيم لا هو بالنحيف ولا هو بالمترهل.

أرملة بهذه المواصفات وجدت نفسها فجأة مضطرة أن تواجه الحياة بمفردها، وأن تواجه أطماع الرجال التي ستطل من أعينهم ما إن تنتهي أشهر عدتها، أرملة كانت تعشق زوجها كريم

الأخلاق الذي لم ترَ منه سوى المودة والحب وحسن المعاشرة ولم تكن ترغب أن يحتل أحدٌ مكانه في مستقبلٍ قريب أو بعيد، أرملة وجدت نفسها فجأة أمًا لطفلٍ يتيم قد لا تُسعفه ذاكرته في الأعوام القادمة على تذكر لحظاته السعيدة التي جمعته مع أبيه.

حياتها كانت هادئة مستقرة قبل أن يتخذ القدر قراره بأن يقلب ذلك الهدوء والاستقرار رأسًا على عقب، أن تنزع الحياة قناعها المتبسم لتواجه وجهًا قبيحًا لا يرحم.

أدركت أن عليها محاولة الهروب بأقصى سرعةٍ من هاوية التيه تلك التي سقطت فيها، أنَّ عليها العودة لعملها كطبيبةِ أسنان كي تحافظ على ذات الحياة الكريمة لطفلها الذي كلما نظرت في عينيهِ رأت عينيّ أبيه فيؤلمها مرارة الفقد، ستحاول استغلال ضحكات ابنها البريئة كحشوٍ تسد به الفجوات الشاسعة في حياتها التي خلَّفها مقتل زوجها، ستبذل جهدها في تنظيف ذلك السواد الذي حاوطها من كلِّ جانبٍ ناخرًا في جدرانِ عقلها وقلبها ضاغطًا على عصبِ الحياة الملتهب بشدة، قررت أن من أجل ياسين الصغير فقط ستثابر حتى تنجح.



«الخارجية الأمريكية تُعلن تحفظها على إلقاءِ القبض على الناشط الحقوقي مصعب عبد الجواد، وتعليق المعونات العسكرية لمصر أصبح مطروحًا كخيارٍ في الكونجرس الأمريكي ما لم تتوقف مصر عن انتهاكاتها ضد منظمات المجتمع المدني».

كان هذا هو الخبر الرئيسي الذي تصدر عناوين الأخبار بعد إلقاء الأمن المصري القبض على الناشط الحقوقي الشاب مصعب عبد الجواد في فجر ذلك اليوم وإغلاق مكتب منظمته بالقاهرة؛ بدعوى نشر إشاعات كاذبة تضر الأمن العام وتهدف لإحداث البلبلة وإزكاء نيران الفتنة وتَلقِّي مساعدات من جهات أجنبية خارجية بالمخالفة للقوانين المصرية.

أسرع أصدقاؤه ما إن انتشرت أنباء اعتقاله بنشر الخبر على مواقع التواصل الاجتماعي، ولم تمضِ ساعات حتى خرج بيان من الخارجية الأمريكية؛ يُدين اعتقالَه واصفين الأمر بأنه حلقة جديدة في سلسلةِ انتهاكات الأمن المصري ضد الجمعيات المدنية الحقوقية وتراجع من الحكومة المصرية عن تعهداتها بالكفِّ عن هذه التصرفات، ثم أتى تلويح من الكونجرس الأمريكية بإمكانية وقف المساعدات العسكرية لمصر ما دام التنكيل بمعارضي النظام المصري مستمرًا.

لم يكن الأغلبية يعرفون من هو مصعب عبد الجواد ولا في أي مجالٍ كانت تعمل جمعيته، فانقسم المعلقون على تلك الأنباء

على مواقع التواصل الاجتماعي ما بين رافض للأمر مؤكدًا أن النظام المصري لن يتخلى عن بطشهِ كنظام فاشي يُنكِّل بالخصوم ولا يرضى بوجودهم من الأساس، وآخرَين رافضين للتدخل في الشئون الداخلية المصرية ورافضين في ذات الوقت لقمع الحريات والاعتقالات التي لا تتوقف، وآخرين مؤيدين لموقف الدولة رافضين لأي تدخل خارجي في الشأن الداخلي المصري.

التجاهل التام كان هو الرد الرسمي من الدولة المصرية، اختاروا التجاهل رغم حنقهم وضيقهم من تلك التدخلات السافرة من الولاياتِ المتحدة من وقتٍ لآخر في شئونهم الداخلية، كل دولةٍ – في رأيهم – لا يمكن أن تكون ديموقراطية بشكلٍ كامل وداعمة للحرية المطلقة، حتى وإن ادعوا العكس، فلِمَ لا تكتفي كل دولةٍ بما يدور في داخلها بدلًا من إطالة أنفها ليُصبح في طول خرطوم فيل هندي لتحشره متبجحة في شئون الدول الأخرى!

أصبحت تهديداتهم سخيفة لاعتيادها، لو لم يفعلوا لشَعر النظام المصري بالقلق!، كل مرةٍ يلوِّحون بقطع المساعدات وكثيرًا ما يقومون بتعليق المساعدات بالفعل ثم ما تلبث المصالح المشتركة أن تتلاقى فتعود المساعدات مرة ثانية، لذا اختار المجتمِعون في الغرف المغلقة وسط دخان سجائرهم تجاهل التهديدات هذه جملةً وتفصيلًا.



في فراشها تممدت محتضنة صغيرها النائم تبكي في صمت، تخشى أن يوقظ صوت نحيبها ياسين من نومه العميق، صوت تلاوة القرآن الذي يسبق أذان الفجر تصدح به مكبرات الصوت أعلى مآذن المساجد المجاورة لينبؤها باقترابِ فجر يومٍ جديد وهي عاجزة كل العجز عن الخلود إلى النوم، ثلاثة شهورٍ مرت على مقتل زوجها، شغلت وقتها قدر استطاعتها ما بين المستشفى الحكومي التي عادت للعمل بهِ صباحًا وعيادتها الخاصة التي تقضي فيها أغلب وقت المساء.

بدأ انشغالها في عملها يخفف من مرارة الحزن مع مرورِ الوقت ليهدم تدريجيًا حاجز ذكرياتها الأليمة الذي يمنعها من رؤية مستقبل قادم قد يكون مشرقًا، ثم تكتشف أن القدر لا يزال مصرًا على ديمومة حزنها بما كان في انتظارها في تلك الليلة التي

لم تنقضِ، تتزاحم في رأسها المستجدات الجديدة التي فاجأتها ولم تكنَ موضوعة في حسبانها.

في تلك الليلة وهي جالسة بغرفةِ الكشف بعيادتها الصغيرة، وبعد عناءِ يومِ طويل قضته بين المرضى في المستشفى الحكومي صباحًا، وفي ٍعيادتها منذ المغرب حتى اقتراب عقارب الساعة من منتصف الليلِ وبينما تستعد للرحيل أتتها طرقات متأدبة على الباب.

ـ تفضل يا عم خضر.

لم يكن بالعيادة في ذلك الوقت سوى خضر الرجل الخمسيني نصف المتعلم ذو الكرش الضخم المتهدل الذي يعمل لديها في العيادة.

ـ هناك رجل بالخارج يا دكتورة سندس يصر على مقابلتك شخصيًا ويرفض الحديث عن سبب الزيارة.

توقعت سندس الليثي أن يكون ذلك الرجل أحد العاملين بمجال المستلزمات الطبية جاء ليحدثها عن عروض أسعارهم.

ـ أدخلهُ يا عم خضر، لكن أخبره بأني قد تأخرت وكنت موشكة على الانصراف كي لا يُطيل.

هز الرجل رأسه في تفهُّم ليدخل بعد دقيقةٍ رجلٌ آخر وقور، عجوز بالغ النحافة تجاوز السِّتين، لو زفر أحدهم في وجهه لطار من فوق الأرض، لا توحي طلته إلا بخطأ حدسها بمظهره الوقور

والشيب الذي كسا شعر رأسه ولحيته القصيرة المهذبة وملابسه الثمينة المهندمة المتناسقة بشكلٍ يثير الإعجاب، كما أضفت عليه الكثير من الغموض النظارة الشمسية التي يرتديها رغم حلول المساء!

ـ أيوب فهمي أبو الوفا.

تحدث الرجل باسمًا مصافحًا سندس الليثي في وقار، ثم جلس في المقعد الجلدي الوثير المقابل لمكتبها الخشبي واضعًا حقيبته على المنضدة أمامه.

ـ تشرفنا أستاذ أيوب، مم تشتكي؟

اعتدل الرجل في جلسته وأخرج بأريحية غليونًا وكيسَ تبغ وعلبةَ ثقابٍ من حقيبته، لمح استنكارًا يخالطه امتعاضًا يتقافزانً من عينيّ سندس الليثي ولم يُعرها اهتمامًا، فنهرتهُ بلهجةٍ تشع غضبًا لا تولي فيها احترامًا لكهولته:

ـ التدخين ممنوع هنا، من فضلك.

توقف الرجل للحظةٍ عن تعبئةِ غليونه والتفت إليها قائلًا في حزن لا مِراء فيه:

ـ اعذريني يا (**مدام**) النجار، أنا صديق المرحوم شريف.



تيبست قسمات وجه سندس الليثي لبرهةٍ محاولةً إقناع عقلها بصحة ما سمعته أذناها من ذلك الرجل عن صداقته بزوجها الراحل، كان يُحدثها بلكنةٍ غريبة ولكنها مألوفة بعض الشيء بالنسبةِ إليها، تلك اللكنة المميزة للعرب المهاجرين لدولٍ أجنبية والذين كادوا ينسون لغتهم الأم من طول هجرها، فاللغة التي لا تُستخدم تُضمر وتختفي مع مرور الوقت كمثل الأعضاء في نظرية التطور.

ـ أكنت صديقه بالفعل؟!، هناك؟!

هزَّ أيوب أبو الوفا رأسهُ في هدوءٍ أن نعم، ثم قبل أن يُكمل إجابتهُ قرر أن يُشعل غليونه ضامنًا عدم اعتراضها لرغبتها في سماع المزيد منه، نفث أول نفثاتِ الدخان في سماءِ الغرفة في تروٍّ غير قاصدٍ حرق أعصابها بقدرِ كونها عادة لديه، لا شيء في هذا العالم في رأيه يستأهل التعجل!

ـ بالضبط يا دكتورة، أصبحنا أصدقاء منذ شهورٍ قليلة، (**بروفيسور**) شريف كان شخصًا جديرًا بالاحترام.

ـ إذًا أخبرني..

أوقفها عن مقاطعتهِ بإشارةٍ من يدهِ في احترام مكملًا:

ـ أنا أُدرك أن الوقت قد أصبح متأخرًا الآن، لا أريد أن أُطيل عليكِ، تأخرت في الحضورِ لتعثري في إيجاد عنوان العيادة فتقبلي اعتذاري عن التأخير، ولا يزال أمامي سفرًا طويلًا حتى القاهرة ويجب أن أتحرك الآن، أنتِ لا ترغبين بالطبع أن أُصبح هديةً على طبقٍ من ذهب لقطاعِ الطرق في هذا الوقت المتأخر، قد أفقد حياتي نتيجةً لـ....

بتر عبارته بغتةً وبقِيَ الغليون معلقًا بين شفتيه وقد أدرك أنه بدون قصدٍ بمزاحه قد أعاد لذهنها ذكرى مقتل شريف النجار زوجها، استدرك الأمر محاولًا انتشالها من دوامةِ الذكريات الأليمة التي تسقط فيها مُخرجًا مظروفًا صغيرًا من حقيبته سلمه إلى سندس الليثي مبدئًا تساؤلاتها عن كُنه هذا المظروف قائلًا:

ـ هذا خطاب من شريف، طلب مني إيصاله إليكِ.

اختطفت سندس الليثي المظروف في لهفةٍ من بين أصابعه التي تجعد جلدها لتفضه مخرجة الورقة الوحيدة بداخله، مسحت بنظرةٍ سريعة الخطاب من أولهِ لآخره؛ فتيقنت أن هذا بالفعل ما خطته يد شريف النجار زوجها بخطهِ السيء المعهود.

- ماذا يحوي هذا الخطاب؟سألته سندس الليثي في لهفةٍ لم تحاول إخفائها فهزَّ الهرِم أيوب أبو الوفا كتفيه النحيلتين نافيًا علمه بمحتواه.
- صدقيني يا ابنتي أنا لم أقرأ ما بداخله، حسنًا.. استأذنكِ الآن في عنوان بيتك بالتفصيل، سأعزم نفسي على كوبٍ من الشاي لديكم غدًا.. وكما تعلمين لا يمكن شربَ الشاي على معدةٍ فارغة لرجلٍ في مثل عمري خوفًا من قرحةِ المعدة وارتجاع في مريءٍ لم يعد يحتمل، لذا لنجعلها دعوة على الغَداء فأنا لم أذق طعامًا شهيًا منذ فترة، لنرجيء كل شيءٍ للغد لنثرثر قليلًا عن صديقي شريف وأوصل سلامه بنفسي إلى الصغير ياسين الذي ورث أذني أبيه الكبيرة كما رأيت في الصور.

لم يدم استياؤها من السخرية من أذني صغيرها وزوجها غير لحظات، ليس على هذا الكهل حرج!، بل أنها تسر في نفسها دائمًا سعادتها بتلك الآذان الكبيرة التي أضفت عليهما براءة فوق برائتهما، في عجالةٍ خطت سندس الليثي على ورقةٍ أمامها عنوان بيت أبيها بالتفصيل؛ والذي انتقلت للسكنِ في الشقة التي تعلوه بعد وفاةِ زوجها، جمع أيوب أبو الوفا مستلزمات غليونه وصافحها مودعًا إياها مؤكدًا أنه لن يتأخر عن الثالثةِ عصرًا في اليوم التالي، ولكن سندس الليثي كانت تفتقد التركيز تمامًا متلهفة لقراءة رسالة زوجها الأخيرة إليها، تلك الرسالة التي أيقظت ثانيًا عشقها واشتياقها وسكبت دموعًا من عينيها شوقًا إليه.



لم تدرك سندس الليثي أنها لم تستطع النوم إلا مع نسماتِ الصباح الأولى، انزلقت في نوم عميق عندما تضاعف حمل الذكريات على عقلها فأنقذها النومٍ قبل الانهيار التام تحت وطأة تلك الذكريات.

استيقظت وقت الظهيرة على محاولاتِ صغيرها المستميتة لإيقاظها وجرس الباب لا يكف عن الرنين مقرونًا بطرقاتٍ عنيفة على الباب رجَّحَت أنها لأبويها.

هبت من فراشها محتضنة صغيرها لتهرع فاتحةً باب الشقة قبل أن ينتزعه الطارق من موضعه.

ـ أين كنتِ يا سندس؟

كانت هذه الجملة الغاضبة لا اللائمة من أمها التي وقفت جوار أبيها الذي كبَّل القلق لسانه، عنفتها لعدم استجابتها لطرقاتهما التي كان سيليها مباشرةً انتزاع الباب من موضعهِ وقد

أوشك القلق أن يقضي عليهما وخاصةً أن هاتفها المحمول كان مغلقًا، لم يبدُ أن الأم تُصغِي لتفسيرات ابنتها محاولة إيضاح الأمر بأنها قد نامت متأخرًا وأنها قد نسيت إيصال هاتفها المحمول بالشاحن وأن القلم مرفوع عن ثلاث أولهما النائم حتى يصحو.

كفت أمها عن لطمها بموجات توبيخاتها فقط عندما قررت سندس الليثي الاكتفاء بالصمت حتى تمل أمها من توبيخاتها، حدثتهما حينها سندس الليثي عن زائر منتصف الليل صديق شريف النجار زوجها؛ الذي زارها في عيادتها قادمًا من الولايات المتحدة ليسلمها رسالة عاطفية من زوجها القتيل!

حاولت الأم مدفوعةً بفضولها أن تعرف محتوى الرسالة بقراءتها بنفسها؛ فرفضت سندس الليثي بحجة عدم رغبتها مشاركة حواراتها الزوجية مع أحد وبخاصة إن كان هذا «**الأحد**» أمها.

بخبرةٍ تجاوزت خبرة لواء بالمباحث الجنائية انهالت الأسئلة عليها من أمها تستجوبها عن سبب إعطاء زوجها الخطاب لهذا الرجل تحديدًا، وما طبيعة علاقته به التي تجعله يستأمنه على خطابٍ بينه وبين زوجته ولا يخبر زوجته بصداقةٍ بهذه القوة ربطته بهذا الكهل؟!، ولِمَ لَمْ يُرسل زوجها أو الرجل ذلك الخطاب عبر البريد التقليدي أو يكتفي شريف النجار بإرسال ما يريده عبر بريده الإلكتروني أو عبر إحدى وسائل التواصل الاجتماعي؟!، ولكن سندس الليثي لم يكن لديها إجابات لأسئلة أمها ولم تجد شيئًا يوقف هذا التحقيق الذي تجريه معها سوى إخبارها أن هذا

الرجل سوف يأتي لزيارتهم هذا اليوم إن أمهله ملك الموت الفرصة ليحيا حتى الصباح.

ألقت الأم كل أسئلتها التي لم تتلقَّ إجابةً عليها ما إن سمعت بنبأ قدوم هذا الرجل إلى بيتهم لتناول الغداء!، هرعت إلى شقتها في الطابق السفلي آملةً في أن تسعفها الساعات القليلة القادمة لإعداد وليمة غداء شهية تكفي لقبيلةٍ كاملة تليق بكرمها وكرم زوجها كما عُرِفَ عن هذا البيت.



في تمام الثالثةِ عصرًا وقف أيوب أبو الوفا حاملًا حقيبته الجلدية أمام البناية التي تسكن بها سندس الليثي وأبواها، لمحته سندس الليثي الواقفة بالشرفة وهو يترجل من (**التوك توك**) الذي تطوع سائقه بإنزالِ صندوقٍ كرتونيٍّ ضخم محكم التثبيت بالأربطة فوق سقف (**التوك توك**)، نزلت مسرعة تستقبل ضيفها متقافزة فوق درجات السلم الرخامية.

ـ اتركيها يا (**مدام**)، هي خفيفة وسأوصلها لكِ بالأعلى.

قالها سائق (**التوك توك**) ملمحًا لوزن الصندوق الكرتوني الخفيف كي تحمله هي؛ كي لا يضطر لترك مركبته بمفردها فيسرقها أولاد الحرام الذين لم يتركوا لأولاد الحلال أي شيء، ولكن أيوب أبو الوفا أبى أن يحمل الصندوق أحدٌ غيره، ثوانٍ مضت قبل أن يتراجع إصراره أمام إصرار سندس الليثي خشيةً منها

أن يفقد حياته فوق درجات السلم على أعتاب شقتهم، سوء حظها قد يدفع هذا الكهل لترك الولايات المتحدة لكي يلفظ أنفاسه الأخيرة على أعتاب شقتها.

- اسبقني حضرتك، والدي في انتظارك بالأعلى، الشقة بالدور الثاني.

قالتها سندس الليثي وحملت الصندوق الكرتوني الخفيف بالفعل، والذي فهمت من الرسم المُلصق عليه من الخارج أنه أرجوحة أطفال سهلة الفك والتركيب.

لم يستغرق الهرِم أيوب أبو الوفا الكثير من الوقت في تعريف نفسه بعد أن تلقَّى الترحيب اللائق من أبوي سندس الليثي، طالبًا متفوقًا كان أيوب أبو الوفا؛ جاء من مدينة قويسنا بالمنوفية إلى القاهرة ليدرس الفيزياء في واحدةٍ من أعرق كليات العلوم بالعالم آنذاك، تفوق في دراسته بحماسِ طالبٍ ريفي يسعى للتميز ليتم تعيينه بالكلية ويحصل على الماجيستير سريعًا، سافر إلى الولايات المتحدة ليحصل على الدكتوراه فقرر ألا يعود ثانيةً إلى مصر؛ ليترك بها أهله وذويه وذكريات طفولته وصباه وشبابه وزميلة أحبها وظن أنها تحبه حتى قررت هي فسخ خطبتهما دون إبداء أسباب؛ ليعلم بعد ذلك أنها قد ارتبطت بزميل آخر وخُطِبَتْ له ولأموال عائلته فاحشة الثراء.

كان اختيارها هو ما دفعه لاتخاذ قراره بعدم العودة مرة ثانية وأن يحيا ما بقِيَ من عمرهِ أعذبًا يخشى أن يستسلم لأسر الحب مرة ثانية حتى جاوز الستين بسنواتٍ.

لم تكن سندس الليثي وعائلتها يرغبون في سماعِ قصة حياته أثناء تناولهم الغداء قدر ما يتشوقون لسماعِ علاقته بشرِيف النجار.

التفوا حول مائدة الطعام فانصبَّ تَركيزه على تعبئةِ الطعام بنهمٍ في جوفه وكأنه لم يأكل منذ أبد الدهر!.. حول أكواب الشاي وحيًنما جاء وقت الحديث عن شريف النجار لم يكن لديه الكثير ليحكيه فأثار إحباطهم، أخبرهم أنه تعرف على شريف النجار منذ بضعة أشهر فقط.. ولكن على الرغم من المرات القلائل التي التقاه فيها إلا أن الأخير كان يحدِّثهُ كثيرًا عن عائلتهِ بمصر ولم يكن هناك حديث دائر بينهما سوى عن اشتياقهِ لهم وانتظاره للحظةِ العودة في إجازةٍ لمصر؛ للم الشمل لينعم بالكثير من الدفء الأسري الذي يفتقده، في آخر مرة التقاه فيها فاجأه بطلبهِ الاحتفاظ بذلك المظروف وإرساله لزوجتهِ في حال حدوث مكروهٍ له وهو ما أدهش أيوب أبو الوفا ـ على حدِّ قوله ـ إذ لم يرَ في شريف النجار غير رجلٍ هاديء الطباع مسالم متجنبٍ للمشاكل ما صغر منها وما كبر، إلى أن علم بالصدفة بحادثةِ مقتله ليقرر العودة إلى مصر للمرةِ الأولى منذ هِجرته تنفيذًا لوصية هذا الرجل حَسَن الخلق.

ـ ألم تلحظ عليه أي تغير في الأيام الأخيرة؟

سألته سندس الليثي في إحباطٍ إذ لم تجد لديه ضالتها ليُخبرها أيوب أبو الوفا أنه لم يلحظ أي تغييرٍ على شريف النجار على الإطلاق، ظن بذلك أن إجابته كانت كافية لهم ثم استأذنهم في الرحيل فطلبوا منه بغير إصرارٍ أن يقبل دعوتهم على العشاء، ولكنه أصر على الانصراف لارتباطهِ بالسفر عائدًا للقاهرة مرة ثانية، ولكن تأخره المزعوم لم يمنعه أن يطلب من سندس الليثي العروج معها أولًا على عيادتها للكشف على ضروسه الملتهبة، مطلب رأت فيه سندس الليثي بُخلًا لا يليق برجلٍ قضى جُل عمره بالولايات المتحدة، ورأته أمها العنصرية أنه يتوافق مع نشأته في صباه في محافظة المنوفية!



دخلت سندس الليثي وأيوب أبو الوفا إلى غرفة الكشف، بعدما ارتدت معطفها الأبيض والقفازين المطاطيين وبينما ترتدي الكمامة التي تُجنب أنفها روائح أفواه بعض المرضى الكريهة لا خوفًا من العدوى، وصل إلى أنفها رائحة دخان تبغ!

التفتت إلى أيوب أبو الوفا لتفاجأ به وقد فرش مستلزمات غليونه فوق المنضدة الصغيرة أمامه وراح يُدخن غليونه؛ في عدم اكتراثٍ غير آبهٍ بوجودهِ في عيادةٍ طبية مستغلًا كهولته وعلاقة صداقته مع زوجها الراحل بالإضافةَ إلى خجلها من تعنيفه؛ ليدخن

غليونه ببالٍ رائق ضاربًا باحترامها واحترام المكان ونوافذه المغلقة عرض الحائط!

ـ دكتور أيوب....

ـ من فضلك يا دكتورة تقعدي لثوانٍ، أنا أردت محادثتك بعيدًا عن العائلة في موضوع يخص حادثة مقتل شريف.

أخرس بكلماتهِ المريبة محاولاتها لاستنكار تدخينه داخل غرفة الكشف المغلقة؛ بأن استبدل قلقها من غموضِ كلماته محل استنكارها، نزعت الكمامة القماشية وجلست في المقعد المقابل له قائلةً في قلقٍ واضح:

ـ خيرًا يا دكتور أيوب، أهناك ما لا أعرفه؟

ـ شريف قُتِلَ.. لكن لا علاقة بمقتلهِ بحادث السرقة.

خرجت الكلمات ببطءٍ من فم أيوب أبو الوفا الذي يتدلى الغليون من بين شفتيه ضاغطًا على كل حرفٍ من كلماته.

ـ ماذا تقول؟!

هبَّتْ سندس الليثي صائحةً في ذهول، ثم صرخت مناديةً على خضر الذي كان واقفًا متحفزًا بالبابِ قبل أن تُكمل ندائها يُحملق فيها ملاحظا الغضب الذي يُسيطر عليها والهدوء المريب الظاهر على وجه ضيفها من وراءِ نظارته الشمسية.

ـ أوامرك يا دكتورة؟

استوقفها أيوب أبو الوفا بإشارةٍ من يده قائلًا في هدوءٍ:

ـ ثانية واحدة يا أستاذ خضر قبل أن يدفعك التهور للإتيان بأمورٍ غير عقلانية، أنا صديق المرحوم زوجها، لا تقلق ولا تتوتر وإياك أن تندفع، هناك سوء فهم ليس إلا، اطمئن فلو أن هناك شيئًا خاطئ فلن يستطيع عجوز مثلي أن يفعل أي شيءٍ معك.

قال كلماته والتي لم تنجح في نزعِ التوتر عن الغرفة مجسدًا بكلتيّ يديهِ في الفراغ شكل كرش خضرَ المتهدل، ثم أمسك بهاتفهِ المحمول الذي لم تفلح سندس الليثي في التعرف على طرازه الغريب وإن ميَّزت انتماءه للجيل الأول من الهواتف المحمولة الذكية التي تتميز بضخامتها، أدخل كلمة سر طويلة نسبيًا ثم فتح أحد الملفات ووضع الهاتف على المنضدة أمامه في اتجاهِ سندس الليثي قائلًا:

ـ من فضلك، شاهدي هذا (**الفيديو**) أولًا.

في ترقبٍ خشية أن تصدر أي حركةٍ منه، التقطت سندس الليثي الهاتف المحمول ثقيل الوزن ثم ضغطت على الملف ليظهر على الشاشة شريف النجار زوجها واضعًا ذراعه على كتف أيوب أبو الوفا في ودٍّ وخلفهما تظهر حديقة عامة، أخبرها في (**الفيديو**) بمرحهِ المعتاد رسالة قصيرة للغاية..

«**يا سندس.. ثقي في (البروفيسور) أيوب، أنا أثق به أكثر من ثقتي بنفسي، صدقيه**»

قالها وغمز بعينه قبل أن ينتهي (**الفيديو**) القصير.

أعادت سندس الليثي مشاهدة (**الفيديو**) مرة ثانية وقد تفلتت دمعة من عينها رغمًا عنها.

ـ سأفهمك كل شيء.

قالها في حزن واضح أيوب أبو الوفا مشيرًا لسندس الليثي لتعطه هاتفه المحمول، ناولته الهاتف بلا كلماتٍ وألقت جسدها على المقعد المقابل له.

ـ دكتورة!اذهب أنت يا عم خضر، إلغي الكشوفات لهذه الليلة.

دون معارضةٍ من سندس الليثي الواجمة أمامه، أعاد أيوب أبو الوفا تعبئة غليونه وأشعله نافثًا دخانه في بطءٍ قبل أن يقص عليها كل ما كانت تجهله عن زوجها وكيف انتهى به الأمر بسقوطهِ قتيلًا برصاصةٍ استقرت في منتصف رأسه، أخبرها بكل التفاصيل ولم يستبق تفصيلة واحدة لينبش القبر الذي وارت فيه أحزانها مُخرجًا تلك الأحزان دفعةً واحدة إلى السطح لتطاردها من جديد.



بخطواتٍ واثقة، متشحة بالسواد اجتازت الطريق الفاصل بين بوابة مترو الأنفاق والميدان الفسيح، لم تتلفت حولها لتتأكد إن كان يتتبعها أحدٌ أم لا، صاحب الحق لا يخشى أحدًا وهي تؤمن أنها صاحبة حق، فتحت حقيبة حملتها طوال الطريق على ظهرها وأخرجت لافتة ورقية خطت عليها عبارات مقتضبة..

«**أمريكا قتلت زوجي**»

انسابت دموعها من عينيها رغمًا عنها وهي ترفع اللافتة لأعلى بامتدادِ ذراعيها، تجمَّعَ حولها بضعة أفرادٍ من المارة يقرأون بفضولٍ الكلمات المخطوطة على اللافتةِ في سرعةٍ، ثم ما يلبثوا أن ينفضوا عنها ويتركوها قائمةً تحمل لافتتها وأحزانها محاولين إتقان تظاهرهم بعدم اكتراثهم بالأمر خوفًا من أعين الأمن التي قد ترصدهم، يخشى كل واحدٍ منهم عواقب الاتهام بالتظاهر بغيرِ تصريح رسميّ.

تنبه عسكري المرور لوجودها، رفع جهاز الاتصال اللاسلكي الذي بحوذته إلى جوارِ فمه الذي تفوح منه رائحة بصل الإفطار ليبلغ الأمر بسرعة لقياداته المتمركزة بالقرب من مجمع التحرير، قررت سندس الليثي أن تقطع المسافة ما بين منيا القمح والقاهرة وقد وقع اختيارها على أهم الميادين المصرية وأكثرها حساسية للجهات الأمنية لتتظاهر به دون علم أبويها، لو علمت أمها بنيتها لجزت عنقها قبل أن تخطو إحدى قدميها عتبة البيت!

لم تمض دقيقة واحدة حتى كانت قوة صغيرة من الشرطة تُحيط بسندس الليثي، قرأ الضابط اللافتة فلم يفهم شيئًا من تلك الكلمات المقتضبة، حاول أن يستبين السبب وراء تظاهرها فلم تُجبه، متأدبًا طالبها بالانصراف فلم تستجب، لم يلمح دموعها المتساقطة من خلف نظارتها الشمسية وظن أن القطرات الجارية فوق خديها عرقًا أحدثته شمس الظهيرة.

ما كان ذلك الضابط ليسمح بتوبيخهِ من رؤسائه لفشله في احتواء الموقف عند بدايته، سندس الليثي الهشة الرقيقة الواقفة أمامه ليست في عينيه إلَّا مواطنة تتظاهر بغير تصريح أمنيٍّ مسبق، وترفض التعاون معه أو الرحيل بلافتتها التي لا قيمةً لها في نظره، لا رائحة بنزين تفوح منها فيخشى تهورها بالإقدام على إضرامِ النيران في جسدها، ولا صحافيين بعدساتهم حولها يتأهبونَ لتأجيجِ الموقف، لا شيء في تظاهرها وحيدة يدعو للقلق، ولكنه

لن يسمح باستمرارِ هذا الوضع مهما كانت الخيارات المتاحة أمامه.

تمنى أن يُمهله القدر فرصة للتفكير بتروٍ في القرار الأصوب للتعامل مع هذه السيدة التي ظنها خرساء، لكن القدر لم يمهله الفرصة للتفكير في أيٍ من خياراته المتاحة؛ إذ تعطل فجأة عقل أحد العساكر وتخلى عن إنسانيته ـ آملًا في كسب رضا ضابطه وربما مكافئة ينالها بإجازةٍ في غير موعدها ـ فقرر أن يدفع سندس الليثي بقبضتِه الغليظة في كتفها مطالبًا إياها بإطاعة أوامر الضابط الذي حمل اسمًا من الأسماء متبوعًا بـ (**بيه**).

جسد سندس الليثي الواهن وشخصيتها التي لم تعتد خشونة الحياة وقسوتها لم يستطيعا مقاومة الدفعة؛ فسقطت أرضًا وسقطت معها كرامتها ونهض مكانهما غضب فطري يستنكر حقوق الإنسان الرئيسية في التظاهر للمطالبةِ بحق زوجٍ قُتِلَ غدرًا، غضبٌ يستنكر رفض أشخاصٍ ـ ظنتهم يمتلكون عقًلا في تجويف رؤوسهم ـ مطالبتها السلميةَ الصامتة بقصاصٍ من دولةٍ أخرى قتلوا مواطنًا مثلهم يحمل نفس جنسيتهم وشربَ وارتوى من نيلهم، غضبٌ بث في جسدها الضعيف قوةً فأنهضتها معه من الأرض لتدفعهم جميعًا عنها.

لم يراعوا رد الفعل الذي لم يقترب من شدة الفعل فأغشى الغضب أبصارهم وانهالوا وهمجيتهم عليها متكالبين على جسدها

الضعيف محاولين الثأر لذكورتهم حتى كادت أن تفقد الوعي من هول بطشهم!

الأغلبية من المارة وكأنهم يشاهدون فيلمًا سنيمائيًا مملًا، يقفون لا يحركون ساكنًا غير أفرادٍ قليلين تحلوا بقليلٍ من الشجاعة مكنتهم من إخراج هواتفهم المحمولة خلسة؛ ليصوروا ما يحدث من بعيد، اقتادها العساكر بغير رحمة إلى سيارة الشرطة رغم محاولاتِ البعض من كبارِ السن من المتفرجين للتفاوض مع الضابط آملين في تسويةِ الأمر بشكل وديّ، ولكن الضابط رفض بشدةٍ وقد وصل الأمر لقياداته لينتهي الأمر بسندس الليثي للمرةِ الأولى في قسمِ الشرطة!

منكمشةً بين العساكر تبكي وتنتحب لا تقوى على التقاط أنفاسها من شدةِ نشيجها حسرةً على حالها وذعرًا من الساعاتِ القادمة، وما تخيلت أن يحدث لها هذا على أيدي هؤلاء العساكر الذين نزعت الرحمة من قلوبهم، مواقع التواصل الاجتماعي تتكدس بآلافِ القصص التي رويت عما تُلاقيه الفتيات من أمثالها علي أيدي رجال الأمن من أمثالهم ولم تكن راغبة على الإطلاق في التأكد من صحة تلك القصص بنفسها، كل ما كانت تتمناه أن تشملها رحمة الله لتعود إلى صغيرها حية ترزق كي لا يفقد أمه كما فقد أباه.



مع ارتفاعِ أصوات المؤذنين لصلاةِ العشاء؛ دلف مصطفى عبد الحميد إلَى منزلِه بعد رحلةِ عناء قضاها على مدار اليوم في قلب القاهرة محاولًا إنهاء أوراق استقالتِه من وزارةِ الصحة، شاء القدر أن تكتمل معاناته بالجلوس منكمشًا في (**ميكروباصٍ**) خلف رجلٍ بدين يُصرُّ على الضغطِ بكامل ثقلِه على ساقي مصطفى عبد الحميد غير مراعيًا لطولهما؛ لتستمر هذه المعاناة لساعتين على الطريق الزراعي اللعين بدلًا من الأربعين دقيقة اللازمة لوصولهِ إلى بيتهِ في بنها.

تناول عشاءً كان مقدرًا له أن يكون غداءه ثم جلس في غرفتهَ وأوصل هاتفه المحمول الذي فرغ شحنه بحاسوبهَ المحمول ثم نقل بضع صور وملفات (**فيديو**) إلى حاسوبه المحمول، فتح موقع التواصل الاجتماعي الأشهر (**فيس بوك**) وهمَّ بوضع تلك المجموعة من الملفات على صفحته الشخصية ليتشاركها مع أصدقائه لولا أن ضرب الخوف صدره فتراجع في اللحظة الأخيرة.

مسالمًا كان، يحاول أن يسير إلى جوارِ الحائط متجنبًا المشاكل، حسن الخلق يواظب على فروضهِ الدينية مكثرًا من الاستدلال بما قاله الله وما قاله رسوله الكريم، ولكن زميله ذا الكرش الضخم يُصر على ممازحته بأنه يرى فيه جهاديًا متطرفًا مع إيقاف التنفيذ؛ لا لشيءٍ سوى لبنيتهِ الجسمانية شبه الرياضية وصدره العريض ولحيته التي تبدو نامية مهما حاول حلاقتها، وشعر رأسه الحليق دائمًا، يخشى أن تنتشر هذه الملفات حاملة

اسمه فيظن فيه رجال الأمن نفس ظن صديقه، الفارق أن رجال الأمن لا يعرفون المزاح!

هو لم يستخرج بعد صحيفة أحواله الجنائية لتقديمها لشركة الأدوية الجديدة التي سيعمل بها مندوبًا للدعايةِ الطبية والتي اشترطت عليه إلغاء تكليفه من الحكومة ليسوقه قدره نحو ميدان التحرير ليشاهد لحظات الاعتداء على سندس الليثي ويصورها خلسة، فليتوارى في الكواليس حتى يستخرج صحيفة أحوال جنائية خالية من الأحكام ضده.

فتح إحدى الصفحات الإخبارية على موقع (**فيس بوك**) معروفة بين الجميع بتصدرها صفوف المعارضة، أرسل إليهم الملفات مصحوبة بتعليق:

«**قوات من الشرطة تعتدي على فتاةٍ حاولت التظاهر في ميدان التحرير..**»

راجع كلماته مرة ثانية ثم أضاف إلى تعليقه: «**برجاء عدم نشر اسمي**» ثم أرسلها إليهم.

وضع مصطفى عبد الحميد حاسوبه الشخصي بجانبهِ على الفراش وتمدد إلى جواره لثوانٍ؛ إلى أن تنخفض حرارة كوب الشاي قليلًا ليتمكن من الاستمتاع بمذاقهِ، ولكن غلبه النوم غير مدركٍ لحجم الضجة التي تسبب بها والتي أججت نيران الغضب الإلكتروني المؤقت في نفوس ثائري (**فيس بوك**).



بغددٍ دمعية منهكة غير قادرةٍ على إفرازِ المزيد من الدموع لأيام تالية دخلت سندس الليثي وأبوها شقة الأخير قبل منتصفِ الليلً بدقائق، وجهها الشاحب وعيناها الملتهبتان المنتفختان من شدةِ البكاء لم يشفعوا لها عند أمها فتورجيء الأخيرة تقريع ابنتها الذي لا طائل منه في تلك اللحظاتِ إلى وقتٍ آخر، لولا أن زجرها زوجها وقد فاض بهِ الكيل منها ما توقفت عن تقريع ابنتها إلى قيامِ الساعة!

تلقفت سندس الليثي صغيرها المشتاق إليها بين أحضانها وصعدت دون أن تتفوه بكلمةٍ واحدة لتستريح من إرهاقها وأمها في شقتها رافضة رجاء أبيها بالمكوث معهما تلك الليلة حتى ينبلج الصباح.

لم يبق الصغير لفترةٍ طويلة مستيقظًا وخلد سريعًا إلى نوم هادئ بعيدًا عن بؤسِ عالم الكبار، وقفت سندس الليثي أسفلَ المياه تغتسل وتُطهر جسدها من الوساخات النفسية التي علقت به طوال اليوم، مذهولةً فاقدة للإحساس بالزمانِ والمكان، لم يطل التحقيق معها من قِبل الشرطة بعد تأكدهم من وفاة زوجها بالفعل بالولايات المتحدة، هذا اللواء الذي لا تعلم له اسمًا ربما قد رأى فيها ابنته الشابة ليقرر أنها لا تُمثل أي خطرٍ أو تهديدٍ بخطرٍ محتمل على الأمن العام؛ بعدما تأكد أولًا من عدم إدراج اسمها في سجلاتهم وبعدما ألقى نظرة على اللافتة الورقية التي أحضروها كحرزٍ ضدها؛ والتي تتهم فيها الولايات المتحدة بقتل زوجها والكافية في نظر بعض القضاة لمكوثها في غياهب السجون إلى قيام الساعة، وبعدما تأكد من أن هاتفها المحمول وحسابها الشخصي على موقع (**فيس بوك**) لا يحويان أي توجهاتٍ ثورية، بل قد لمح إعجابها بكثيرٍ من الصفحات التي تُمجد رئيس البلاد.

«**قتلوا زوجي والله.. والله قتلوا زوجي**»

لم تكن تُردد غير هذه الكلمات على مسامعهِ كلما سألها عن السر وراء هذه اللافتة الورقية المبهمة، رآها على وشك السقوط فريسةً لانهيارٍ عصبيّ فصرفها من عندهم دون أن يحرر أي محضرٍ ضدها وكأنَ شيئًا لم يكن، بل أمر بسيارةٍ توصلها إلى موقف الأقاليم بعبود ليستقبلها أبوها جسدًا بلا روح في منيا القمح.

برودة المياه بعدما فقدت سخونتها نبهتها لطولِ مكوثها أسفلها، أنهت اغتسالها وتمددت على الفراشِ محتضنةً صغيرها تستمد بعض الأمن والطمأنينة من سكونه بين أحضانها، أمسكت هاتفها المحمول وجلعت – شاردة – تتصفح تطبيق (**فيس بوك**) الإلكتروني.

رغم شرودها وفقدانها التركيز لمحت مشاركة لإحدى الصفحات المعروفة بمعارضتها للنظام الحاكم مُعَنْوَنة بالكلمات: «**عناصر من الشرطة المصرية تمارس هوايتها المفضلة بالاعتداءِ على إحدى الفتيات بميدان التحرير!**»تحت الكلمات تَمَّت مشاركة صور مهزوزة و(**فيديو**) غير واضح التصوير ذا جودة سيئة للحظاتِ الاعتداء عليها بهمجية من قِبَل قوات الشرطة، أعادت مشاهدة (**الفيديو**) أكثر من مرة ودموعها لا تكف عن الانسكاب على وجنتيها من أثرِ الشعور بالضعفِ والقهر والعجز عن الإتيان بحقها.

تابعت مشاركات المحتوى التي تجاوزت العشرة آلاف مشاركة والتعليقات التي جاوزت الخمسة آلاف تعليق؛ ليُثلِج صدرها المتقد بنيران الحزن رؤية أبشع كلماتِ السباب للنظام الحاكمِ وشرطته، سباب كان يحزنها ويُثير سخطها في وقتٍ سابق مندهشةً من أخلاقِ هؤلاء الشباب التي سقطت في هاويةِ الانحلال متعجبة من تلك الكراهية التي تفوح من نفوسهم، ولكنها في تلك

اللحظات وقد ذاقت من نفسِ الكأس الذي ربما قد ذاقوه من قبل ما عادت تلومهم وإنما تلتمس لهم الأعذار!

الشيء الذي أغضبها هو تطوع الكثيرين بكتابةِ عدة رواياتٍ مختلفة متضاربة من نسجِ خيالهم تُفسر ما حدث ولا تمت للواقع بأيةِ صلة وكأنهم قد شاهدوا بأنفسهم ما حدث، وضاعف من غضبها تقوُّل البعض بأنهم قد حضروا بالفعلِ ما حدث متحدثين في شجاعةٍ كاذبة من خلف شاشات هواتفهم المحمولة أو حواسيبهم الشخصية وهم أشد جبنا من الفئران ولم تر شجاعة من أحدهم إن صَدَقوا حين احتاجت لنجدتهم!

ولكن كل ذلك لم يكن سبب ثورتها العارمة وارتفاع ضغط الدماء في رأسها، وإنما يرجع ذلك لما قرأته من البعض في تفسير ما حدث معها في التحرير، إذ كذب أحدهم مدعيًا أن تلك الفتاة تتظاهر دعمًا لحقوق المثليين، وآخر يدَّعي أنها تطالب بتقنين بيوت الدعارة، وثالثة ادعت تظاهرها ضد سياسات الحكومة بزيادة الضرائب على الصادرات وتعويم العملة المحلية التي أدت في النهاية لارتفاع أسعار مساحيق التجميل!

سحبت من هواءِ الغرفة شهيقًا عميقًا وزفرته ببطءٍ محاولة السيطرة على أعصابها كي لا يدفعها الغضب لتحطيم هاتفها المحمول أو التلفظ بسبابٍ فاحش يوقظ صغيرها، استعاذت بالله من شيطانها الرجيم ثم بدأت في التعليق على هذه المشاركة لتؤكد خلال تعليقها أنها السيدة التي تظهر خلال الفيديو وأنها

ما تظاهرت هناك إلَّا لضياع حق زوجها القتيل دون المزيد من التوضيح عن أسبابِ قتله، وأكدت أن ما حدث معها لا يتعدى كونه سوء تفاهم وأَنها لم تتعرض لأي أذى بعد ذلك من الشرطة والدليل مخاطبتها لهم من بيتها، مطالبة الجميع بتقوى الله في كل ما يقولوا.

أتاها إشعارًا أن بضعة أشخاص قد قاموا بالتعليق على تعليقها الأخير، فشلت في قراءة كلماتهم عندما حاولت أكثر من مرة الوصول لما كتبوه، دخلت على المشاركة الأصلية من الصفحة لتبحث عن تعليقها فوجدته قد حُذِفَ!

استشاطت غضبًا حين لم تجد سببًا لحذف تعليقها، كتبت التعليق مرة ثانية وأرسلتهُ فحذفوه هم أيضًا مرة ثانية، لتكتشف بعد ذلك أنهم قد قاموا بحظر تصفحها لصفحتهم الإخبارية، لم تجد تفسيرًا لما حدث إلَّا رغبتهم في إخراجها من صفحتهم؛ إذ أنها من قومٍ يتطهرون وهم راغبون في عدم تطهير دنسهم ووحلهم الذي يسممون به العقول، ما نشروه من الصور و(**الفيديو**) عبر صفحتهم لم يكن أبدًا تضامنًا معها أو مع قضيتها، السذج فقط من يظنون ذلك!، نفوسهم المريضة تتمنى من أعماقِ قلوبهم أن يتكرر الأمر مرة ثانية وثالثة، يتمنون أن يكون هؤلاء العساكر قد اغتصبوها حتى الموت لا أن يتركوها، لا مانع لديهم من الاستعانة بأي شيءٍ يُعزز من موقفهم في خصومتهم مع النظام، أغضبهم أن تنفي سندس الليثي ما حدث وترجع الأمر لسوءِ فهمٍ

بدلًا من استرسالها في تخيل مشاهد تعذيب واغتصاب من مائةِ ألف (**فرج**) و(**فرج**) جاءوا لينتهكوا طهر فرجها، لا مكان لديهم للمصداقية والنزاهة وتلك القيم الأخلاقية البالية التي لا تعزز من موقفهم، لا سياسة لديهم سوى سياسة القطيع، على الجميع السير مسلوب الإرادة كقطعانِ الكباش دون اعتراضٍ منهم.

بغضبها من ذلك التصرف المتدني الصادر من تلك الصفحة الإخبارية والقائمين عليها؛ تناست سندس الليثي تكالب العساكر فوقها في ميدان التحرير واقتيادها وإلقائها في سيارةِ الشرطة والإهانات التي تعرضت لها وبحثت عن (**الفيديو**) والصور وكتبت مشاركة طويلة على صفحتها الشخصية تشرح فيه الأمر برمته.

« أنا التي تظهر أمام أعينكم في هذه الصور وهذا (**الفيديو**)، أنا طبيبة الأسنان سندس الليثي، أرملة ثَكلى وأم لطفلٍ يتيم.

كنت أود أن أشارككم غضبكم الإلكتروني تجاه الشرطة والذي ما يلبث أن يخمد من تلقاءِ نفسهِ بعد سويعاتٍ قلائل أو تطغي على مشاعركم الغاضبة بهجة انتصار كروي لفريقكم المفضل، التاريخ علمني ذلك فلست أنا الأولى ولن أكون الأخيرة..

لا أخاطبكم بهدف تسول التعاطف، بل إنني قد أزيد من إحباطكم إذ أُخبركم أن ما حدث صباح اليوم في التحرير لم يتعد كونه سوءَ فهمٍ انتهى على خير، وإنني أُحدثكم الآن من منزلي

جوار صغيري دون التعرض لأيةِ تجاوزاتٍ قد تمناها بعض منكم في خيالهم المريض.

إنما أكتب إليكم طالبةً تضامنكم ودعمكم لقضيتي الأساسية التي خرجت صباح اليوم للتظاهر في ميدانِ التحرير من أجلها؛ أن أجد من يدعمني للإتيانِ بحق زوجي المهندس شريف النجار مصري الجنسية الذي قتلته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على أرضهم غدرًا، كل ما أتمناه أن يفخر صغيري أن هذا الشعب الكريم لم يدَّخر جهدًا من أجل القصاص من قتلةِ أبيه، هذا كل ما أود قوله».

نشرت هذه المشاركة على صفحتها الشخصية وأغلقت هاتفها المحمول واحتضنت صغيرها لتنزلق سريعًا إلى النومِ غير مدركةٍ لما تدخره لها الأيام القادمة.



تعجبت سندس الليثي من سيل الرسائل النصية على هاتفها وعلى التطبيقات الإلكترونية الذي انهال عليها حين فتحت هاتفها المحمول في ظهيرةِ اليوم التالي بعد استيقاظها!

رسائل على هاتفها المحمول تُعلِمُها بمحاولاتِ الاتصال بها من أشخاص تعرف بعضهم وآخرون لا تعرفهم، رسائل من أصدقاءٍ لها على موقع (**فيس بوك**) ورسائل من آخرين لا تعرفهم معرفة شخصية، بعضهم يطمئن عليها وعلى سلامتها، وآخرون من الحقوقيين يعرضون عليها الدعم والمساعدة، وصنف ثالث يقبع في مرحلةٍ وسيطة في سلسلةِ التطور بين إنسان الكهف الأول والحمير -إن كان هناك رابط بينهما- يحاولون التحرش بها بكل طريقةٍ ممكنة لدرجةِ أن بعضًا منهم عرضوا عليها الزواج لمساندتها!

- يا سندس!

كان هذا صوت أبيها آتيًا من الصالة خارج غرفتها وقد سمع صوت الإشعارات التي تصدر من هاتفها المحمول.

ـ طلعت لشقتكِ لأطمئن عليكِ فوجدتكِ نائمة، فلم أرد إيقاظك.

انفرجت شفتاها عن ابتسامةٍ حاولت أن تُبْقِي عليها في حديثها معٍ أبيها الذي جلس إلى جوارها في الفراشِ ومسح على شعرها قائلًا في ودٍ:

ـ أيصح ما فعلتيه بالأمس؟.. أثرتِ ضجة على (**فيس بوك**) ونمتِ ملقية كل شيءٍ وراءكِ؟

ـ وهل حضرتك مشترك في (**فيس بوك**)؟

سألته سندس الليثي في دهشةٍ ولكن أباها أزال دهشتها قائلًا بين ضحكاته:

ـ وهل بنات خالتك إلهام سيرون ما كتبتِ ويسكتون؟.. هل يُبل في أفواههم (**فولة**)؟.. أمك أرادت الصعود لإيقاظك منذ السابعة لتفهم منك ما كتبتيه بالأمس وأنا أمنعها.

نظرت سندس الليثي إلى سقفِ الغرفة مليًّا تُرتب أفكارها، ثم شرعت تحكي لأبيها ما سمعته من أيوب أبو الوفا في عيادتها، وما قصه على آذانها بشأنِ مقتل زوجها على يد الحكومة الأمريكية، لم تخبر أباها أنها تعلم التفاصيل كاملة، ثم أخبرته عن قرارها

بالتظاهر والاعتصام بميدان التحرير حتى تُرجِع حق زوجها لتُجبر الحكومة المصرية بوزارة خارجيتها على التدخل لمساعدتها في ذلك.

أخفت عنهما الأمر خوفًا من أن يمنعاها من ذلك بالقوة، ولم تشأ إخبار أبيها لمرةٍ ثانية أن أيوب أبو الوفا هو من أوعز إليها بفكرة التظاهر والاعتصام، ثم أسهبت في سرد تفاصيل ما حدث لها في التحرير، ثم في الجهة الأمنية التي اقتيدت إليها قبل أن يتركوها ترحل دون اتخاذِ أي إجراءات ضدها حتى وصلت للضجةِ التي أحدثها تسريب لصور و(**فيديو**) ما حدث معها في التحرير للمشتركين على مواقع التواصل الاجتماعي.

لم يقاطعها أبوها أثناء سردها لكل تلك الأحداث الجثام التي حدثت في اليومين الماضيين ولم تخبر بها أحدًا على الإطلاق، لم يعاتبها على إخفاء الأمر عنهما، لاحظ أبوها القوة التي تظهر في صوتها واقتناعها التام بما فعلت فتجنب معاتبتها مرجئًا العتاب لوقتٍ مناسب.

- ليس لدي تفاصيل يا أبي للأسف، لكن أنت تعلم بالطبع حساسية المكان الذي كان يعمل به شريف رحمه الله.

كان هذا ردها على أبيها حين سألها عن المزيد من التفاصيل حول مقتل شريف النجار زوجها وكيف تأكدت من صحة ما قيل لها.

تركها أبوها لينقل ما سمعه منها إلى زوجته متطوعًا بامتصاص موجات الغضب الأولى والإجابة بصبرٍ على استجواباتها تاركًا ابنته تختلي بنفسها لتفكر فيما ستفعله في الأيام القادمة.

بعد ساعةٍ نزلت إلى شقة أبويها لتندهش من عدم مفاتحة أمها لها في الأمر، وإن لاحظت كم التساؤلات الضخمةَ التي تتقافز في عينيها والذي ربما أرجئته هي الأخرى حتى رحيل زميلاتها بالمستشفى الحكومي اللاتي جئن للاطمئنان على صديقتهن أو للشماتةِ فيها.



في مساءِ ذات اليوم من داخلِ عيادتها تلقت سندس الليثي اتصالًا هاتفيًا من رقم غير مسجلٍ لديها في سجلِ الهاتف، ظهر اسم صاحبه على أحَد التطبيقاتٍ المتخصصة بكشفِ هوية؛ المتصل باسم أحد البرامج الحوارية المسائية المشهورة الذي تقدمه تلك المذيعة التي تضع على رأسها شعرًا أشقرًا مستعارًا وتتدلى نظارتها الطبية على أرنبةِ أنفها وتمتاز بصوتها الحاد القادر على ثقب طبلتي أذنيك في آنٍ واحد.

كانت تلك المرة الأولى التي تُجيب فيها سندس الليثي على اتصالٍ هاتفي منذ ما حدث في التحريرِ رغم كثرتهم، كانت تُصر على تجاهل كل الاتصالاتِ متجنبة الحديث عما حدث، الجميع يتصلون بعدما أوشك أن يقتلهم الفضول؛ ليشغلوا وقت فراغهم

مستفيدين ببعضِ الدقائق المجانية من باقاتِ اتصالاتهم لتحكي لهم ما حدث لها غير آبهين بالألمِ النفسي الذي ستعانيه في تذكر تفاصيل الأمر.

أجابت الاتصال ليأتها صوت شاب من الطرف الآخر للمكالمة معرفًا نفسه أولًا بأنه واحد من مسئولي الإعداد بالبرنامج ثم قدم لها العزاء في وفاةِ زوجها قبل أن يستأذنها في استضافتها عبر مداخلةٍ هاتفية مع المذيعة المشهورة للحديثِ عن تفاصيل ما حدث لها في اليوم الماضي.

وجدت سندس الليثي في هذا الاتصال فرصة قد لا تأتيها في المستقبل ما قرُبَ منه وما بعد لكي يصل صوتها لأكبر قدرٍ ممكن من الناس، رحَّبت سندس الليثي بالأمر دون كثيرٍ من التردد ودون أن تسأله عن كيفية حصولهِ على رقم هاتفها المحمول!

- د. سندس، من فضلك، لسنا في حاجةٍ للتأكيد عليكِ بعدم مهاجمة أي من الجهاتِ الأمنية، نحن نحاول مساعدتك للحصولِ على حق زوجك.

أعاد عليها مُعِد البرنامج هذه الجملة أكثر من مرة، كل مرة كان يصيغ تحذيره المتخفي وراء رجائه بصيغةٍ مختلفة قبل أن يُخبرها أن تنتظر منهم اتصالًا آخر خلال دقائق.

دقائق رغم قلتها إلا أنها مرت ثقيلة علي سندس الليثي في انتظار اتصالهم بها، ازداد خفقان قلبها قلقًا من عدم اتصالهم وازداد توترها خشيةَ أن يتصلوا وتُحدثهم بالفعل ولكنهاَ تفشل في

إيصال أبعاد القضية التي تحملها وحدها على عاتقها، دقائق قليلة هي كل ما سيُسمَح لها بها لكي توصل رسالتها بإيجازٍ وأن تحذف منها أي إطنابٍ أو حشوٍ لا فائدة منه.

- د. سندس، مساء الخير، نقدم لحضرتك خالص تعازينا في وفاة مهندس شريف النجار زوج حضرتك، ممكن تشرحي لنا ماذا حدث بالضبط؟

في زفيرٍ واحد تحدثت المذيعة بصوتٍ لم يحمل أي قدرٍ من التعاطف أو المواساة لسندس الليثي، لم تُلقِ الأخيرة لذلك بالًا في البداية وجعلت تسرد عبر الهاتف ما حدث بالضبط باختصارٍ شديد، لولا أن قاطعتها المذيعة بكثيرٍ من الصلف حمله صوتها الحاد محاولة فقط تبرئة وزارة الداخلية من تهم الاعتداء على سندس الليثي أو تعرضها لأي ضغوطٍ لكي تبرئ ساحتهم.

- حضرتك أنا أكدت في أول كلامي إن الداخلية لم تتعرض لي بسوء، أنا أتكلم الآن عن حق زوجي الذي..
- يا دكتورة، حضرتك أخطأتي بتظاهرك وكان الأصح اللجوء للطرق القانونية للتحقيق في الأمر عبر القنوات الدبلوماسية المعروفة.

قاطعتها المذيعة مرة أخرى بصوتها الحاد الذي حمل الكثير من الوقاحة، هي حصلت لبرنامجها على التصريح الذي جرى الاتصال من أجله ولا حاجة لها في سماع نواح سندس الليثي وما حدث مع زوجها، ليست سندس الليثي -في نظر المذيعة- أول

أرملة ولن تكون الأخيرة، ولا ترى سببًا لكل هذه الضجة التي تُحدثها، تخلت سندس الليثي عن هدوئها وصاحت غاضبة عبر الهاتف:

- يا أستاذة أنا لو سأتظاهر من أجل الحصول على حق زوجي كل يوم سأتظاهر، أنا بداية من الجمعة القادمة سأعتصم أمامً السفارة الأمريكية إذا لم يتم اتخاذ أية إجراءات من الدولة، الرئيس يقول..

(تيييت.. تيييت.. تيييت)

كان هذا صوت انقطاع الاتصال المفاجيء من قِبَلْ البرنامج ما إن ذكرت سندس الليثي كلمة «**الرئيس**» دون إعطائها الفرصة لتُكمل جملتها ليفهموا منها ما أرادت قوله!

نحت سندس الليثي أخلاقها الحميدة جانبًا وجعلت تسب المذيعة بأبشعِ السباب، لم تكن تعلم بعد أن المذيعة جعلت تسخر منها بعَد أن قطعت الاتصال وتسخر من مطالبها وتستهزأ بها رافضةً أن تتحرك دولة لاسترداد حق من حقوق مواطنيها؛ إن كان في ذلك تهديدًا لمصالحها السياسية والدبلوماسية المشتركة مع الدول الأخرى، رافضةً أن تُضحي دولة بعلاقاتِها الخارجية معِ دولة بحجم الولايات المتحدة من أجل رجل قد يكون قد قُتِلَ نتيجة حادثة سرقة عادية أو على يد تاجر مخدرات لم يحصل على أجره!



رشف أمجد سليمان آخر ما تبقى في فنجان قهوتهِ الرابع هذا المساء مُصرًّا على استنفار كل طاقات خلاياه العصبية واعتصارها اعتصارًا لإجبار عقله على المزيد من التركيز، كانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساءً وهو لا يزال جالسًا أمام مكتبه منذ ساعتين لم يتحرك عنه ولو لدقيقة.

خلال خلوته الليلية بالتقارير الأمنية التي تتجمع لديه من كل أرجاء المحروسة، لا أحد من مرؤوسيه مهما كبر شأنه يمتلك الجرأة على قطع خُلوته تلك دون أن يبادر هو بطلبه، يُطالع أمجد سليمان كل حرفٍ ورد في تلك التقارير باهتمامٍ بالغ وتركيزٍ شديد، متقصيًا المقدمات لما ورد في التقارير وراسمًا في خياله الاحتمالات الممكنة وغير الممكنة التي قد تترتب عليها، قد يطلب من أحد مرؤوسيه مزيدًا من التفاصيل عن أمرٍ ما ليهرعوا إليه قبل أن يرتد إليه طرفه حاملين ما طُلب محاولين قدر جهدهم

البقاء على قيد الحياة وسط سحب دخان سجائره التي يتكدس بها مكتبه رغم اتساعه، لولا خشية غضبه لدخلوا عليه مرتدين أقنعة الغاز بدلًا من انتظار الموت اختناقًا!

انتزعه من تركيزه صوت رنين الهاتف الأكثر أهمية بين الثلاث هواتف التي تتراص على يمينه، الهاتف الوحيد الذي لا يملك معه رفاهية عدم الرد على اتصالاته.

- ما حكاية البنت التي تظاهرت في التحرير بعدما قُتِلَ زوجها يا أمجد؟

- كان يبدو الانفعال في صوت محدثِهِ فأسرع أمجد سليمان يسرد بإيجازٍ ملخص المعلومات المتوفرة لديه في ذلك الوقت.

- والأستاذة التي تعتقد أنها مذيعة ذات أهمية، هل رجعت إليكم أولًا قبل أن تجري هذه المكالمة؟

- لا، سيادتك.

قالها أمجد سليمان بصوتٍ باهت بالكاد يُسمَع منتظرًا كلمات التقريع التي ستنهال على رأسِهِ الأصلع من الشخص الوحيد على هذه الأرض القادر على توبيخه، لم يُخيب المتصل توقعاته وأغرقه بالكثير من التوبيخ على تقصيرهم مُلمحًا إلى فقدانهم السيطرة على زمام الأمور، بل وفقدانهم السيطرة على الإعلام بالكامل، خطأ ساذج من مذيعة أرادت بغبائها أن تُقدم لهم المزيد

من فروض الطاعة والولاء تُسبب في توبيخهِ بهذه الطريقة التي كان مجبرًا على تحملها.

ـ وما أخبار هذا الموضوع على (**فيس بوك**) ومواقع القمامة التي تماثله؟

ـ أحدث ضجة سيادتك للأسف في الأربع وعشرين ساعة الأخيرة.

أجابه أمجد سليمان بصراحةٍ بالغة دون أية محاولة لتجميل المعلومات التي لديه مدركًا أن مُحدثه يسأل فقط من قِبَل التأكد من معلومةٍ قد وصلته بالفعل من جهةٍ أخرى، لا يسأله عن جهل.

ـ أنا أعرف أنه قد أحدث ضجة.

ـ تحب سيادتك نتدخل أو نحدث ضجة أكبر حول أمر آخر يشغل الناس عن هذا الموضوع؟

سكت الطرف الآخر لفترةٍ طالت، احترم أمجد سليمان صمت محدثه إذ لم يكن لديه أبدًا خيارًا آخر غير احترامه، اكتفى فقط بخطف نظرة على لوحة أزرار الهاتف ليتأكد أن الخط لم يُقفل في وجهه.

ـ صُب زيتًا على النار يا أمجد.

ـ تمام سيادتك.

قالها أمجد سليمان دون تفكير.

ـ أقدر أحس بأثر الزيت خلال كم من الوقت؟

ـ ثمان وأربعون ساعة سيادتك.

ـ كثير، أمامك أربع وعشرون ساعة فقط يا أمجد.

ـ سيادتك...

ـ أمجد..

قالها الطرف الأخر في تحذيرٍ لأمجد سليمان من الاعتراض، تحذير يُدرك أمجد سليمان معه عواقب التمادي في الاعتراض.

ـ أربع وعشرون ساعة سيادتك.

ـ وائل البدراوي يتصل بها بنفسه الآن، بنفسه يا أمجد وليس عن طريق أحد من الإعداد؛ يعتذر لها عما حدث في هذه الليلة من هذه المذيعة الحمقاء، ويستأذنها في الظهور عنده في برنامجهِ كضيفةٍ غدًا، أريد آلاف الإعلانات تُبث من الليلة عن هذه الحلقة، وتظهر معه في الحلقة المذيعة الشابة التي قدمت احتفاليتنا الأخيرة، أريد إعلانًا عن الحلقة في أكثر من جريدة عن استضافة زوجة المهندس المصري الذي قُتِلَ في الولايات المتحدة، كلامي واضح يا أمجد؟

ـ واضح سيادتك، رسالة للجميع أن الدولة تقف وراء كل مصري خارج مصر قبل داخلها.

ارتفع صوت ضحكات الطرف الآخر للمرةِ الأولى منذ بداية الاتصال ساخرًا من سذاجة أمجد سليمان في تفسيرِ أوامره، كتم

أمجد سليمان استياءَهُ من سخرية مُحدثه إذ لم يكن باستطاعته أن يعلنه، ثم بدد استياءه مجبرًا إذ كان يخشى أن يصل محدثه لما قد يدور في خلدهِ دون أن يحرك به لسانه!

ـ سمها كذلك يا أمجد إن أردت.. يا أمجد تعلم مني ما ينفعك للأيام القادمة، مقتل هذا الرجل هو جريمة حدثت في أمريكا، تخيل أيها الشعب.. أمريكا تقتل مواطنًا مصريًا وفي نفس الوقت يأتون إلينا محاولين الضغط علينا عندما نقبض على بضعة عملاء وبضعة شواذ من مدَّعي الدفاع عن حقوق الإنسان، أَلَم يظهر أحدهم في الكونجرس اليوم ويلوِّح في عجرفةٍ بوقف المساعدات بعد القبض على الشاذ مصعب عبد الجواد، إذًا لنضغط من جانبنا نحن أيضًا يا أمجد ما دام الضرب مستمرًا تحت الحزام، لا حاجة لنا لإظهار أدلة إدانة هذا الكلب، ولن نقف كالمتهمين محاولين تبرئة ساحتنا، لنعاملهم بالمثل يا أمجد.

ـ نتعلم دائمًا من حكمة سيادتك.

قالها أمجد سليمان في صدقٍ لا نفاق فيه، كان يرى دائمًا أن مُحدِّثه أكثر حكمة ودهاء منه ومن غيره بالفعل.

أمجد سليمان يرى أنه ممن مَنَّ عليهم قدرهم بالعمل مع هذا الرجل لسنين، ويرى أن أكبر تشريفٍ ووسام قد حصل عليه خلال تاريخه العريض هو ثقة هذا الرجل به، أنهى محدثه المكالمة

مؤكدًا عليه أن يبلغه بأيةِ تطوراتٍ جديدة أولًا بأول، أسرع أمجد سليمان بتنفيذ كل الأوامر التي تلقاها بحذافيرها بأقصى سرعةٍ ممكنة كعادته.

من المعروف لدى الجميع أن وائل البدراوي أحد أهم أذرع النظام الإعلامية، مثالي للغاية في طاعتهِ لكل ما يُطلَب منه، دقيق في التزامه بالنص دون الحيود عنه رافضًا أي اجتهادٍ مسبق أو ارتجال، استطاع تبوء مكانة هامة بين زملائه من المذيعين في مختلف القنوات التلفزيونية رغم لثغته الظاهرة في حديثه، جديته الدائمة أمام الكاميرات وخلفها صعَّبت من مهمة المعارضين والمتربصين في الهجومِ عليه، براعته في استدراج ضيوفه لإيقاعهم ضحايا ذلاتهم جعلتهَ أغلب الوقت في الصدارة، يقر بمهنيته كارهيه الكثر قبل محبيه القلائل!

انكمشت واجمة سندس الليثي في غرفة انتظار الضيوف جوار (**الاستديو**) منتظرة دورها في الدخول بعد مقدمة البرنامج، لا زالت مرتابة من تلك الضجة الإعلامية التي تلت مباشرةً موافقتها على الظهور في برنامجهم، وازدادت ريبتها حين علمت باشتراك أكثر من قناةٍ في إذاعة الحلقة، وبلغت ريبتها ذروتها حين لمست ودًا مبالغا فيه أثناء استقبالها، بل واعتذار المذيع وائل البدراوي بنفسه عن السلوك غير المهني من المذيعة ذات الشعر الأشقر

المستعار والصوت الحاد، مؤكدًا للمرةِ الثانية أن استضافتها في هذه الحلقة هذه الليلة للتركيز فقط على ملابسات مقتل زوجها لا على ما حدث معها في ميدان التحرير!

قبل أن يفرغ القلق من امتصاص روحها، أتاها فرد من الإعداد ودعاها للدخول (**للاستديو**) مع بداية الفاصل الإعلاني الأول.

بخطىً مرتعشة من رهبة الموقف تبعته نحو (**الاستديو**)، كانت المرة الأولى لها التي ترى فيها هذه البقعة الواقعة بعيدًا عن حيز التصوير، من انبهارها بالأضواء البراقة كادت تتعثر أكثر من مرة في أسلاك الكاميرات؛ في طريقها نحو المقعد الذي ستجلس عليه أمام وائل البدراوي والمذيعة الشابة نصف المشهورة التي لا تتذكر سندس الليثي اسمها.

انتهى بعض العاملين من تنظيف الأرضية وتلميعها وضبط مساحيق التجميل على وجه المذيعة الشابة مع آخر نداءٍ من المخرج عبر السماعات الداخلية معلنًا انتهاء الفاصل الإعلاني، ثم بدأ العد التنازلي للعودة ثانية للبث المباشر للحلقة التي لم يكن يتوقع أحدٌ على الإطلاق أن تنتهي بتلك النهاية الصادمة!



12

تلعثمت سندس الليثي في البداية أكثر من مرة من رهبة الحديث أمام كل هذه الكاميرات المسلطة عليها، ثم ازداد ثباتها تدريجيًا مع مرور الوقت وهي تحكي بتؤدة عن زوجها القتيل شريف النجار وكيف التقته وتزوجته، تضاعفت ثقتها في نفسها وهي تتحدث بصدقٍ مادحةً في شخصهِ مديحًا كان يستحقه بلا أية مجاملات كما أَجمع جميع من عرفوه من قبل، قليلات هن الزوجات اللاتي يمتدحن أزواجهن على الملأ، ونادرات هن اللاتي يُصررن على امتداحهم بعد وفاتهم.

أنهى وائل البدراوي الفقرة الأولى من الحوار وقد تعرَّف المشاهدون على شخص القتيل ليُعطي فرصة لسندس الليثي لتهدأ ملتقطة أنفاسها وقد بدأت الدموع تنسل من عينيها رغمًا عنها؛ فتحشرج صوتها واختلطت حروف كلماتها فيجد السامع صعوبة في فهم ما تقوله.

ـ د. سندس ممكن تحدثينا بشكل أكبر عن عمل مهندس شريف رحمه الله.

كان هذا السؤال من المذيعة الشابة بعد العودة من الفاصل الإعلاني، مهدت للإجابة عن سؤاله بالحديث عن دراستهِ بكلية الهندسة بجامعة عين شمس، ثم تعيينه معيدًا بالكلية، ثم سفره إلى فرنسا بعد الحصول على منحةٍ لدراسة الماجيستير قبل أن ينتقل للعمل واستكمال دراساته وأبحاثه العلمية في الولايات المتحدة.

ـ أين بالضبط في الولايات المتحدة؟

ـ في الإدارة الوطنية للملاحة الجوية والفضاء التابعة لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

ـ د. سندس، هل تقصدين ناسا؟!

ـ نعم.

قالتها سندس الليثي في ثباتٍ ردًا على سؤال وائل البدراوي، قالتها وصمتت بعدها لتُخيم على (**الاستديو**) ثوان من الصمت المطبِق؛ إذ لم يتوقع أحد المذيعين هذه المفاجأة وقد رفضت سندس الليثي التحدث مع أيٍ من وسائل الصحافة أو الإعلام أو إعداد البرنامج أو الشرطة نفسها عن أي تفاصيل تخص زوجها منذ مقتله حتى تلك اللحظة التي تجلس فيها أمام الكاميرات، لم يكن لدى وائل البدراوي أو المذيعة الشابة ـ التي لا فائدة من معرفة اسمها ـ خيارًا للاعتراض!

- تقصدين أنه قد عمل مع جهة لها أعمال مشتركة مع ناسا يا د. سندس؟
- لا أستاذ وائل، شريف زوجي -رحمه الله- كان يعمل لدى ناسا في تطوير محركات الدفع الصاروخي.
- وهل كان مهندس شريف رحمه الله يحمل الجنسية الأمريكية؟
- شريف حصل على الجنسية الأمريكية لكنه رفض بشدة التخلي عن الجنسية المصرية وكان دائم الرفض لاقتراحات أسرتينا أن يولد ابننا ياسين في الولايات المتحدة من الأساس.

قالتها سندس الليثي في حدةٍ قاطعةً الطريق أمام أيةِ محاولة للتشكيك في وطنية زوجها لازدواج جنسيته مثلما فعل آخرون مع غيره.

- هذا حس وطني من النادر أن نرى مثله د. سندس.

قالتها في تأثرٍ مفتعلٍ للغاية المذيعة الشابة ليقاطعها وائل البدراوي سائلًا باهتمام:

- د. سندس، هل يوجد أيةِ ملابسات سبقت مقتل مهندس شريف؟

سحبت سندس الليثي شهيقًا عميقًا وزفرتهُ في بطءٍ كي تُعطي فرصة لعقلها ليرتب كلماتها التالية، ثم شرعت تحدثهما عن مطلب زوجها منها وإصراره على عودتها وصغيرها لمصر معللًا التفرغ لبحثٍ جديد يشغل كل تفكيره، ثم تحدثت عما تلى عودتها وصغيرها من تغير طباع زوجها في الفتراتِ الأخيرة التي سبقت مقتله على وجه التحديد.

- المعذرة د. سندس، هذا يعتبر كلامًا عامًا، ومن الطبيعي جدًا أن يمر أي إنسان بمراحل اكتئاب مثلًا خلال حياته ومن الوارد أن يكون ذلك بعد عودتك إلى مصر.

هزت سندس الليثي رأسها في تفهم منها لمنطقهِ، ثم طالبته في هدوءٍ بالانتظار حتى تكمل حديثها الذي سيتضح منه صحة شكوكها، أعطاها الفرصة كاملة لمواصلة الحديث لتُحدثه عن أقوال زوجها بأن الاتصالات جميعها مراقبة وعن إصراره على الحديث معها عبر أحد المواقع الكورية غير المعروفة بحجة أنها أكثر أمنًا.

حدثتهما عن اختفائهِ المفاجئ ومراسلاتها مع ناسا، وحدثتهما عن إنكارهم لعمل زوجها لديهم ثم تراجعهم حين واجهتهم بالمستندات، وعن ردهم بأن زوجها قد تم فصله، حدثتهما عن استنجادها بالسفارةِ الأمريكية في القاهرة وعن إخبارهم لها بالعثور على جثتهِ لتكتشف إصابته برصاصةٍ من محترف في منتصف رأسه.

ـ د. سندس، هل يوجد متهم محدد تتهمينه بقتل المهندس شريف النجار؟

ـ بالطبع، ناسا والحكومة الأمريكية هما من وراء مقتله.

بُهِت المذيعان من رد سندس الليثي الواثق غير المتوقع وبدت الصدمة جلية على وجهيهما، ثم حاول وائل البدراوي بحنكتهِ استعادة ثباته معلنًا عن الخروج لفاصلٍ إعلانيٍّ آخر يتبعهُ العودة لاستكمال الحديث كي يُعطي لنفسه ولزميلته الفرصة لبناء الهيكل العام للأسئلة التالية وفقًا للمتغيرات الأخيرة الصادمة، ولكن لم يكن يعرف أن هناك صدمات أخرى في انتظاره!



مع بدأ الفاصل الإعلاني نهض وائل البدراوي من مقعده ووقف إلى جوار سندس الليثي التي كان قلبها على وشك التوقف من شدة خفقانه من أثر انفعالها، انحنى مقتربًا منها هامسًا:

ـ دكتورة، أأنتِ متأكدة مما قلتيه؟

قالها في ودٍ لا تشكيكٍ في صحة كلامها، هزت رأسها في تأكيدٍ، فاستطرد قائلًا:

ـ حسنًا، أنا أريد فقط أن تهدئي وتُرتبي كلماتك ولا تخشي شيئًا.

عبر السماعة المعلقة بأذنهِ أتتهُ تعليمات المخرج بانتهاء الفاصل؛ فعاد سريعًا إلى مقعدهِ منتظرًا انتهاء العد التنازلي لعودة البث المباشر.

بدأ البث المباشر للبرنامج فأعلنت المذيعة الشابة عن استقبالهم اتصالًا هاتفيًا من وزارة الخارجية المصرية:

- سيادة وزير الخارجية شخصيًا معنا على الهاتف، مساء الخير معالي الوزير.

قدمه وائل البدراوي ليدخل وزير الخارجية في صلب الموضوع مباشرةً بعد الترحيب بالمذيعين والضيفة والجمهور من المشاهدين، مؤكدًا أن الدولة المصرية تقف كعادتها حامية لأي مواطن مصري داخل مصر أو خارجها، وأن كرامة المواطن المصري جزء لا يتجزأ من كرامة الدولة، واستطرد مستخدمًا العديد من تلك العبارات التقليدية عن أهمية دور الدولة في الحفاظ على حقوق المواطنين، تلك العبارات الإنشائية المعتادة التي تمنح طلاب الصف الثالث الإعدادي الدرجة الكاملة في سؤال التعبير في امتحانات اللغة العربية إن حشروها حشرًا في موضوعاتهم!

- أنا في انتظار تشريف الدكتورة سندس لي في مكتبي ومعها الأوراق والمستندات التي تُثبت كلامها لكي نشرع بإذن الله في اتخاذ الإجراءات القانونية والدبلوماسية اللازمة لإعادة حق مهندس شريف رحمه الله.

شكره وائل البدراوي على هذه الدعوة الكريمة ثم شكرته المذيعة الشابة المبتهجة بأنها حصلت على فرصتها في مخاطبة وزير الخارجية المصري، ثم شكرته سندس الليثي على دعمهِ الشخصي واهتمامه المحمود محاولة إقناع نفسها بأن ما قاله وزير الخارجية من عباراتٍ إنشائية وشعاراتٍ زائفة لن تندرج تحت مسمى «**كلام الليل المدهون بالزبد؛ إذا ما طلع عليه النهار يسيح!**»

- د. سندس، اتهام حضرتك لناسا والإدارة الأمريكية خطير جدًا، ولكن حضرتك قلتِ أن لديكِ أدلة بالفعل تُثبت تورطهم في الأمر.

أكدت سندس الليثي على صحة ما قاله ثم فتحت ملفًا بلاستيكيًا أسودًا؛ لتستعرض من بعيد ما بداخله والكاميرات تحاول عبثًا التركيز على المحتوى فيجانبها التوفيق.

- ناسا نفت في البداية عمل شريف زوجي رحمه الله لديهم، وعندما واجهتهم بصورٍ لأخبارٍ نُشِرَت عنه على موقعهم الإلكتروني تراجعوا عما قالوه، وقالوا أنهم فصلوه من العمل.. بالمناسبة لقد فوجئت بحذف تلك الأخبار من موقعهم الإلكترونيّ في وقتٍ لاحق!، عندما توجهت إليهم لأستعلم عن سبب فصل زوجي من العمل؛ أخبروني أن الفصل كان بسبب اختراقه لسياسات السرية

وهو ما كان يضعه أمام طائلة القانون وفقًا للإقرارات التي وقَّعَ عليها في بداية عمله!

توقفت سندس الليثي عن الحديث وكأنها أنهت كل ما تود قوله، بينما ظل المذيعان صامتين ينتظران أن تُكمل ما لديها، صوت صريخ المخرج في السماعات المعلقة بأذنيّ المذيعين كاد أن يسمعه المشاهدون في منازلهم مطالبًا إياهما بكسر حالة الصمت تلك، بادرت المذيعة بتوجيه السؤال محاولةً أن تُظهر للمخرج براعتها ومهنيتها وابتسامة ثقة تزين فمها سائلة سندس الليثي:

- السؤال هنا د. سندس، ما الذي دفعك للربط بين مقتل مهندس شريف وفصله من عمله؟

بدا على وجه سندس الليثي التردد لبرهةٍ من الزمن ثم قالت متلعثمة:

- لدي أدلة.

تحدث وائل البدراوي في بطءٍ ضاغطًا على كل حرفٍ من حروف كلماته سائلًا:

- دعينا نسأل السؤال بشكلٍ آخر د. سندس، ما الذي يدفع ناسا أو الحكومة الأمريكيَّة لقتل مهندس شريف؟شريف كان منشغلًا ببحثٍ هام، كان دائمًا ما يصفه بأنه سيقلب موازين العلم الحديث والقديم رأسًا على عقب، وقد

انتوى أن يعود لمصر بشكلٍ نهائيّ مباشرةً بعد الانتهاء من بحثه.

ـ معذرةً، لا أفهم العلاقة بين البحث ومقتله.

ترددت سندس الليثي قليلًا قبل أن تُجيب في حذرٍ:

ـ هذا البحث كان ليتسبب في ضررٍ مباشر لناسا والإدارة الأمريكية وهو ما اضطره لاستخدام بعض المعلومات التي توصل إليها دون تصريحٍ رسميّ من ناسا.

ـ وما الذي يدفع ناسا لترفض التصريح له باستخدام هذه المعلومات ما دامت أبحاثه جميعها تتم تحت إشرافهم؟

سألتها المذيعة في اندهاشٍ ورصدت الكاميرا نظرة التعنيف من وائل البدراوي لها على مقاطعتها لحديث سندس الليثي، نظرت الأخيرة إلى سقف (**الاستديو**) في توترٍ غير راغبةٍ في الحديث عن تفاصيل البحث؛ فيتردد في عقلها صوت أيوب أبو الوفا الهادىء يُطالبها بأخذ ثأر زوجها بإيصال رسالتهِ إلى العامة، لم يُعرِّض شريف النجار حياته للخطر من أجل أن يبقى ما توصل إليه سرًا لا يعلمه إلا زوجته وأيوب أبو الوفا.

شعر وائل البدراوي أن هناك شيئًا ما تُخفيه ضيفته فقرر أن يضرب على الحديد وهو ساخن سائلًا:

ـ د. سندس، سأتحدث بصراحةٍ أرجو أن تتقبليها، المشاهد سيتسائل عن مدى أهمية المعلومات التي تدفع وكالة بحثية مهتمة بالعلم والأبحاث العلمية وخدمة البشرية للقتل، لا أقصد تكذيبك بالطبع، ولكن أنتِ لا بُد أنك تتفقين معي أن هذا أمر صعب التصديق بعض الشيء، إلى أي مدى كانت هذه المعلومات سرية؟

ـ سرية لأقصى درجةٍ ممكنة.

لم تستطع سندس الليثي تجاهل سؤال وائل البدراوي إذ سيُعد تجاهلها له تشكيكًا في مصداقية كل ما قالته، الأخير ضاعف من حصارها إذ عاجلها بسؤالٍ آخر دون أن يمنحها فرصة لالتقاط أنفاسها أو التهرب سائلًا:

ـ د. سندس، المشاهد كله فضول أمام شاشات التليفزيون، يتسائلون ما هو موضوع ذلك البحث تحديدًا؟

صوت ابتلاع سندس الليثي لريقها سمعهُ الجميع أمام الشاشات وهم يلحظون توترها الواضح ونظراتها المتهربة من عدسات التصوير أثناء الإجابة قائلةً:

ـ البحث كان أكاديميًا بشكلٍ كبير، من الصعب على المشاهد أن يستوعب محتواه..

ـ د. سندس، دعينا نراهن على ذكاء المشاهد المصري كما نفعل دومًا، نبذة صغيرة عن موضوع البحث ستكون كافية للغاية، ودعيني أكرر، من الوارد أن البعض يتسائل

الآن أمام الشاشات عن إمكانية وجود بحثٍ علميٍّ جاد لعالم مصريّ تخشاه وكالة دولية بحجم ناسا، بل وتسعى لقتلهً لمنع نشر هذا البحث.

ـ يوجد بحث أستاذ وائل بهذه الخطورة، أنا لا أكذب.

ـ أي بحثٍ سيُمثل خطرًا بالغًا بهذا الشكل؟

ـ بحث عن الـ Flat Earth.

لم يفهم وائل البدراوي أو المذيعة الشابة ما معنى المصطلح الذي قالته سندس الليثي، ولكن وائل البدراوي أخفى جهله باحترافيةٍ يُحسد عليها قائلًا:

ـ نحتاج توضيحًا أكثر د. سندس.

ـ الأرض المسطحة أستاذ وائل، البحث كان عن الأرض المسطحة.

بدت البلاهة جلية على وجهيّ المذيعين غير فاهمين عن أي شيءٍ تتحدث سندس الليثي، إلى أن أنار هذا المصطلح ضوءً في عقل واحدٍ من فريق الإعداد ليهرع إلى المخرج ويهمس في أذنهِ بكلماتٍ لاهثة اتسعت لها عينا المخرج من وقع المفاجأة.

ـ اختم الحلقة يا وائل.. بسرعة يا وائل.

لم ينتظر المخرج الكثير من الوقت ليصرخ في أذنيّ المذيعين بأوامرهِ عبر السماعات المعلقة بأذنيهما، لم يتوقف المخرج عن صراخه حتى قام وائل البدراوي بتنفيذ الأمر شاكرًا

ضيفته ومودعًا المشاهدين غير مدركٍ للسر وراء الجنون الذي أصاب المخرج، أنهى وائل البدراوي الحلقة دون إعطاء الفرصة للمذيعة الشابة لتُحيي المشاهدين أو الضيفة متجاهلًا عبوسها لغضبها من تجاهلها.

سندس الليثي الوحيدة داخل حجرة (**الاستديو**) التي كانت تدرك خطورة ما قالته للتو، تعرف جيدًا حجم الضجة التي ستُحدثها كلماتها على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة في الساعات القادمة، تؤمن أن الجميع سيتركون كل شيءٍ ولن يثرثرون سوى عما قالته، سيثرثرون كثيرًا عن ذلك المصطلح الجديد على آذان الكثيرين..

مصطلح «**الأرض المسطحة**»!



في تمام الثانية بعد منتصف الليل وصلت سندس الليثي إلى بيتها بعدما أَوصلتها سيارة فاخرة تابعة للقناة، نفذ شحن بطارية هاتفها المحمول أثناء تواجدها في (**الاستديو**) لتسجيل الحلقة؛ فلم تتمكن من متابعة التطورات على مواقع التواصل الاجتماعي عقب انتهاء حلقتها، فقط اكتفت باستئذان السائق في إجراء اتصالٍ من هاتفهِ المحمول بأسرتها لطمأنتهم أنها على طريق العودة.

استقبلها أبواها فرحين بثباتها خلال الحلقة وسعداء بالمداخلة التي أجراها وزير الخارجية بنفسهِ مما عكس اهتمامًا رسميًا رفيعَ المستوى من الدولة بالأمر، لم يفهم أبواها ـ اللذان عملا جُل عمرهما بالضرائب وسط العمليات الحسابية والأرقام ـ عن ماذا تحدثت سندس الليثي في آخر الحلقة وعجَّلَ بنهاية الحلقة، لم يشغلا بالهما بما قالت عن تلك الأرض المسطحة التي تسببت في

مقتل زوجها، وانصب حديثهما على ضرورة التركيز على المقابلة التي ستجمعها بوزير الخارجية في اليوم التالي، أمَّا سندس الليثي فكان الفضول يكاد يقتلها لمعرفة كيف استقبل الآخرون كلامها وبماذا علقوا على صفحات التواصل الاجتماعي.

حملت صغيرها النائم على كتفها وصعدت لشقتها متعللة بإرهاق السفر وحاجتها للراحة قبل صباح اليوم التالي، وضعت صغيرها في فراشها وأوصلت هاتفها المحمول بالشاحن وحلت ربطة حجابها واستلقت على فراشها تنعم بلحظاتٍ من الراحة في انتظار أن يعمل الهاتف مرة ثانية، ولكنها رغمًا عنها استسلمت للنوم بدافع الإرهاق دون أن تُغير ملابسها لتطاردها كوابيس من السخرية منها ومما قالته طوال الليل.



إن كنت تنوي تفجير قنبلةٍ فعليك أن تبتعد عنها تمامًا بعد إلقائها قدر جهدك، دعها تنفجر وتُحدث أثرها كاملًا ثم عُد بعد فترةٍ كافية لتنظر ماذا خلَّفَت ورائها.

هذا ما كانت تُؤمن به سندس الليثي وهو ذاته ما قررت فعله في صباحِ اليوم التالي!

عندما أيقظها أبوها في الصباحِ الباكر لم تُلقِ أيةَ نظرة على حسابها الشخصي على موقع (**فيس بوك**) لترى أثر ما قالت بالليلةِ الماضية؛ خشيت أن يستفزها أحدهم بكلماته لتتسرع هي بتعليقٍ

غاضب غير محسوبٍ عواقبه لينالها حظ سيء من أثرِ القنبلة التي فجرتها -شبه مجبرةٍ- في نهاية البرنامج في الليلةِ التي مضت.

تولى أبوها قيادة السيارة مصطحبًا معه سندس الليثي وطفلها في طريقهم للقاهرة لمقابلة وزير الخارجية المصري، أصر أبوها على الانتظار بالسيارةِ رافعًا عنها الحرج؛ إذ قد يُمنع من الدخول معها لدواعٍ أمنية، لم يستجب لإلحاحها على تواجده إلى جوارها في الدقائقِ القادمة التي بثت رهبةً في نفسها منذ استيقظت صباحًا؛ إذ كانت المرة الأولى التي تقابل فيها مسئولًا رسميًا في الدولة، أكبر منصبٍ رسميّ قابلته في حياتها هو عميد كليتها في محاضرةٍ واحدة خلال الخمس سنوات التي قضتها في الكلية.

مشت بخطواتٍ حاولت أن تبدو ثابتةً واثقةً ممسكةً بذراعٍ صغيرها نحو مدخل وزارة الخارجية؛ لتجد في انتظارها مسئولًا من الوزارة كان قد ترك رقم هاتفه مع إعداد البرنامج في الليلةِ التي مضت ليرتب إجراءات زيارتها لهم.

مقابلة ودية كانت مع وزير الخارجية أعادت عليه تفاصيل الموضوع من البداية وقامت بتسليمهِ كل ما لديها من مراسلاتٍ مع السفارةِ الأمريكية أو مع ناسا، خلال جلستها وصغيرها مع وزير الداخلية قام مصورٌ تابعٌ للمركز الإعلامي بالوزارة بالتقاط عدة صورٍ لهم على مدار اللقاء، حرص خلال هذه اللحظات وزير الخارجية على إظهار أبوته في التعامل مع الصغير ياسين، لم يتطرق الحوار بينهما على الإطلاق إلى أي شيءٍ بخصوص

مقتل زوجها، وركز الرجل خلال حديثه معها على حادثة القتل من الجانب الجنائي.

خرجت سندس الليثي وطفلها من اللقاءِ غير معلقةٍ للكثير من الآمال عليه، غير واثقةٍ من جدية تحرك الخارجية على المستوى الدبلوماسي وما قد يُحدثه من تأثيرٍ على العلاقات السياسية المعقدة بين البلدين، ولكن اللقاء كان بمثابة ضرورة حتمية لطرق جميع الأبواب من جانبها علَّ وعسى أن يكون فيها عودة لحق زوجها القتيل.

في طريق خروجها من الوزارة استوقفها جمعٌ من الصحافيين ليمطروها بوابلٍ من الأسئلة، أخبرتهم بما دار بينها وبين وزير الخارجية مؤكدةً على فخرها باهتمام الدولة المصرية بإرجاع حق زوجها القتيل، حاولت قدر جهدها َالتحلي برباطةِ الجأش وأعلى درجاتٍ ممكنة من ضبط النفس؛ حين حاول أحد الصحافيين السخرية مما قالتهُ بشأن تسطح الأرض في البرنامج في الليلةِ الماضية؛ لتؤكد للجميع غاضبةً أن قضيتها الأساسية هي القصاص ممن تسببوا في مقتل زوجها ولا شيء آخر في تلك اللحظات، مطالبةً الجميع بالتعامل معها على أنها أرملة لقتيل، وكل خبراتها العلمية تتركز فقط في طب وجراحة الفم والأسنان، وليتول الأكاديميون مناقشة أي أمرٍ علميّ جاء ذكره في البرنامج مما لم تُحِط هي به علمًا بدلًا من التهكم والسخرية من كلماتها بغير مراعاةٍ لمصابها الجلل.

استغلت سندس الليثي سخرية هذا الصحافي الشاب زريعةً لإنهاء الحوار معهم والإسراع حاملةً صغيرها بين أحضانها عائدة لأبيها الجالس في سيارته بانتظارها.



مساء ذلك اليوم كان أكثر صخبًا من نهاره، جلست سندس الليثي في فراشها تتصفح تطبيق (**فيس بوك**) عبر هاتفها المحمول بينما يلهو صغيرها عابثًا بكل شيءٍ في الغرفة، عددٌ هائلٌ من إشعارات التنبيه يصلها باستمرار، أصدقاء يُلفتون انتباهها إلى مشاركاتٍ بشأنها أو آخرون يُعلقون على مشاركاتٍ ذَكر أحدهم اسمها بها.

لم تُلقِ بالًا إلَّا للبيان الصادر من السفارة الأمريكية بالقاهرة الذي استقبلته وسائل الإعلام وأعادت نشره، كان في نظرها لا يحتوي إلا على هراء، كلماتٌ مستهلكة وشعاراتٌ كانت رنانة لكنها فقدت بريقها من كثرة التكرار، لا بد أن لديهم نصًا معتمدًا ينسخون بصمة غرورهِ وعجرفته وتعاليه على برنامج «**الوورد**» من خلال الأداة «**Format Painter**» ليعيدوا لصق تلك البصمة على أي هراءٍ للشجب أو الإدانة أو الإعراب عن الاستنكار، لا

يهم الهُراء الذي سيقولوه، الذي يهمهم هو ألَّا يخلو من الغرور والعجرفة والتعالي الأمريكي اللائي يتفردون بهم.

هراء للتعبير عن الاستياء من الاتهامات الباطلة الموجهة لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، مهَّدُوا بيانهم أولًا بالتهكم على الادعاءات القائلة أن ناسا كجهةٍ حكومية أمريكية تمارس الاغتيالات بدلًا من البحث العلمي الهادف لخدمة البشرية؛ وصولًا للسخريةِ البالغة من التقول بأن الأرض التي يعلمها الجميع هي في الأصل مسطحة لا كروية الشكل، تلك الأقاويل التي ترددت عبر وسائل الإعلام المصرية في الوقت الذي ينشغل فيه العلماء في قارة أخرى في الجهةِ المقابلة من الكرة الأرضية بأبحاثهم الهادفة نحو هبوط البشر على سطح كوكب المريخ كبداية.

انتهى بيانهم بالتأكيد على أن حكومة الولايات المتحدة هي الأحرص على وجه هذه الأرض الكروية على أمن وسلامة المواطن الأمريكي داخل حدود الولايات المتحدة وخارجها ولا تنتظر توجيهات من حكومات دولٍ أخرى وخاصةً أن حكومات تلك الدول لديهم تاريخًا أسودًا حافلًا بانتهاكاتِ حقوق الإنسان والأولى بحكوماتِ تلك الدول أن تُوفر لمواطنيها مناخًا مفعمًا بالحرية بدلًا من قمع الحريات واعتقال الأبرياء والتضييق على المعارضين!

لم يضايقها بيان السفارة الأمريكية قدر ضيقها من عباراتِ سخرية وتهكم البعض ـأثناء مشاركتهم للبيانـ والتي طالت

شخصها مدَّعين كذب قضيتها، فعلوا ذلك نكاية في النظام السياسي المصري الحاكم، وكأن تحقيق مكاسب ضد نظام الحكم أهم لديهم من القصاص لدماءِ مواطن مصري قُتل غدرًا خارج حدود وطنه.

هي قد رأت مثلهم الكثيرين مع كل حادثٍ إرهابيٍّ غاشم يحدث على أرض الوطن، لا يحترمون حُرمة الدم ويشرعون في السخريةِ من الدولة وأجهزتها الأمنية مُلقين اللوم كله على فشل الأجهزة الأمنية في توقع الاعتداءات دون توجيه كلمة لومٍ واحدة لمرتكبي تلك الحوادث الإرهابية.

كانت الرؤية لا تزال ضبابية بشأن الأرض المسطحة عند معظم الذين شاهدوا لقاءها في الليلةِ الماضية، لكن أتت النجدة لأغلبهم في فيديو تم مشاركته على موقع يوتيوب لمذيعٍ حنجوري على قناةٍ تُبث من تركيا تحت عنوان:

«**مقدمة نارية للإعلامي ممتاز عصر**»

حيلة معروفة يستخدمونها في عنونة الحلقات التي تُذاع على مواقع التواصل الاجتماعي، كل افتتاحية تقديم لبرنامجه توصف بأنها مقدمة نارية كي تُمهد العقول للاقتناع بأنها مقدمة نارية بالفعل؛ فلا يشغل المشاهد بالهُ بكمِّ الأكاذيب التي تُحشر في كلمات المذيع الصارخ في الكاميرات حد تطاير رذاذ اللعاب من فمه ليغرق وجوه المشاهدين.

بدأ المذيع مقدمتهُ التي وصفوها مقدمًا بالنارية بعرض الجزء الأخير من حوارها الذي تحدثت فيه عن تسطح الأرض، ثم قرر من تلقاء نفسه صارخًا أن كل ما قيل خلال الحوار هو من وحي خيال سندس الليثي، ثم استغرق في السخريةِ – دون أن يتوقف عن صراخه– من الدولة والإعلام المأجور ووزارة الخارجية لفشلهم في إخراج هذا الفيلم الساذج الهابط –على حد وصفه– مستشهدًا ببيان السفارة الأمريكية بالقاهرة للإغراق في سخريته من الدولة حكومةً وإعلامًا.

ـ يا ولاد الكلب!

صوت سبابها المرتفع أفزع صغيرها وانتزعه من الاستغراق مع ألعابه فانفجر باكيًا فزعًا من صوتها، نهضت من فراشها واحتضنته، لكن الصغير بين أحضانها لم يجد الطمأنينة التي عهدها منذ مولده، بل وجد غضبًا يستعر في صدر أمه لم يألفه من قبل فاستمر في بكائهِ بحثًا عن حضن أمه الذي يعرفه.

في ظروفٍ عادية كانت ستبكي سندس الليثي الرقيقة مرهفة المشاعر هي الأخرى من قسوةِ الهجوم عليها وحدة السخرية منها، لكنها منذ البداية كانت تعرف أن ما أعلنته ليس من السهل التصديق بهِ، جاليليو عندما أعلن أن الأرض ليست مركزًا للكون اتُهِمَ بالهرطقة وتمت محاكمتهُ فقط لأنه خالف ما استقر سنينًا في عقولِ الجميع ووقِّر كما الإيمان في قلوبهم، فما بالها وهي تعيش وسط مائة مليون فقيه في الدين، ومائة مليون عالم في كل فرعٍ من

فروع العلم ومائة مليون مثقف وفنان وخبير كروي، تعيش وسط شعبٍ يكفر أغلبه بثقافةِ احترام الاختلاف.

انتزعها صوت رنين هاتفها المحمول من تفكيرها، نظرت إلى الشاشة لتجدها خالية من أي أسماء أو أرقام، فقط تظهر كلمتي «**رقم خاص**» على الشاشة، ترددت قليلًا في الإجابة على المتصل ثم حسمت أمرها وأجابته.

ـ د. سندس، حضرتك يشرفنا وجودك معنا مرة أخرى.

كان هذا وائل البدراوي بعدما عرَّف نفسه في البداية وحياها وأخبرها بردودِ الفعل الإيجابية التي أحدثتها الحلقة.

ـ يُشرفني بالطبع الظهور مع حضرتك أستاذ وائل، ولكن للأسف ليس لديَّ جديد.

ـ د. سندس، هذ المرة سيكون الظهور من أجل الحديث باستفاضة أكثر عن البحث العلمي الخاص بزوجك المهندس شريف النجار رحمه الله بشأن تسطح الأرض.

صمتت سندس الليثي عقب جملته الأخيرة، صدمها رغبتهم في استضافتها لمرةٍ ثانية للحديثِ عن أمرٍ قد تسبب في بعض من الحرج لهم على وسائل التواصل الاجتماعي، بل يصفه وائل البدراوي صراحةً «**بالبحث العلمي**»!

ـ د. سندس، حضرتك تسمعينني جيدًا؟

ـ الموضوع صعب أستاذ وائل، ولكن أستأذنك في فرصةٍ لدراسة الأمر، نصف ساعة وأبلغك بردي النهائي.

وافق وائل البدراوي على مضض إذ أن رفضها المحتمل سيتسبب في فشلهِ في تنفيذ الأوامرً الموكلة إليه، أنهت سندس الليثي المكالمة الهاتفية ثم أحضرت ورقةً مطوية من حقيبةِ يدها واتصلت بالرقم المُدون في تلك الورقة وقد لمعت بداخل عقلها فكرة تراءت لهَا أنها الأصلح.



الجمعة المقبلة..

الساعة السادسة مساءً بتوقيتِ القاهرة..

مناظرة دسمة حول حديث الساعة..

مناظرة شاملة..

الأرض كروية أم مُسطحة؟!

يُدير المناظرة الإعلامي القدير وائل البدراوي والإعلامي القدير عمر الديب..

يمكنكم متابعة الحلقة في بثٍ مباشر عبر القنواتِ الآتية

(. . . . .)

انتظرونا..



أُذِيعَ الإعلان على جميع القنوات الفضائية المصرية الخاصة والحكومية بلا استثناء!

صدر القرار بأن يُدير المناظرة كلٌّ من وائل البدراوي وعمر الديب وبخاصةٍ أن الأخير ذو الصلعةِ الشهيرة والمعروف بحسِّهِ الساخر قد خرج وصلعته ساخرًا من القول بتسطح الأرض عبر برنامجه، لتصدر الأوامر من مكتب أمجد سليمان أن ينضم لوائل البدراوي في إدارةِ المناظرة من أجل أن يُضفي الكثير من المصداقية على الحلقة، كما أصدر قرارًا آخر بأن تذاع الحلقة على جميع القنوات المصرية؛ فما كان على مالكي القنوات سوى الامتثال لأمرهِ دون اعتراضٍ تصريحًا أو تلميحًا.

عانت كثيرًا سندس الليثي أثناء محاولاتها إقناع أيوب أبو الوفا بالظهورِ بدلًا منها خلال تلك المناظرة، كان رفضهِ في البداية قاطعًا دون إبداءِ أسباب، ولكن رفضه لم يصمد كثيرًا أمام صوت نحيبها الآخذ في الارتفاعِ على الطرفِ الآخر من المكالمة مذكرةً إياه بزوجها الذي فقد حياته من أجل إثبات تلك النظرية ليأتي هو في اللحظاتِ الحاسمة ويتهرب من المواجهة!

وافق في النهاية أيوب أبو الوفا موقنًا من داخلهِ أن الأيام التالية لن تحمل أي خيرٍ له!

وائل البدراوي لم يعارض سندس الليثي حين اقترحت عليه اسم أيوب أبو الوفا ووظيفته السابقة للظهورِ بدلًا منها مؤكدةً أنه الأعلم بهذا الموضوع، ليس بيدهِ اتخاذ قرار الرفض أو القبول،

عرض الأمر على أمجد سليمان عبر الهاتف فوافق الأخير على مضضٍ، كان كل ما يحتاجه هو شخص عليم بالأمر وقد حصل على ما أراد، كان يهدف من وراء هذه المناظرة إحداث توازن في موقف الدولة في ذلك التوقيت كي لا يُوجِّه كل من هبَّ ودبَّ الاتهامات للدولة بأنها تقف وراء تقولات ضد العلم، وليشاهد الجميع مناظرة متكافئة، وليؤيد المشاهدون من تثقل كفته دون أي تدخل من الدولة.

لم يبق سوى يومين على تلك المناظرة المنتظرة، أمجد سليمان هو من حدد الموعد وقد قرر أن يطرق على الحديد وهو ساخن، جميع وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء تتحدث عنها، لا أحد يعلم على وجهِ التحديد من وراء هذه الضجة، فقط أمجد سليمان الجالس في مكتبهِ خافت الإضاءة يحتسي قهوته مدخنًا سجائره مطالعًا المتسجدات؛ هو من يعرف كل شيءٍ ويدير بحكمةٍ كل شيءٍ بناءً على الأوامر الصادرة إليه واجبة التنفيذ.



زيارةٌ غير متوقعةٍ على الإطلاق كانت في انتظارِ سندس الليثي بمنيا القمح، واقفة بملابس المنزل تُساعد أمها قبيل العصر في تحضير طعام الغداء فإذا بها تسمع طرقاتٍ واثقة تقرع باب الشقة، ارتدت (**إسدالًا**) يخص أمها على عجالةٍ وأزاحت صغيرها الذي ترك لهوه وتسمر أمام الباب، نظرت من عينِ باب الشقة

السحرية لتجد شابًا وفتاةً بملامح غير مصرية وملابس غير رسمية يقفان في تأدبٍ منتظرين أن يُفتَّح لهما باب الشقة.

- من بالباب؟
- أنا إليزابيث جرانت مراسلة صحيفة (**Conspiracy Today**) الأمريكية، كنت أود الحديث مع السيدة سندس النجار من فضلك.

قالتها الفتاة بعربيةٍ تكاد تكون سليمة!

في قرارٍ يفتقد للكثيرِ من الحرص، فتحت سندس النجار لهما الباب.

- نعتذر عن الحضور بلا موعدٍ مُسبق.

قالتها في خجلٍ الصحافية الشابة إليزابيث جرانت فتقبلت سندس الليثي اعتذارها وسمحت لهما بالدخول.

- كنت أود إجراء حوارٍ معكِ يُنشر على موقعنا الإلكترونيّ، نستأذنك أولًا أن يكون حوارًا مسجلًا وسيقوم زميلي بالتقاطِ بعض الصور إن لم تمانعي.

وافقت سندس الليثي رغم عدم شعورها بالارتياحِ من هذه الزيارة المريبة وغير المتوقعة، لساعةٍ كاملة ظلت سندس الليثي تُجيب على أسئلةِ الصحفية الشابة لتسرد لها كل ما حدث دون إغفالٍ لأيةِ تفاصيل.

ـ ولكن لِمَ لَمْ تتوجهي إلى السفارةِ الأمريكية بالقاهرة حاملةً شكوكك وأدلتك وفضَّلتِ اللجوء للتظاهر ثم الظهور لاحقًا في وسائل الإعلام؟

ـ لأن السفارة ببساطة هي خصم وحَكَم في ذاتِ الوقت.

ـ ولكن الأمر مختلف كما تعلمين في الولايات المتحدة، والجناة أيًا كانت سلطتهم يتم محاسبتهم وفقًا للقانون المُطبَّق على الجميع، لا يحدث هناك في الولاياتِ المتحدة مثلما اعتدتِ أن يحدث في مصر على سبيل المثال.

احتدت سندس الليثي على الفتاةِ الشابة تعقيبًا على ما قالته، لم يكن حِدتها دفاعًا عن أوضاع فاسدة لا أحد ينكرها في بلدها قدر خَشيتها من إذاعة تسجيل حوارها المسجل عبر وسائل الإعلام لتخسر دعم الدولة لقضيتها إن تغاضت عن مهاجمة الصحفية الشابة، فالإعلام يعج بالذين يحترفون الصيد في الماء العكر إلى جانب الأوغاد الذين يُحرِّفون الكلم عن مواضعه.

يمكن إيجاز ردها الحاسم الملجم للفتاة الشابة بأنها قد لقنتها درسًا إنشائيًا قاسيَ اللهجة عن مساويء الولايات المتحدة الأمريكية وانتهاكاتها التي يعرفها القاصي والداني، انتهاكاتها لكل المُثل والقيم التي تتشدق بها الولايات المتحدة حتى وإن ادعوا العكس، مؤكدة أن مصر لم تكن يومًا تقف ضد حقوق أي إنسان!

ـ حسنًا، سؤال أخير سيدة النجار، هل لديك أيةِ وثائق تُدين الولايات المتحدة وناسا تودين نشرها لتعزز ما قلتيه؟

رغم الطيبة المفعمة في كلماتها الماكرة إلَّا أن سندس الليثي لم تطمئن إلى سؤالها وما وراءه، هي لا تثق من البداية في هذه الفتاة وكذلك في هذا الشاب الذي يبدو أنه لم يعمل يومًا كمصورٍ محترف، وكذلك أمها لا تثق فيهما وقد وقفت داخل الشرفة مولية ظهرها للشارع متابعةً لما يدور بين ابنتها وبين الصحافية الشقراء، لا تثق البتة في هذه الصحافية الشقراء الشابة ولا ترى فيها إلا فتاةً مراهقة كاللاتي يظهرن في الأفلام الهوليودية، فتاة هجرت أبويها لترافق هذا الشاب وتعاشره معاشرة الأزواج بعدما أفقدها صديق آخر من أصدقاء المدرسة عذريتها، متأهبة للصريخ مستغيثة بكلٍّ من في الشارع إن بدر من الضيفين أي فعلٍ أهوج كمحاولةِ قتل ابنتها وحفيدها أو التحول لشيطانٍ من نارٍ يحرقهم جميعًا، كمعظم الأمهات تمتلك خيالًا خِصبًا وزاد من خصوبته متابعتها لأفلامِ الرعب الأمريكية!كل شيءٍ سيُنشر في وقتهِ، ساعتها فقط ستندهَشين من حجم الصدمة التي ستجتاح العالم.

قالت سندس الليثي جملتها الأخيرة ضاغطة في تؤدةٍ على كل كلمةٍ من كلماتها.

خيم الصمت على ثلاثتهم لثوانٍ طالت لولا أن بادرت سندس الليثي بقطع ذلك الصمت معلنةً في حزمٍ انتهاء المقابلة في ذاتِ

اللحظة التي فتح فيها أبوها باب الشقة محضرًا معه الخضراوات التي طلبتها منه زوجته، انصرف ضيفاها دون أن يوجِّهَ إلى سندس الليثي كلمة شكرٍ واحدة على وقتها الذي قضته معهما وكأن مهمتهما التي جاءَا من أجلها قد باءت بالفشل!



الدعاية الضخمة والمكثفة التي سبقت الحلقة التي أُعِلنَ عنها نجحت بجدارةٍ في إحداث ضجة وفضول لدى الجميع، نجحت في خلق حالة من الجدل تم تعزيزها ليس فقط وسط المجتمع المصري ولكن على المستوى العربي أيضًا!

كان من الطبيعي أن تسمع بأذنيك حوارًا دائرًا بين ركَّاب متدكسين داخل حافلة نقل عام أو بين حرفيين بسطاء على مقهى شعبي أو بين مجموعة من الفلاحين وسط حقولهم الخضراء يتحدثون عن موضوع الحلقة ويتجادلون حول شكل الأرض، أهي مسطحة بالفعل أم كروية؟!.. جدال وصل في بعض حالاته إلى شجارٍ لفظيّ وأحيانًا بدنيّ من شدة تعصب كل طرفٍ لرأيه، كانت التوجيهات لجميع البرامج على جميع القنوات بالسخريةِ من تسطح الأرض لا من كرويتها، ثم تنوعت التوجيهات لبعض البرامج بالاستمرار في سخريتهم والبعض الآخر بتأكيد صحة تلك النظرية.

في يوم الجمعة الموعود وعلى مشارف الساعة الخامسة عصرًا، احتفل أمجد سليمان بنجاح الحملة الإعلانية التي سبقت البرنامج، فقد كادت الشوارع والطرق الرئيسية أن تخلو تمامًا من المارة، أغلب من تبقوا خارج منازلهم اتخذوا أماكنهم أمام شاشات التليفزيون في المقاهي ينتظرون بداية المناظرة.

المشاهدون في منازلهم وضعوا أمامهم الكثير من وسائل التسلية تُغنيهم عن القيام من مقاعدهم مفارقين شاشات التليفزيون، أما سندس الليثي فكانت تجلس قلقةً إلى جوار أبويها تخشى فشل أيوب أبو الوفا في هذه المناظرة وما سيترتب عليه من إضعاف قضيتها الأساسية وهي الثأر لزوجها القتيل، هي كانت تثق في رجاحةِ عقل زوجها وكانت تثق كذلك في أيوب أبو الوفا وقوة حُجَّتهُ وبراهينه التي سمعتها منه بنفسها وجهًا لوجه، لو أن شخصًا آخر قد أخبرها بما أخبرها به أيوب أبو الوفا لكانت طالبت بإيداعهِ في مستشفى للأمراضِ العقلية، ولكنها –رغم اقتناعها بأيوب أبو الوفا– لا تدري كيف سيستقبل الآخرون الأمر وكيف سيكون وقع كلماته على عقولهم.

في تمام الساعة السادسة مساءَ يوم الجمعة بدأت الحلقة المنتظرة حاملَةً مفاجأة أولى في دقيقتها الأولى!



احتضنت ريم ابنتها محاولةً طمئنتها وقد اشتدت حدة سعالها، ولكن الصغيرة ديمة نظرت لأمها سائلة:

ـ لهذه الدرجة كان الجميع مهتمًا بالحلقة يا ريم؟

ـ أكثر مما تتخيلي، أبوك أخذ إجازة من ورديته الليلية في هذا المساء ليتابع الحلقة؟

ـ أبي أخذ إجازة من عمله!!!

ـ لك أن تتخيلي أهمية الحلقة التي دفعت أباكِ لأخذ إجازة من عمله!



ـ أعزائي المشاهدين والمشاهدات في كلِ مكان، أهلًا بكم جميعًا ومرحبًا في الحلقةِ المنتظرة لمناقشةِ قضية الساعة التي شغلت الجميع عبر أرجاء الوطن العربي وليس مصر فقط، أتشرف بالظهور أمامكم برفقة صديقي المذيع اللامع والإعلامي المشهور وائل البدراوي الذي سمح لي بمشاركته الحلقة وأدعو الله أن أكون ضيفًا خفيفًا على قلوبكم وعلى قلبه.

افتتح الحلقة المذيع عمرٍ الديب بأسلوبه الضاحك المعتاد، عقب وائل البدراوي ضاحكًا في وقارٍ قائلًا:

ـ أستاذ عمر الديب قامة إعلامية مرموقة يشرفني بالطبع مشاركتي له في حلقة اليوم، أعزائي مشاهدينا في كل مكان، ردود الفعل التي رصدتها عدساتنا أظهرت لنا حجم الاهتمام الجماهيري بالحلقة وهذا يضع مسئولية

عظيمة على عاتقنا لإخراج الحلقة بالشكلِ اللائق مثلما اعتدتم منا، ولكن..

تجهَّم وجه وائل البدراوي ليحل محل ابتسامتهِ الوقورة ناظرًا تجاه زميله عمر الديب الذي تلقف طرف الحديث مطيحًا بذراعيه في الهواء قائلًا بسخريةٍ:

ـ لا، اترك لي الأمر يا أستاذ وائل، أنت رجلٌ محترم.. الحقيقة، هو أمرٌ مخزي للغاية أعزائي المشاهدين عندما تُصادف في الحياة شخصًا يفترض كونه من المسئولين ولديه طلاب ينظرون إليه باحترامٍ وهيبةٍ ووقار.. واعذروني في تلك الكلمة.. يتراجع عنٍ التزاماته، أنا لن أقول من بالضبط الذين يتراجعون عن وعودهم وسأترك لكم تخمين ذلك..

ـ أستاذ عمر له بالطبع كل الحق في ضيقِه مثلنا جميعًا، للأسف الشديد ضيفنا الأستاذ الدكتور علاء المليجي أغلق هاتفه المحمول ولا نستطيع الوصول إليه وفي نفس الوقت لم يعتذر لنا عن الحضور ليعُطِ لنا فرصة كافية لاستضافة زميل آخر ينال شرف الظهور معنا على حضراتكم عبر برنامجنا، بل ونفاجأ منذ عشر دقائق قبل بداية البرنامج بنشرهِ لبيانٍ زعم أنه «**هام**» على صفحتهِ الشخصية على موقع (**فيس بوك**).. المخرج مشكورًا سيعرضه لحضراتكم على الشاشة الآن.

رغم عدم وضوح الكلمات على شاشات التليفزيون إلا أن معظم المشاهدين تركوا آذانهم لقراءة المذيع عمر الديب المتهكمة لكلمات علاء المليجي.

كان ملخص البيان هو اتخاذه قرارًا بعدم الظهور في مناظرة اليوم لما لمسه من دفع للرأي العام نحو الإيمان بمثل هذه الخرافات التي لا ترقى لًمستوى النظريات العلمية مؤكدًا أنه قد لمس تحيزًا مبالغًا فيه من كافة وسائل الإعلام تجاه تلك السخافات، لذا اتخذ قراره بعدم المشاركة في هذه المناظرة التي وصفها بالـ»المسرحية الهزلية» وأنه ينأى بجانبهِ من مغبة الانزلاق في هذه المكيدة التي يحيكها ويؤجج نيرانها النظام الحاكم محاولًا إلهاء جموع الشعب عن عوراته وانتهاكاته المتتالية، وقد قرر النظام الحاكم كسائر الأنظمة الفاشية أن يشغلهم بضلالاتٍ تجاوزها العلم منذ عشرات القرون الماضية.

- لتعلم يا علاء يا مليجي أن لدينا الشجاعة لنشر كلماتك على الملأ، طالما أنت ترى في نفسك أنك غير مؤهلٍ للمناظرة وغير مستعد بالحجج الدامغة لتناقش وتدافع عن آرائك؛ فكان الأَولى بك أن تُعلن ذلك بدون لفٍ أو دوران، ثم أين هذا التحيز الذي تتحدث عنه؟!.. المعارضون للنظرية ينشرون (**فيديوهات**) اعتراضاتي على الأمر تأكيدًا لكلامهم يا دكتور يا محترم.

بدا أن عمر الديب بوجهِ المحتقن بالدماء كأنه ثور هائج لن يوقفه أحد، ولكن صوت صراخ المخرج عبر السماعات المتصلة بأذنيّ المذيعين أجبرت عمر الديب على نقل الحديث لزميلهِ وائل البدراوي الذي أعلن أن الحلقة وفقًا لهذه المستجدات ستكون عبارة عن حوارٍ مفتوح مع ضيفهما الآخر الأستاذ الدكتور أيوب أبو الوفا، وسيُسمَح باستقبال المداخلات الهاتفية لمناقشة الضيف قاطعًا وعدًا أمام الجميع أنها ستكون مداخلات مثمرة وقوية للغاية.

ـ فاصل قصير ثم نعود لنستقبل ضيفنا الأستاذ الدكتور أيوب أبو الوفا، أستاذ الفيزياء السابق جامعة (**بيركلي**) بكاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية.



انتهى الفاصل الإعلاني سريعًا ليعود البث المباشر للحلقة المنتظرة ثانيةً، المشاهدون أمام الشاشات خاب ظنهم وأصاب بعضهم الإحباط لفشل المناظرة بعد انسحاب طرفها الآخر ولكنهم أجمعوا على الانتظار لرؤية كيف ستكون البداية.

اتسعت زاوية التصوير أثناء تقديم وائل البدراوي لضيفهِ لتُظهِر أيوب أبو الوفا للمشاهدين، ذلك الكهل الذي تجاوز الستين بجسدهِ المنكمش وشعره ولحيته اللذين استسلما للشيب والذي أصرَّ على الظهور بنظارته الشمسية السوداء؛ متعللًا بعدم قدرته على تحمل أضواء الكشافات المسلطة عليهما داخل (**الاستديو**) أثناء التصوير، تلك النظارة التي زادت من أناقة بذلته ورابطة عنقه السوداء التي رُبطت بأناقةٍ فوق قميصٍ أبيض.

ذكر عمر الديب نبذة عن سيرة ضيفه العلمية قبل أن ينتقل الحديث لوائل البدراوي الذي سأل ضيفه:

ـ د. أيوب أبو الوفا، حضرتك لا زلت تعمل بجامعة (**بيركلي**)؟

تمتم أيوب أبو الوفا بكلمات لم تكن واضحة مجيبًا على سؤال وائل البدراوي، فنقل الأخير تعليمات المخرج الذي يُصر على الصريخ في أذنيّ المذيعين مطالبًا بأمر الضيف بضبط (**الميكروفون**) المُثبت في قميصه ليظهر صوته بوضوح.

ـ لا يا أستاذ وائل، اخترت التقاعد بعد سن المعاش.

ـ وهل هذا له علاقة بموضوع حلقتنا اليوم؟

سأله في تخابثٍ عمر الديب فاكتفى أيوب أبو الوفا بالابتسام كإجابةٍ غامضة، ولكن وائل البدراوي حاول استدراجه قائلًا:

ـ هذه الابتسامة لها أكثر من معنى د. أيوب.

ـ تطهُّر من الخطايا وأنا مقبل على الموت، يمكنك القول بأن عمري لم يعد فيه الكثير لأصر على ترديد الأكاذيب.

ـ د. أيوب، لندخل مباشرةً في موضوع الحلقة، المشاهد يتسائل – وهذا حقه ـ ماذا يُقصَد بالأرض المسطحة، هناك الكثيرون ممن تبرعوا بشرح الأمر عن علم في بعض الأحيان وعن جهلٍ أحيان أخرى، هل من المُمكن أن تشرح لنا بشكلٍ مبسطٍ ما هي الأرض المسطحة؟

تحدث في جديةٍ عمر الديب، فتنهد أيوب أبو الوفا ثم قال في هدوءٍ:

ـ دعنا نتفق في البداية اتفاقًا صغيرًا..

ـ لنتفق بالطبع.

تزمر أيوب أبو الوفا من مقاطعة عمر الديب له فقال في حدةٍ لا يتطلبها الأمر:

ـ لنعقد اتفاقًا قبل الاتفاق الذي أقصده، أتمنى ألا تقاطعني طوال الوقت أستاذ عمر.

تبدل وجه عمر الديب الباسم ليحمل الكثير من الإزدراء الذي لمحهُ في التو بذكاءٍ وائل البدراوي فأسرع قائلًا:

ـ التدخل د. أيوب حقٌّ أصيل لمقدم البرنامج من أجل الاستفسار أو تنبيه الضيف لعدم الخروج عن موضوع الحلقة الأساسي.

النظارة الشمسية حالت دون رؤية عمر الديب لنظرات التحدي التي يقذفه بها أيوب أبو الوفا، أكمل الأخير حديثه وكأنه لم يسمع شيئًا من وائل البدراوي قائلًا:

ـ لنتفق على أن ننحي كل الأفكار التي نُقلت لعقولنا طوال السنين الماضية، لكي نتمكن من فهم كينونة الأرض المسطحة.

سكت لبرهةٍ أيوب أبو الوفا فاستغل عمر الديب الفرصة ليعقِّب:

- اتفقنا د. أيوب، عقولنا اعتبرها كسبورةٍ مسحنا كل ما كتب عليها وحضرتك الآن معك الفرصة لتكتب عليها من جديد ولتعتبرنا تلاميذًا من حقنًا أيضًا التدخل بسؤالٍ من أجل الفهم.

أيوب أبو الوفا ضايقه أسلوب عمر الديب الساخر الذي لم يعتده، ولكنه حاول تجاهل ذلك قائلًا:

- عندما كنا أطفالًا صغارًا كنا نظن في بادئ الأمر أن الأرض سطح مستويٌّ كبير لا ندرك أبعاده، عندما يبدأ أي طفل صغير في السؤال عن نهاية هذا المسطح يخبرونه بأن الأرض التي نعيش فوقها كروية الشكل، بعد فترةٍ من تأصل الفكرة يبدأ المعلم في السنواتِ الأولى من التعليم في تعديل شكل الأرض المرسوم في عقلك الباطن ككرةٍ؛ ليخبرك أنها ليست كروية الشكل بالضبط وإنما هي بيضاوية الشكل؛ نحيفة من الأطراف ومنبعجة عند الوسط تمامًا مثل البيضة، ثم في فترةٍ تالية يُخبرك أنها في الواقع ليست مثل البيضة وإنما هي كمثرية الشكل، أي كثمرة الكمثرى إذ يظهر نصفها السفلي أكثر إنبعاجًا كأي سيدةٍ بدينة ممتلئة الأرداف.

قال كلماته وصمت، استوعب المذيعان طريقة أيوب أبو الوفا في الحديث، هو يتحدث ثم يصمت ليعطي من أمامه الفرصة لطرح الأسئلة؛ فسأله وائل البدراوي في جديةٍ بغير اعتراضٍ على ما قاله:

ـ هذا ما تعلمناه د. أيوب، ولكن ما هو قولك أنت في هذا؟

ـ ببساطةٍ ودون أية تعقيداتٍ علمية، الأرض التي نعيش فوقها لم تكن يومًا كروية ولا بيضاوية ولا كمثرية؛ الأرض التي نعيش فوقها هي مسطح منبسط قد تظهر به بعض النتوئات كجبالٍ وقد نرى منخفضات تمثل الوديان، تمامًا كالقرص الدائري.

ـ بمعنى أن الأرض ليست مثل الكرة وإنما هي تشبه رغيف العيش.

عقَّب موضحًا عمر الديب في سخريةٍ حين صمت أيوب أبو الوفا، ولكن تعليق عمر الديب أثار ازدراءه وتجهمه قائلًا:

ـ للأسف تشبيه فاسد، ولكنه صحيح.

ـ ولكن إن كانت الأرض تشبه قرصًا مستديرًا مثلما تقول د. أيوب، فكيف لها أن تدور حول الشمس بهذا الشكل؟!
وعلي أي وجهٍ من ذلك القرص الدائري نعيش، الوجه العلوي أم السفلي؟!

سأله وائل البدراوي في تعجبٍ مصطنع وكأنها المرة الأولى التي يسمع فيها هذا التوصيف رغم الساعات التي قضاها برفقة فريق الإعداد للتحضير للحلقة، فابتسم أيوب أبو الوفا قائلًا في ثقةٍ:

ـ نحن نعيش فوق القارات المعروفة التي تقع فوق الوجه العلوي لذلك القرص، ولا نعلم ماذا يوجد أسفلنا مثلما نجهل ماذا يوجد فوق السماء، كما أن الأرض ثابتة لا تدور أستاذ وائل، الشمس والقمر يدوران فوق سطح الأرض في مساراتٍ دائرية ليتعاقب الليل والنهار، لكي يصل الأمر للمشاهدين بصورةٍ أوضح أرجو من مخرج البرنامج عرض (**الفيديو**) رقم (١) على الشاشة.

قام المخرج بتشغيل (**الفيديو**) المرقم بالرقم (١) على الأسطوانة المدمجة التي أعطاها له أيوب أبو الوفا قبل التصوير والتي تحوي ملفاتٍ مختلفة بأرقام مسلسلة سجلها أيوب أبو الوفا على البطاقة الورقية التي يحملها بين يديه والتي تحمل اسم البرنامج.

شاهد المشاهدون (**الفيديو**) على الشاشات والذي استخدمت التصميمات ثلاثية الأبعاد (**الجرافكس**) في تنفيذه لشرح فكرة الأرض المسطحة ودوران الشمس والقمر أعلاها.

بدت الأرض التي يعرفونها كمسطح دائري أزرق تتراص عليه ـ بين المحيطات ـ قارات ستة فيٍ دائرة مركزها القطب الشمالي، فوق هذا المسطح جسيمان يدوران في فلكين دائريين

فوق القارات الستة، الجسيم الأصفر يرمز للشمس فينير المنطقة الواقعة أسفله على المسطح أثناء دورانه، والجسيم الأبيض يرمز للقمر.

انتهى عرض (**الفيديو**) لتنقل الكاميرات للمشاهدين تعجُّب وائل البدراوي المفتعل وعدم اقتناع عمر الديب وابتسامة ثقة تبدو جلية على وجه أيوب أبو الوفا، سأله وائل البدراوي:

- د. أيوب، هل من الممكن أن توضح لنا سبب الشكل الغريب للقارات السبعة على نموذجك للأرض المسطحة؟
- في البداية أحب أن أوضح أن عدد القارات ستة وليس سبعة.

قالها في ثقةٍ أيوب أبو الوفا، بدا التعجب على وجهي المذيعين وبادر عمر الديب بالسؤال مندهشًا:

- غير صحيح حضرتك، وإلا حضرتك مطالب توضح لنا ما هي القارة التي اختفت ومتى اختفت؟
- القارة التي تسأل عنها هي انتاركاتيكا، هي لم تختف لأنها لم تكن موجودة يومًا ما كقارة، واسمح لي أن نؤجل الحديث المستفيض حول انتاركاتيكا للمستقبل القريب كي لا نشتت المشاهدين، سأجيب عن سؤالك الأول بخصوص شكل القارات الذي يثير دهشتك، هل تتذكر شعار الأمم المتحدة؟

- ثانية واحدة ويعرضه لنا المخرج على الشاشة كي يراه السادة المشاهدون.

قالها وائل البدراوي محدثًا مخرج البرنامج ولم تمضِ بضع ثوان حتى ظهر الشعار على الشاشة بلونهِ السماوي المميز ليُظهِر الشعار القطب الشمالي بالفعل في منتصف الصورة وحوله في دائرةٍ تتراص القارات، استكمل أيوب أبو الوفا إجابته شارحًا وسط دهشة المذيعين البادية على وجهيهما من تشابه هذا الشعار ونموذج أيوب أبو الوفا للأرض المسطحة.

- الحقائق في غاية الوضوح ومن شدة وضوحها نتجاهلها، لا تحتاج أبدًا لمجهودٍ كبير لاكتشافها، هي طوال الوقت أمام أعيننا، فقط نحن في حاجةٍ لشخصٍ يلفت انتباهنا إليها كي نراها جلية بعدما تم إخفاؤهاً وراء أطنانٍ من أتربة الزيف والخداع الممنهج.
- أختلف معك د. أيوب، نحن لا زلنا بعيدين كل البعد عن الجزم بأن هذه النظرية – اعذرني – المثيرة للجدل تستند إلى حقائق!

اكتفى أيوب أبو الوفا بالتعقيب بابتسامةِ ثقة على اعتراض وائل البدراوي، قبل أن يتدخل عمر الديب في الحوار سائلًا:

- دكتورنا، نحن في حاجةٍ لتوضيحٍ في البداية، هل ما تقوله سيادتك خلال هذه الحلقة هي وجهة نظر شخصية من اكتشافات دكتور أيوب أبو الوفا أستاذ الفيزياء

السابق في واحدة من أعرق كليات الفيزياء في الولايات المتحدة، أم هذا رأي تابع لجهة معينة؟لتعتبر أيوب أبو الوفا مجرد قطعة صغيرة من الحجارة في جدارٍ ضخم شاهق الارتفاع، الحديث عن شكل الأرض المسطحة ليس وليد اليوم أو البارحة، في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين آمنوا أن الأرض ما هي إلا قرصًا مسطحًا يطفو فوق المحيطات، الحضارات القديمة مثل اليونانية حتى الفترة الكلاسيكية، وفي الهند حتى عهد إمبراطورية جوبتا، وفي الصين حتى القرن السابع عشر، التوراة تحدثت عن الأرض المسطحة وآمن بذلك اليهود الأوائل، الفلاسفة أمثال طاليس ويوكيبوس وديموقريطس وميليتوس وكولفون آمنوا جميعًا بأن الأرض مسطحة.

- ولكن يا دكتور، كل هؤلاء كانوا قبل تطور العلوم.

أستاذ عمر لا تقاطعني من فضلك، عام ١٨٤٩ الكاتب الإنجليزي صامويل روبوثام أصدر كتاب باسم مستعار يدافع فيه عن نظرية الأرض المسطحة وأحيا هذهً النظرية من جديد مرة أخرى، ونشر نتائج عدة تجارب أجراها لاختبار كذب انحناءات الماء المزعومة في الأرض الكروية، ثم أتبعه بكتيبٍ آخر بعنوان «**عدم ثبات الفلك الحديث ومعارضته للكتاب المقدس**»، وانتقلت

النظرية للولايات المتحدة عندما قام صامويل روبوثام بتأسيس «**الجمعيات الزيتية**» نسبة للحرف اليوناني زيتا في الولايات المتحدة بنيويورك حيث شحن إليهم آلاف النسخ من كتابه الفلك الزيتي.. في انجلترا تأسست جمعية الأرض المسطحة العالمية سنة ١٨٩٣ برعاية الليدي اليزابيث بلونت وأطلقت صحيفة ومجلة تدافع عن تسطح الأرض.. الأمر ليس وليد اليوم.. هو قديم قدم البشر، الليدي بلونت نجحت في ضم إي دبليون بيلنقر من جمعية الثالوث الإنجيلي، وإدوارد هيوتن كبير المشرفين بالعلوم الطبيعية في كلية الثالوث بدبلن وكذلك رئيس الأساقفة.

- ولكن كل ذلك من القرن التاسع عشر دكتور أيوب.
- حسنًا لنذهب للقرن العشرين، عندما قام صامويل شينتون عام ١٩٥٦ بتأسيس الجمعية الدولية لبحث استواء وتسطح الأرض في مدينة دوفر في بريطانيا والتي تنحدر من جمعية زيتيك العامة، هذا الرجل العظيم كان هدفه الوصول للأطفال قبل أن يقتنعوا بكروية الأرض يا أستاذ عمر، إلى أن استلم الراية من بعده شارليز جونسون الذي وصل لإيمانه بتسطح الأرض عن طريق التجربة والذي استمر في رئاسة الجمعية حتى عام ١٩٩٥ حينما احترق مقر الجمعية وكل الوثائق داخله، يظنون هم أن

تلك كانت النهاية ولكن المؤمنين بتسطح الأرض في
كل مكان حول العالم ورسالتهم ستصل إلى الجميع.

كان صوت أيوب أبو الوفا يشتعل بالحماسة دفاعًا عن نظريته ومؤيديها وقد استحال وجهه للون الأحمر واحتشدت الدماء برأسهِ وهو يحرك ذراعيه في الهواء مع كلماته، حاول وائل البدراوي تهدئته بالسؤال عن طبيعة السماء في الأرض المسطحة فأجابه أيوب أبو الوفا وجزوة حماسته آخذة في الهدوء تدريجيًا:

ـ دعنا لمزيدٍ من الدقة نعيد تسميتها، هي قبة سماوية.

ـ قبة؟!

سأله عمر الديب في قليلٍ من السخرية فتابع أيوب أبو الوفا في حزمٍ قاطعًا الطريق أمام المزيد من السخرية:

ـ نعم قبة، قبة تستقر فوق قرص الأرض المسطحة، تزدان بالنجوم والأجرام السماوية في الجهة المقابلة للأرض ويدور داخلها شمس وقمر.

ـ الشمس والقمر اللذان ظهرا في (**الفيديو**) باللونين الأصفر والأبيض؟

ـ بالضبط.

ـ ولكن الشمس تقريبًا كانت أكبر قليلًا من القمر وحجمها لا يُذكر بالنسبة لمسطح الأرض!

ـ هذا حقيقي أستاذ وائل.

- حضرتك كأستاذ فيزياء تعرف جيدًا كم تبعد الشمس عن الأرض وكم يبلغ حجم الشمس مقارنة بالقمر، يحضرني هنا تشبيه للدكتور مصطفى محمود والذي يتشابه مع تشبيه مماثل من الأستاذ أنيس منصور رحمهما الله بأن الشمس إن كانت في حجم برتقالة ضخمة فالأرض مجرد بذرة من بذور تلك البرتقالة!

تهكم عمر الديب كان واضحًا في كلماته، ولكن أيوب أبو الوفا حاول تجاهله موضحًا:

- لو أنك تقصد الـ ٥/٢ سنة ضوئية التي يقال أنها تفصل الشمس عن الأرض والمكافئة لحوالي ١٤٩ مليون و٢٠٠ ألف كم، إن كانت الشمس بعيدة بهذا القدر فأرجو منك يا عزيزي أن تُفسر لي فارق درجات الحرارة الشاسع جدًا ما بين مدينة تقع عند خط الاستواء ومدينة أخرى تبعد ٧٠٠٠ كم في قلب القطب الشمالي المزعوم!

لو صح ذلك، فكيف لا تحترق الأرض حين تكون في مرحلة «**الحضيض**» وقت الصيف مقتربة من الشمس ٣ مليون كم؟!.. وكيف لا تتجمد حين تكون الأرض في مرحلة «**الأوج**» وقت الشتاء مبتعدة ٢ مليون كم؟!

الشمس بعيدة إلى هذه الدرجة كما يزعمون وفي ذات الوقت تصل أشعتها مسافرة كل هذه المسافة عبر فضاءٍ مزعوم لتصل متوازية إلى الأرض، ولكن في نفس الوقت يصل فرق الحرارة

لأكثر من سبعين درجة وأحيانًا مائة درجة بين شمال تلك الكرة المزعومة ووسطها، تلك المسافة التي يحتاج أن يقطعها شعاع الضوء في رحلته نحو الشمال موازيًا لشعاع آخر يسقط على الوسط تُعَدْ مسافة لا تُذكر إن قارنتها بالمسافة ألتي يقطعها الشعاع في رحلته بين الشمس والأرض كما يتقولون، فكيف يفقد حرارته في تلك المسافة القصيرة بهذا الشكل إن كان لديك أو لديهم أي تفسيرٍ مقنع؟!

لم يجبه عمر الديب فتابع قائلًا:

- هل رأيت يومًا أشعة الشمس وهي تتسلل وسط الغيوم؟.. هي تبدو وكأنها تنتشر من نقطةٍ واحدة متباعدة لا متوازية وهو أكبر دليلٍ على اقتراب الشمس منا لا وجودها على مثل تلك المسافة الشاسعة.. هذه الملاحظات البسيطة توضح لك أن الشمس لا توجد على هذا البعد الشاسع من الأرض مثلما يحاولون إيهامنا، سيدي، مهما بلغت حرارة الشمس على هذا البعد الشاسع فكيف تقنعني بأنها وصلت إلينا بعدما اجتازت كل هذا الفراغ البارد المزعوم بين الشمس والأرض!.. أتُحدثني عن تقارب حجم الشمس والقمر؟.. انظر لهما وهما يظهران في الفترة ما بعد العصر إلى المغرب متجاورين أحيانا بنفس الحجم!، ليس لاختلاف المسافة دخل بتصغير حجم الشمس والحفاظ على حجم القمر!

لم يكن لدى المذيعين أي إجابة على أسئلته، قرر وائل البدراوي الانتقال لسؤالٍ آخر من قائمة الأسئلة أمامه:

ـ حسنًا د. أيوب، نظريتكم تتحدث عن أرضٍ مسطحة محاطة بالمحيطات.. كيف يمكن لتلك المحيطات ألا تنسكب إلى الفضاء عند حواف الأرض، بعد نهاية الأرض التي وصفتها بالقرص الدائري المنبسط؟

ـ دعنا نتفق أن من الأسهل أن أسألك عن سببٍ مقنعٍ لعدم انسكاب تلك المحيطات في الفضاءِ المزعوم بدلًا من أوهام التصاقها بكرةٍ تدور حول محورها بمتوسط سرعة ١١٠٠ ميل في الساعة، ولكن سأجيب على سؤالك مباشرة، المياه تظل على الأرض في دورتها العادية ما بين التبخر من المحيطات ثم التكثف ثم هطول الأمطار ولا تنسكب من حافة الأرض وذلك لأن الأرض يحيط بها جدار جليدي ضخم شاهق الارتفاع.

ـ أستأذنك في مزيدٍ من التوضيح لشكل ذلك الجدار الجليدي؟

ـ هو جدار من الجليد لا أحد يعلم ارتفاعه يُحيط بمسطح الأرض من جميع الاتجاهات، وهو نفسه الذي يُطلق عليه العامة وتُوهِمنا حكومات العالم بأنه قارة صغيرة مهملة في أسفل الكرة المزعومة تسمي قارة إنتاركاتيكا.

قال جملته الأخيرة بطريقةٍ مسرحية متهكمًا فقوبلت كلماته بصمتٍ مُطبق من مذيعين سيطرت الدهشة عليهما، قطع عمر الديبُ حالة الصمت قائلًا:

- نخرج لفاصل إعلاني قصير يكون خلاله المشاهدون قد استوعبوا هذا الكلام الخطير ثم نعود لنستكمل حوارنا مع أ.د. أيوب أبو الوفا أستاذ الفيزياء المتقاعد بجامعة بيركيلي بالولايات المتحدة.



18

في ذلك الشارع الرئيسي بمدينة نصر كان ضجيج وصخب يصم الآذان في ذلك الوقت بعد عصر يوم السبت التالي لإذاعة الحلقة المثيرة للجدل، صخب العامة في الشارع يختلط مع نفير السيارات المزعج، كلٌّ منشغل بمشاكله الشخصية وضغوط الحياة التي لا ترحم، إلا أن صوت ارتطامٍ مكتوم نجح في جذب انتباه البعض.

حالة من الفزع انتابت الذين تَصَادف مرورهم حول موضع الارتطام لرؤية هذا الجسد الذي سقط من السماء مرتطمًا بالأرض بكل قوته، ذلك الجسد الذي كان مصدرَ ذلك الصوت المكتوم، أعداد غفيرة من المارة جعلت تتضاعف حول جسد ذلك الكهل المدرج في دمائه لا يعرفون من أين هبط إليهم!

الجميع يخشون لمس ذلك الجسد تطوعًا بالمساعدة أو الاطمئنان بعدما بدا لهم جميعًا أنه قد فارق الحياة في التو من أثر الارتطام أو ربما غادرت جسده فزعًا في طريقهِ نحو الأرض، كثيرون أخرجوا هواتفهم المحمولة متغلبين على رجفة أياديهم ما بين متصلٍ بشرطةِ النجدة ومتصلٍ بالاسعاف، أما عسكري المرور النحيلُ المصاب بفقر الدم الواضح في شحوبهِ الواقف بإشارة المرور القريبة؛ فقد ترك مكانه وهرع إلى موقع السقوط بناءً على توسلات البعض الذين ظنوا فيه ساعتها ممثلًا رمزيًا لسلطة الشرطة التي قد تمنحهم بعضًا من الأمان في لحظاتٍ قد لا يمرون مثيلها طوال حياتهم، مستخدمًا اللاسلكي بعث رسالة إلى قياداته ليبلغهم بالأمر.

حارس العقار أتى مهرولًا بجلبابهِ الفلاحي الطراز واسع الأكمام وشاربه الكث وبشرته السمراء حاملًا أكياس الفاكهة والخضراوات للسيدة ميرفت الساكنة بالدور الرابع من العقار، اخترق صفوف المتجمهرين ليُلقِي نظرة على القتيل ليكتشف أنه الوحيد القادر على تمييز ملامحه بين المتواجدين رغم الدماء التي غطت وجهه ولحيته وشعره الأشيبين.



ما إن بدأ الفاصل الإعلاني حتى نهض المذيع عمر الديب من كرسيه الوثير مخرجًا سجائره المستوردة وانتحى بوائل البدراوي جانبًا هامسًا في غضبٍ وسط سُحب الدخان التي ينفثها من فمهِ كتنينٍ أسطوري:

ـ ما هذا السخف يا وائل؟!، هذا كلام لا يقوله إلا المجانين ولا يصح أن نذيعه إن كنا نحترم تاريخنا يا أخي، هذا الرجل المخبول يقول كلامًا يُلقِي به في مصحةٍ لعلاجه من جنونه!

ضحك وائل البدراوي ضحكات وقورٍ ردًا على العصبيةِ غير المبررة من زميله، ثم وضع يده على كتفه قائلًا في هدوء:

ـ دعنا نسمعه للنهاية يا عمر، هو يقول ما يحلو له وأنت سله كما يحلو لك.

«يا دكتورنا لا يصح ما تفعله»

انتبه المذيعان لصوت توسلات شاب من فريق التصوير يحاول إقناع أيوب أبو الوفا بالكف عن تدخينه للغليون في كرسيه الذي يجلس عليه وقت التصوير والأخير لا يلقي له بالًا، أسرع المذيعان ليبعدا الشاب الحانق واقترب وائل البدراوي من أيوب أبو الوفا قائلًا في تأدبٍ:

ـ دكتورنا، **لا** بد أن نستعد للعودة للبث المباشر ثانيةً، رجائي أن تخفي الغليون.

رفع أيوب أبو الوفا عينيه ناظرًا من فوق نظارته الشمسية نحو وائل البدراوي، ثم نقل بصره نحو عمر الديب الذي رأى ازدراءً خالصًا يطل من عينيه مصحوبًا ببصقةٍ تتأهب للانطلاق من فم المذيع نحو وجهه فنفض التبغ المحترق داخل الغليون على الأرض أسفل كرسيه في استفزازٍ متعمد، ثم استراح في جلسته منتظرًا انتهاء العد التنازلي وهو يتابع بعينيه المذيعين العائدين لمقعديهما نافدي الصبر.

بدأ البث المباشر ليلاحظ المشاهدون آثار دخانٍ خفيف يظهر على الشاشة في فراغ (**الاستديو**) وكأن حريقًا صغيرًا نشب وقت الفاصل، بدأ وائل البدراوي الحديث بينما اكتفى عمر الديب بالابتسام وهو يسمع سباب المخرج القادم إليهما عبر سماعات أذنيهما، كان سبابًا فاحشًا لضيفهم الكهل وأمه وأبيه متوعدًا بإخراج أمواته من قبورهم، هذا الكهل الذي لا يعبأ بأي شيء!

ـ عدنا بعد الفاصل، د. أيوب، قبل الحلقة قلت أن الهدف الأساسي من ظهورك هو إزالة تلك الأتربة التي علقت بفطرة الأطفال داخل كل واحدٍ منا، بل شبهت الفطرة السليمة بالبرتقالة التي تُغطيها الأتربة فتخفي

لونها الحقيقي الجذاب، هل من الممكن أن توضح لي وللمشاهدين قصدك؟

ـ قصدت أن عقل الطفل هو الأسهل لإتمام برمجة وعيه كيفما شئت، في شرق آسيا يأكل الناس الحشرات كتسلية وفواتح للشهية بنفس الأريحية التي يأكل بها المصريون اللب والسوداني، وفي فرنسا مثلًا يأكلون الضفادع المقلية والمسلوقة والمشوية ويحتسون حسائها ولا يجدون في ذلك أية غضاضة، وفي الصين يأكلون التماسيح والثعابين ويبرعون في طرق شوائها، وفي الفلبين مثلًا يأكلون الكلاب والقطط، وإن عدنا للصين فهم يأكلون الفئران!، هل يقبل أي مصري مثلًا أن يأكل أيًا من الطعام الذي ذكرته؟.. هل يقبل الفرنسي الذي يأكل الضفادع أن يأكل الكلاب؟

سكت أيوب أبو الوفا منتظرًا ردًا منهما، فمط عمر الديب شفتيه قائلًا:

ـ بالطبع لا.

ـ إذا ما السبب؟

ـ أخبرنا أنت عن السبب، د. أيوب، أنت تشرفنا اليوم للإجابة على أسئلتنا التي فشلنا في إيجاد إجابة شافية لها.

قالها وائل البدراوي في نفادِ صبرٍ رافضًا في داخله تكرار أيوب أبو الوفا إلقائهِ الأسئلة عليهما وكأن الأدوار قد تبدلت.

ـ حسنًا، خذ رضيعًا مصريا لم يتشكل وعيه بعد واجعله ينشأ في باريس وستجده من عاشقي مذاق الضفادع حين يكبر، وخذ رضيعًا آخر واجعله ينشأ في بكين وستجده عاشقًا متيمًا بالحشرات المشوية ويأكل الفئران والتماسيح والثعابين بلا أية غضاضة بل وسيندهش بشدة من امتعاضك البادي على وجهك وأنت تشاهده أثناء تناوله لهذا الطعام، وسيستنكر بشدة قيامك بإفراغ معدتك متقيئًا أسفل منضدته وإن كان من الذين لا يتقبلون وجهة نظر الآخر فربما يركل مؤخرتك بكل قسوة!.. السبب هو اختلاف النشأة، ماذا نقش المجتمع في صفحة عقله البيضاء؟، وماذا نقلوا إلي وعيه من وعيهم الجمعي ليتقولب بشكل قوالبهم.

ـ عقل الطفل يا سادة ـ بنقائه وتحرره من قيود الوعي الجمعي التي يحاول أن يفرضها عليه العالم ـ يمتلك مقدرة وكفاءة أكبر لرؤية الحقائق المجردة، أي طفلٍ على وجه الأرض ما أن يرى الأرض التي يعيش عليها على شكل كرة حتى يبدأ بإغراقك بالأسئلة المنطقية للغاية مستنكرًا هذه الصورة إلى أن تُجبره على تقبلها مرغمًا، أتدريان ماذا سيحدث مع مرور الوقت؟!..

سيتحول ذلك الطفل لأشد المدافعين عن نفس الأفكار التي استنكرها سابقًا بعدما سلبته فطرته وأجبرت عقله على التقولب في نفس القالب الذي وضعك به الوعي الجمعي العالمي، أستاذ عمر، اعتبرني طفلًا وأجب عن أسئلتي.

توجس عمر الديب من مطلب أيوب أبو الوفا خشيةْ عدم قدرته على مجاراة مكره، قال ضاحكًا محاولًا إخفاء توجسه:

ـ العفو يا د. أيوب، أنت قامة علمية كبيرة.

ـ الأرض التي نعيش فوقها هل هي كروية الشكل أم مسطحة؟

ـ كروية بالطبع، معروف أن اسمها الكرة الأرضية.

ـ إذا ما دمنا نعيش على كرة، فلم لا نبصر انحناء تلك الكرة في الأفق.

ـ لأننا تعلمنا في المدارس الحكومية أن حجمنا صغير للغاية ولا يذكر بالنسبة للكرة الأرضية، مثل حجم النملة مثلا لكرة القدم.

ـ عظيم، إن افترضنا أننا في لندن مثلًا فنحن هكذا نقف تقريبا على أعلى الكرة فلا نسقط في الفضاء.

ـ مثلما يقف رمضان صبحي فوق الكرة مثلًا ليستفز أمثالي.

ـ من رمضان صبحي؟!

تسائل أيوب أبو الوفا في جهلٍ واضح عن هذا الشخص الذي ذكره عمر الديب في جملته التي بدت ساخرة، ولكن عمر الديب تدارك الأمر معقبًا:

ـ حضرتك غير متابع يا دكتور، لا تشغل بالك، أكمل.

ـ حسنًا، كيف إذًا لا يسقط الواقفون على منتصف الكرة الساكنين في نطاق خط الاستواء ولا يسقط الواقفون أسفل الكرة الساكنين في استراليا ودول جنوب أمريكا الجنوبية على سبيل المثال؟، هؤلاء المساكين معلقين من أقدامهم في الأرض يتدلون بأجسادهم ورؤوسهم كالذبائح نحو الفضاء!.. لا بد أن الدم يضغط بقسوةٍ على رؤوسهم!

ـ لا لن يسقطوا يا دكتور نحو الفضاء لأننا تعلمنا في نفس المدارس الحكومية، وعلمني أستاذي جودة الصوالحي بعصاه عظيمة الطول التي لا ترحم أن هناك شيئًا يسمى الجاذبية الأرضية تثبتنا على الأرض.

قالها عمر الديب في ثقةٍ ظنًا منه أن لديه قدرة على إفحام أيوب أبو الوفا بضعف منطقه.

ـ تحمَّل أسئلة طفل صغير مثلي، هل هذه الجاذبية قوية للغاية هكذا؟

ـ بالطبع قوية جدًا.

ـ إذا لِمَ تفلت من قوتها كائنات ضعيفة كالبعوض والطيور والذباب ويهربوا من مجالها؟

ـ د. أيوب، من فضلك اشرح لنا علميًا ماذا تقصد بتساؤلاتك؟

قالها في نفادِ صبرٍ واضح وائل البدراوي، فاستطرد أيوب أبو الوفا:

ـ أقصد أن الحقائق جميعها أمام أعيننا طوال الوقت، نحن نختار بإرادتنا أن نتنكر لها فقط كي لا نُغضب الذين نصبوا أنفسهم أسيادًا على العالم وارتضينا بهم وبمزاعمهم كي لا يصفنا الآخرون بالجهل والتخلف، أنا أعرف أن الأستاذ عمر الديب على سبيل المثال ينظر لي الآن على أنني عجوز مخرف بلغ بي العمر أرذله!

ـ إطلاقـ...

ـ لا تقاطعني يا أستاذ عمر، بدلًا من السخرية التي تطل من عينيك مما أقول، عليك أن تقدم لي إجابات تقنع طفلًا صغيرا وليس عالمًا مثلي، هل الأرض كروية وليست مسطحة؟!.. إذًا اشرح لي كيف يتسلق نهر النيل مثلًا هذه الكرة من منبعهِ بالقرب من خط الاستواء وصولًا

للبحر المتوسط في شمال الكرة المزعومة!.. الأرض كروية؟!.. إذًا لماذا لا نرى تقوسها عبر قناة السويس مثلًا التي تمتد منبسطة فوق الأرض لمسافة **١٩٣** كيلو متر؟.. الأرض كروية؟!.. إذًا كيف يتقوس الماء في البحار والمحيطات ليلتصق بالأرض ولا يسقط عنها إلى أسفل كما يقول المنطق؟

ـ قوة الجاذبية يا د. أيوب هي السبب.

ـ أي قوةٍ تلك التي تحافظ على المسطحات المائية ملتصقة متقوسة حول الأرض التي يزعم الكرويون المتعجرفون دورانها حول محورها بسرعة تزيد عن ١١٠٠ ميل في الساعة؟.. هل تعلم ماذا يعني ذلك؟.. الميل هو ١٫٦٠٩٣٤٤ كم، أي أن الكرة الأرضية تدور حول محورها بسرعة تقترب من ١٧٧٠ كم في الساعة الواحدة، لو أن الكرة الأرضية تدور بتلك السرعة لقذفتنا جميعًا نحو فضائهم المزعوم، هذا ما يقوله المنطق.

ـ لكن الجاذبية الأرضية قوتها أشد د. أيوب، هذا ما يفسر الأمر.

ـ جاذبية أرضية!.. الوهم الكبير الذي اخترعه نيوتن المخرف واستخدمه الكرويون لتعزيز أكاذيبهم.

ـ دكتور، أنت تنكر وجود جاذبية أرضية من الأساس؟

سأله عمر الديب مندهشًا في نفادِ صبرٍ، فتدخل وائل البدراوي محاولًا تهدئة الموقف قائلًا:

ـ نستأذن المشاهدين في الخروج لفاصلٍ إعلانيّ ثم نعود لنستكمل الإجابة على هذا السؤال.



قيادات شرطية من جميع الرتب كان يعج بهم المكان بعد أقل من نصفِ الساعة من معرفة هوية القتيل، تعرف عليه حارس العقار دون الكثير من العناء وسط بركة الدماء التي أخفت ملامحه، لم يكن حارس العقار يتصور أن جسد هذا الكهل النحيل يحتوي على هذا القدر من الدماء!، أخبر الشرطة أن ذلك الكهل قليل الكلام كان قد استأجر شقة مفروشة بالطابق العاشر منذ أقل من شهر.

ذلك الكهل الذي قرر أن يُحدث ضجة قبل رحيله!

رحيلٌ لم يعلم أحدٌ في تلك اللحظات هل كان مخيرًا أم مجبرًا عليه!

«**أيوب أبو الوفا**»!

نظارته الشمسية التي ارتداها طوال الحلقة والدماء التي أغرقت وجهه وجسده بعشوائيةٍ مغرقة في البشاعة صعَّبت من

تعرف المارة عليه من الوهلةِ الأولى رغم تحديق أغلبهم في وجهه لمدة قاربت الست ساعات قبل أقل من أربعة وعشرين ساعة.

وسط حالة الهرج والمرج لم يلتفت أحدٌ لمدخل العقار وما تنبه أحدٌ للرجلين الذين انسلا واختفيا في هدوءٍ بين صخب المتزاحمين أسفل العقار بعدما أنجزا مهمتهما الموكلة إليهما.

مجموعات من البحث الجنائي انتشرت في البناية وفي شقة القتيل وفي المحلات التي تتراص أسفل العقار يتحفظون على كل تسجيلات كاميرات المراقبة المتاحة ويرفعون البصمات من شقة القتيل ويستجوبون الجميع في غلظةٍ واضحة، حارس العقار صعيدي المنشأ كاد أن يبول في ملابسه ذعرًا من غلظتهم وقسوتهم أثناء أخذ أقواله وكأنه المسئول الأول عن مقتله!

لم يَدُر بخلد أحدهم أنه من الممكن ألا يتعد الأمر مجرد انتحار بناء على رغبته الشخصية وقد أتم رسالته في هذه الحياة أو ظنًا منه أن وفاته قد تُعزز من موقف قضيته التي آمن بها، انتحاره لم يكن على الإطلاق أحد خياراتهم، فالمنتحر لا يهشم سطح المنضدة الزجاجي ولا يتعثر في السجاد المفروش على الأرض ولا يتشبث بالستائر المجاورة لباب الشرفة التي سقط منها ممزقًا إياها، لم يجد قاتليه الوقت لإخفاء آثار جريمتهم وفضَّلُوا الفرار وسط الفوضى الدائرة أسفل البناية، لم يضعوا في حسبانهم أن يكون هذا الكهل شديد التعلق بالحياةِ إلى هذه الدرجة!

تسربت الأخبار إلى الصحافة سريعًا بواسطة بعض أفرادٍ من الشرطة من الذين يُتقنون التصريح بالأخبار دون ذكر اسمهم مكتفين بالإشارة إليهم بأنهم «**مصدر مسئول**»، لم يمض وقت طويل حتى عج المكان بمراسلي الصحف والقنوات الفضائية، وما لبثت أن تذيلت شاشات القنوات التلفزيونية بشريط الأخبار العاجل وتسابقت المواقع الإلكترونية بتصدير الخبر معلنين مقتل الكهل أيوب أبو الوفا بعدما فجَّر قنبلته على شاشات التليفزيون في الليلةِ السابقة.

كان الخبر بمثابة صدمة حقيقية لأمجد سليمان، يكره أن تجري الرياح بما لا تشتهي سفنه، وقد ظن أغلب الوقت أنه قد أصبح قادرًا على السيطرة على الرياح وتوجيهها كيف شاء وأين شاء!، أجرى اتصالاته بالجهات السيادية وغير السيادية للاطمئنان أولًا أن أحدهم لم يتطوع من تلقاء نفسه بتنفيذ هذه الجريمة، ثم أصدر أوامرَهُ شديدة اللهجة بأن تصله المستجدات أولًا بأول.

لم يغادر مكتبه منذ الليلةِ الماضية يتابع التطورات، كان يعرف منذ الصباح بحسِّه الأمني الذي أثقلته السنون أن هناك أمورًا سيئة ستحدث، تعزز لديه هذا الشعور مع خبر مقتل أيوب أبو الوفا، ولكن تحول الشعور لواقع حقيقي ملموس بعد ذلك بقليل، لن يكون خبر مقتل أيوب أبو الوفا هو الأمر الأسوأ في ذلك اليوم!، الأسوأ أتى مع هذا الاتصال العاصف الذي تلقاه، عاصفة من التوبيخ تضائل أمامها حتى كاد أن يختفي، كان يؤمن

أنه يستحق كل كلمة توبيخ ولا يُنكر ذلك وقد شغله نجاح الحلقة الساحق عن ضرورة تأمين أيوب أبو الوفا بالقدر الكافي.

ولمَّا كان كل فعلٍ له رد فعل مساوٍ له في المقدار وإن كان باستطاعة أمجد سليمان دائمًا أن يتحكم في اتجاهه كما يحلو له، فقد أعاد توجيه كل التوبيخ والتقريع الذي ناله لينصب فوق رؤوس كل كائنٍ حي واقع تحت سلطته سواء كان مسئولًا عن عدم تأمين القتيل أمْ لا.

أمجد سليمان كان يدرك أن الأسوأ لم يأتِ بعد، لم يكن يؤمن يومًا بالتفاؤل أو التشاؤم، فقط يُحلل المعطيات أمامه وكثيرًا ما كان ينجح في توقع النتائج، ولم يخب حدسه في تلك المرة، فما لبثت الأجواء أن ازدادت توترًا مع ذلك البيان الناري الذي أرسلته السفارة الأمريكية بالقاهرة لوسائل الإعلام ونشرته إلكترونيًا عبر كل المنافذ الممكنة، نصف البيان الأول تقليدي ومتوقع من الولايات المتحدة وسفارتها إذ حذرت الرعايا الأمريكيين في مصر من وجود تيارٍ معاد من الشعب المصري لكل ما هو أمريكي، وأكدت على خطورة الوضع الأمني في مصر للرعايا الأمريكيين، وطالبتهم بمغادرة البلاد في أسرعِ وقتٍ ممكن.

لكن الأزمة كانت في القنبلة التي فجرها البيان في نصفه الثاني، الرجل الذي ساقه حظه العاثر لإدخال بيان السفارة الأمريكية لأمجد سليمان في مكتبه رأى هدوء الأخير وهو يقرأ نصف البيان الأول، وشاهد الحمم تتصاعد وتحتشد في وجه أمجد

سليمان وهو يقرأ نصف البيان الثاني ورأى وحاول أن يتفادى كتل السباب الملتهبة التي كانت تتناثر من فم أمجد سليمان في كل اتجاهٍ ما إن فرغ من البيان!

بعجرفةٍ واستعلاءٍ أمريكيٍّ خالص طالبوا في بيانهم الحكومة المصرية والجهات الأمنية في مصر بسرعة تقديم الجناة إلى العدالة والمطالبة بإشراك محققين تابعين للولايات المتحدة الأمريكية خلال كل إجراءات التقصي والتحقيق ومحاكمة الجناة المتسببين في مقتل المواطن الأمريكي أيوب أبو الوفا داخل الأراضي المصرية!

كان نصف البيان الثاني تحرشًا مبتذلًا بالسيادة المصرية!

أدرك أمجد سليمان بحكم خبراته والتي أهلته للجلوس في هذا المنصب الحساس أن بيان السفارة الأمريكية ما هو إلا الموجة الأولى التي سيتبعها موجات أشد عنفًا.

بدأت مقدمات الموجة الثانية في التجمع والارتفاع، موجة تشكلت من مشاركات على جميع وسائل التواصل الاجتماعي من ناشطين سياسيين من الذين انتقل بعضهم فجأة من قاع الفقر لقمة الثراء، ومشاركات من منظمات مدنية وحقوقيين، انفجرت مواسير المشاركات لتقذف في وجوه الجميع هجومًا ضاريًا يتهم الجهات الأمنية المصرية وجهات سيادية بالتخطيط لمقتل أيوب أبو الوفا والتورط فيه، وتحميلهم مسئولية مقتله زاعمين أن هذا

ديدن الأمن المصري لافتعال الأزمات لإلهاء العامة عن التدهور الذي أصاب الدولة من كل الجوانب.

البرامج الحوارية المسائية على شاشات القنوات الفضائية لا همَّ لهم سوى مقتل أيوب أبو الوفا، وفر لهم أيوب أبو الوفا بمقتلهِ موضوعًا دسمًا يشغلون به وقت البث، فرصة لخروج الخبراء ليقتاتوا بهذيانهم من جيوب مالكي القنوات الفضائية بالظهور عبر الشاشات التليفزيونية بمظهر العالِمِين ببواطن الأمور قبل ظواهرها، وممارسة هوايتهم في التلميح بغموضٍ لأي أمرٍ مُدَّعين امتلاكهم كافة الأسرار، إن اقتربت تلميحاتهم من الحقائق ازدادت شهرتهم وتضاعف أجرهم فيما بعد، وإن جافت تلميحاتهم الحقائق وتعارضت معها فهي إذًا محض تلميحاتٍ يمكنهم نفيها فيما بعد!

جاءت الموجة الثالثة والرابعة أشد عنفًا، تفجيران متتاليان أحدهما عند بوابة كنيسة بحلوان لم يخلف ضحايا، والآخر جوار قسم شرطة الأميرية بالقاهرة راح ضحيته اثنان من قوات الأمن وثلاثة من المدنيين بخلاف المصابين الذين تصادف وجودهم في محيط الانفجار، ثم جاءت الموجة الخامسة التي كان مقدرًا لها أن تكون الأشد عنفًا لولا العناية الإلهية، إذ تمثلت الموجة الخامسة بقنبلة في حافلة نقل عام شاءت العناية الإلهية ألَّا تنفجر.

ساعات مضت قبل أن يعلن تنظيم أنصار بيت المقدس مسئوليته بعد منتصف الليل عن مقتل أيوب أبو الوفا ومسئوليتهم عن التفجيرات مهددًا الجميع بنفس المصير إن استمر الكفار

والنصارى والملاحدة –بحد زعمهم– في افتراءاتهم على الله بالباطل.

ذعر سيطر على الجميع حتى أصاب أولئك القابعين في منازلهم مثلما يحدث مع كل موجةٍ من الهجمات الإرهابية المتتالية التي تضرب البلاد، بعد القليل من الوقت خلد الجميع إلى نومهم بينما الاجتماعات دائرة في الجهات الأمنية يتدارسون الموقف ويحاولون توقع أين تأتيهم الضربة التالية محاولين قدر جهدهم وأدها في مهدها.

مع مطلع الفجر كانت التعليمات قد صدرت ووجب تنفيذها بصرامةٍ بالغة بإلقاء القبض على كل الناشطين السياسيين وكل العاملين بالجمعيات الحقوقية ومصادرة جميع محتويات مكاتبهم في أنحاء مصر في حملة اعتقالاتٍ واسعة فاقت اعتقالات سبتمبر عددًا.

قرار كان بمثابة المغامرة بضرب عصفورين بحجرٍ واحد من وجهة نظرهم، إن كان هؤلاء المعتقلين هم السبب بشكلٍ أو بآخر في الأحداث الأخيرة فاعتقالهم سيحد منها، وإن لم يكونوا سببًا فيها فاعتقالهم فيه راحة من أعباء احتمال النقد واستراحة من ضجيجهم، لن يلتفت أحد من المواطنين لحملة الاعتقالات تلك وسط حالة الذعر العامة ولن يلقى المعتقلون أي تعاطفٍ من جموع المواطنين.

لكن الأحداث لم تهدأ حِدتها مع مَقدم الصباح رغم ذلك!

جزء من الحلقة

لم ينتظر أيوب أبو الوفا انتهاء وائل البدراوي من جملته ليخرج مستلزمات غليونه ويعبئه بالتبغ في عصبيةٍ بالغة.

ـ لم هذه العصبية يا دكتور أيوب؟

سأله عمر الديب في توددٍ مرغمًا محاولًا تهدأته بناءً على تعليمات مخرج البرنامج.

ـ أنا لا أسمح لأحدٍ مهما كان شأنه السخرية من كلماتي والتهكم عليها.

ـ أنا أعتذر لحضرتك إن كان ذلك ما وصل إليك.

ـ بدون اعتذارات، أنا مؤمن أنك تراني كمجنونٍ ليس إلَّا، ولكن ما دمت قد استضفتني في برنامجك فلا بد أن تلتزم بقدرٍ من المهنية ولا تسخر من آراء ضيفك، لتعصر ليمونة ضخمة على نفسك الجزعة مني حتى انتهاء البرنامج، فلولا الملايين الذين يشاهدوننا واحترامهم الواجب عليّ لانسحبت من الحلقة بلا أدني تردد، لا تريد أن تقتنع بكلامي هذا شأنك، تريد أن تناقشني فأهلًا وسهلًا ومرحبًا بالنقاش.

ـ إن كان سيرضيك ذلك، فها هي رأسك أقبلها.

انحنى عمر الديب محاولًا تقبيل رأس أيوب أبو الوفا لكن الأخير منعه رافضًا إذلاله قائلًا:

ـ أنا أتقبل اعتراضك على كلامي بلا أية غضاضة، وقد سمعت من البعض أن السخرية هي أسلوبك دائمًا، ولكن أتمنى أن الحلقة تستمر في إطار نقاشٍ محترم متبادل لكي أتمكن من إكمالها ولا أجد نفسي مضطرًا للانسحاب.

ـ لا بالطبع، لا يرضينا انسحابك ولا التسبب في أي ضيقٍ لك د. أيوب، لنستعد فالفاصل الإعلاني أوشك على الانتهاء.

قالها وائل البدراوي منهيًا الجدال بينهما وعاد المذيعان إلى مكانيهما وأخفى أيوب أبو الوفا مستلزمات غليونه خلفه في المقعد محاولًا استعادة هدوءه، بدأ البث فتحدث وائل البدراوي قائلًا:

ـ د. أيوب، أنت تنفي وجود شيءٍ يسمى الجاذبية الأرضية مثلما صرحت قبل الخروج للفاصل.

ـ هذا صحيح.

ـ هل تفضلت بمزيدٍ من التوضيح؟

ـ بدون الخوض في مصطلحاتٍ علمية يصعب على المشاهدين فهمها، العلماء افترضوا أن كل جسمٍ له كتلة يصبح له جاذبية تؤثر على الأجسام الأخرى المجاورة له.

ـ الكتلة هذه المقصود بها الوزن؟

- لا، وزن أي جسم هو مقدار كتلته مضروبة في متوسط عجلة الجاذبية الأرضية المزعومة، ولكن هذا كلام غير منطقي، فلو افترضنا صحة هذا الزعم، فمن المفترض أن الشمس بكتلتها الكبيرة للغاية قادرة على أن تجذب نحوها القمر الواقع تحت جاذبية الأرض الأقل في الكتلة ما دامت جاذبيتها تلك قادرة على التأثير في الأرض وما بعد الأرض من كواكبٍ مزعومة؛ لينجذب القمر نحوها ويدور في فلكها لا فلكَ الأرض، والأرض بقوة جاذبيتها ستجذب القمر ليسقط عليها عندما تصبح الأرض في المنتصف بين الشمس والقمر؛ فيسقط القمر فوق الأرض، بمعنى أوضح، يقال أن الأرض تؤثر على القمر بقوة جذب والقمر يؤثر على الأرض بقوة جذب هو الآخر وهذا هو التفسير الذي قالوا به لتفسير ظاهرتي المد والجزر!، السؤال ها هنا، إذا كانت الأرض والقمر في حالة تجاذب متبادل، فما الذي يمنع اصدامهما ببعضهما؟!، وما الذي يمنع الأرض من الاقتراب من الشمس والاصطدام بها متأثرة بقوة جاذبية الشمس ذات الكتلة الأكبر بكثير من كتلة الأرض، الشمس القادرة - كما يزعمون - على إجبار كواكب أضخم وأبعد كالمريخ والمشترى وزحل على الدوران في فلكها.

- اسمح لي د. أيوب، كنت قد قرأت عن نظرية الانفجار الكبير أو الـ Big Bang والمتسببة في خلق الكون، وأن هذا الانفجار الكبير هو الذي يجعل الكون دائمًا في حالة تمددٍ دائم.

قاطعه عمر الديب في تأدبٍ هذه المرة معترضًا على ما قاله، فعلق أيوب أبو الوفا سائلًا:

- ما الذي يتمدد تحديدا؟!.. المسافة بين كل جسم والجسم المجاور له، بمعنى أن القمر هكذا يبتعد عن الأرض؟.. أم أن الأرض وبقية الكواكب التابعة للمجموعة الشمسية المزعومة تتباعد عن الشمس؟!.. أم أن الشمس تبتعد بمجموعتها الشمسية عن بقية المجموعات النجمية المكونة للمجرة؟!.. هذا كلام غير منطقي، لو افترضنا أن كتلة الأرض ثابتة فهذا يعني أن جاذبيتها المبنية على كتلتها ثابتة، فلو حدث تمدد مستمر مثلما تقول فلن يدور أي جرم في فلك جاذبية الجرم الآخر الأكبر منه في الكتلة، الجاذبية المتعارضة مع الانفجار الكبير كلاهما أكاذيب تحاول تعزيز الكذبة الكبرى بدليل تعارض كل نظريةٍ مع الأخرى، هل هي قوى تجاذب أم تمدد؟.. كلام متناقض.

- ودوران الأرض؟

ـ الأرض ثابتة في موضعها، هذا الدوران لا يمكن إثباته سواء دورانها حول محورها أو دورانها حول الشمس، بل أن الدلائل الملموسة تثبت نفيه.

ـ وما هي تلك الدلائل الملموسة التي تنفي دوران الأرض يا د. أيوب كي لا يكون كلامك مرسلا؟!

سأله في شكٍ وائل البدراوي، فتنهد أيوب أبو الوفا ثم قال في هدوءٍ محاولًا رسم ما يود قوله في الهواء بذراعيه:

ـ تخيل معي أنك تعيش فوق كرة تدور حول محورها بمتوسط سرعة ١١٠٠ ميل في الساعة، فلماذا إذًا تحرق الطائرات سنويًا آلاف الأطنان من الوقود؟!، لم لا ترتفع الطائرة عن سطح الأرض عموديًا وتظل معلقة في الهواء منتظرة أن يتسبب دوران الأرض في وصولها لوجهة هبوطها أسفلها؟!.. عندما تسافر من القاهرة إلى الرياض تستغرق الرحلة نفس الوقت الذي تستغرقه رحلة العودة من الرياض إلى القاهرة رغم أن دوران الأرض في صالح اختصار وقت الرحلة من الرياض إلى القاهرة!، بل كيف تهبط الطائرة من الأساس على مدرج الهبوط في مطارٍ مُهَّدَ على أرضٍ تدور ويدور معها في رحلةِ دوران الأرض حول محورهاٍ؟!

ـ المخرج يمليني الإجابة قائلًا أن الغلاف الجوي يدور مع الأرض في ذات الوقت، بمعنى أن دورانه مساويًا

لدوران الأرض وهذا ما يفسر عدم ملاحظة المسافر في الطائرة لدوران الأرض.

تحدث عمر الديب ناقلًا تفسير المخرج لضيفه.

ـ وهل أنت اقتنعت بهذا التفسير!.. الجاذبية الأرضية المزعومة قادرة على جذب مليارات الأطنان من مياه البحار والمحيطات وتحريك الغلاف الجوي بما يحتويه من طائرات وأطنان من بخار الماء وفي نفس الوقت غير قادر على جذب الطيور والذباب وإجبارهم على عدم الطيران!.. لنستخدم هنا عقل الطفل داخلنا لنكتشف أن كل تلك التفسيرات غير المنطقية لا يمكن الاعتداد بها على الإطلاق، لا يمكن لإنسانٍ سَويّ أتاه الله العقل أن يقتنع بهذه التفسيرات لمجرد أن مجموعة من الأفاقين أقنعوه بذلك.

ـ المخرج يمليني السؤال القادم ويقول أن الإنسان لسرعة دوران الأرض لا يشعر بهذه السرعة الكبيرة كالأطفال حين يركبون الأرجوحة ويغمضون أعينهم، إن كان كل شيءٍ يدور بنفس السرعة فلن تشعر بالدوران، ما ردك د. أيوب؟

ـ لنتفترض صحة هذا الكلام البعيد عن المنطق، أنا أحاول جاهدًا ألا أتطرق لأمورٍ علمية تُشتت المشاهدين ولكن سأحاول أن أبسط لك الأمور قدر الإمكان.

ـ يسعدنا ذلك.

ـ لو أن الأرض تدور حول محورها في اتجاهٍ ثابت، وافترضوا أن الغلاف الجوي هو الآخر يدور مع الأرض في نفس الاتجاه، فما التفسير المنطقي للاتجاهات المختلفة لسلوك الرياح على مستوى هذه الكرة الأرضية المزعومة، ألا يتعارض ذلك مع تلك الفرضية؟

ـ منطق سليم!

ـ هم يقولون أن متوسط سرعة دوران الأرض حول محورها ١١٠٠ ميل في الساعة الواحدة، وقالوا أن تلك القيمة هي متوسط السرعة لأن هناك اختلافًا بين سرعة دوران الأرض في شمال كرتهم الأرضية عن سرعتها عند خط الاستواء، هذا الفارق يصل إلى ٥٠٠ ميل في الساعة!

ـ وما معنى ذلك؟

ـ معناه أن المواطن الإنجليزي تشارلز ماكوي الذي نشأ في شمال انجلترا على سبيل المثال اتزانه الجسدي والحسي اعتادا على سرعةٍ ما لدوران الأرض، هذا المواطن سيء الحظ قاده حظه العاثر للسفر في بعثةٍ علمية بأحراشٍ وسط القارة الأفريقية عند خط الاستواء، عندما يهبط عند جهة وصوله من المفترض أن يشعر بتسارعٍ في دوران الأرض مقداره ٥٠٠ ميل في الساعة!، تسارعٍ لم يعتده اتزانه الحسي والجسدي طوال حياته

الطويلة، ولكن للأسف هذا لا يحدث على أرض الواقع، في اعتقادك ما السبب؟

ـ أنت من ستخبرنا يا د. أيوب.

ـ لأنه لا يوجد اختلاف بين سرعتي دوران الأرض في شمالها ووسطها، لأن الأرض ببساطة لا تدور!، أنت يمكنك أن تشعر بالزلازل وتسجلها الأجهزة وصنعت لها مقياسًا خاصًا بها ولكن لا يمكنك أن تشعر بدوران الأرض!، هل نأخذ مثالًا آخر؟

ـ بكل سرورٍ، تفضل.

ـ الكندي روب فورلونج Rob Furlong في مارس ٢٠٠٢ – إن لم تخني الذاكرة ـ استطاع قنص هدف في أفغانستان على بعد ٢٤٧٥ متر بواسطة بندقية قنص McMillan Tacـ٥٠، هذه الواقعة ومثيلاتها تنفي بشدة كُلًّا من تقوس الأرض ودورانها حول محورها في ذات الوقت، كل ما يحتاجه القناص لقنص هدفه هو المسافة التي يبعدها عنه وسرعة الرياح، لا يضع إطلاقًا دوران الأرض حول محورها في حساباته، وبخاصة أن رصاصته سيصبح لها سرعة مستقلة لقوة قذفها، أما بخصوص تقوس الأرض، فلو افترضنا أن رصاصته انطلقت من موضعه على ارتفاع ٢٠٠ متر فوق سطح الأرض في مسارٍ مستقيم فلو كانت الأرض كروية لكان

يلزم على الهدف أن يكون على ارتفاع ٤٨٠ متر لكي تقتنصه الرصاصة التي تسير في خط مستقيم نحو هدفٍ واضح لم يخفهِ تقوس مزعوم!، أتريد مثالا آخر؟!

- بالطبع نستمتع بأمثلتك.

قالها عمر الديب في انبهارٍ واضح لم يستطع إخفائه!

- الأرض يقولون أنها كروية الشكل، الطائرات عندما تنطلق في الهواء في رحلاتها تسير موازية لسطح الأرض ويظهر الارتفاع لقائد الطائرة ليحافظ على ارتفاعٍ معين طوال رحلته، ولكن لكي يحافظ على خط السَّير هذا الموازي للأرض فعليه أن يُحني مقدمة الطائرة نحو الأرض ليهبط ٨٠٠ كيلو متر كل دقيقة كي لا ينطلق في خطٍ مستقيم نحو الفضاء!.. هذا لا يحدث في الواقع؟! أقول لك بثقةٍ «**لا يحدث**» ويمكنك التأكد من زملائك الطيارين!

توقف أيوب أبو الوفا عن الحديث وانفرج فمه عن ابتسامةٍ واسعة وقد بدت الدهشة على وجهيّ المذيعين.

- نخرج لفاصل ثم نعود لاستكمال الحوار، فابقوا معنا.

كانت هذه الجملة الأخيرة من أيوب أبو الوفا والتي كانت بمثابة لكمة خطافية لثقة عمر الديب في نفسه!



لا أحد يعرف تحديدًا كيف نجح حشد وتحريك جموع الطلاب في جميع الجامعات المصرية في وقتٍ واحد بهذا الشكل!، أية تعليمات سابقة بالحشد والتحرك لم تكن تلق هذا التجاوب!، لم تكن هذه المرة تشبه المرات التي سبقتها، أثرها أذهل أمجد سليمان في مكتبهِ وقد اعتقد لسنين أن ما من شيءٍ قد يثير ذهوله!

نيران الغضب تأججت في صدور الطلاب والطالبات بالجامعات، في البدأ كانت الأعداد قليلة لا تُوحي بإمكانية تضاعف أعدادهم، مسيرات ترفض وتدين الأعمال الإرهابية التي حدثت في الليلةِ السابقة، طلاب الأنشطة الطلابية تنافسوا في ابتكار تصميماتٍ للافتات التي تقطر غضبًا، أعضاء عشائر الجوالة شبابًا وفتياتٍ ألهبوا حماس الجميع بهتافاتهم على صوت ضربات أياديهم على الدفوف، في سابقةٍ لم تحدث في تاريخ

الجامعات المصرية الحديث ألغى جميع أعضاء هيئة التدريس محاضراتهم ونزلوا منتشرين وسط الجموع في حماسةٍ أيقظت ذكريات شبابهم في الجامعة.

تضاعفت الأعداد بعد مرور وقتٍ قصير، كل ترك ما وراءه واندمج وسط الحشود المتظاهرة، صور مظاهراتهم تتكدس بها مواقع التواصل الاجتماعي، الكل يُسجل مشاركته في التظاهر عبر التطبيقات الإلكترونية المختلفة، الصور تصل من جامعة لأخرى عبر الفضاء الإلكتروني فتلهب حماسهم، تناغموا بغير تنظيمٍ مسبق فتطابقت الهتافات وتشابهت اللافتات.

لا أحد يعرف كيف تحولت الهتافات فجأة ومعها اللافتات من رفض العمليات الإرهابية لتأييد تسطح الأرض!، لم تصدر تعليمات من أمجد سليمان في مكتبه بذلك، بعض الشباب ربط بين ما حدث من أعمالٍ إرهابية وبين الخلاف المحتدم بين الولايات المتحدة ومصر والذي وجد متنفسًا له في خلافهما الأخير حول شكل الأرض وما نتج عنه من مقتل شريف النجار ثم تبعه أيوب أبو الوفا!

ما لبثت أن تحولت المظاهرات لمهاجمة الولايات المتحدة الأمريكية خادعة العالم بأكاذيب ناسا وداعمة الإرهاب عبر جماعات الإرهاب التي تأتمر بأمر وكالة الاستخبارات الأمريكية، الطلاب المتظاهرون بجامعة القاهرة غلبهم الحماسة فضاقت بهم الجامعة بأسوارها شاهقة الارتفاع رغم اتساعها فخرجوا بثورتهم

نحو ميدان التحرير لينضم إليهم كل فردٍ تصادف تواجده في طريقهم!

يتقدمون نحو وجهتهم والأرض ترتج تحت أقدامهم وصوت هتافهم يتردد صداه في سماء القاهرة، لو وقف في طريقهم جبل لفتتوه لذراتٍ من الغبار.

أمجد سليمان الذي لم يفارق مكتبه منذ أيام تصله التطورات من قلب الحدث، لم يكن يضع في الحسبان خروج المظاهرات خارج أسوار الجامعة، ظن أن الشباب بعد ترويضهم قد فقدوا تلك الجرأة منذ سنواتٍ مضت، ما إن خرجوا حتى جعلت مخاوفه تتزايد من خطوتهم القادمة التي يتوقعها.

لم تطل مخاوفه كثيرًا إذ تحولت لأمرٍ واقع حين تحركت جموع المتظاهرين الغاضبين نحو السفارة الأمريكية الواقعة بالقرب منهم، يخشى أمجد سليمان عاقبة أي فعلٍ متهور قد تُسأل عنه الدولة المصرية في المجتمع الدولي.

أجرى اتصالاته حاملة أوامره واجبة التنفيذ بأقصى سرعةٍ ممكنة، في خلال عشرة دقائق وقبل لحظاتٍ من وصول المتظاهرين إلى السفارة الأمريكية كانت قوات من الشرطة تتقدمهم قوة من الجيش تحمي أسوار السفارة!

صدمة أصابت الشباب الغاضب من هذا المشهد!

مشتتون يتساؤلون فيما بينهم عن سببٍ يدفع الدولة بشرطتها وجيشها لحماية سفارة دولة تناصبهم العداء وتحيك لهم المكائد وتضمر في نواياها كل شرٍ لهم؟!

كيف تقرر الدولة بشرطتها وجيشها حماية أهل الشر؟!

- أنتم إخواننا، نرجوكم عدم المبادرة بأي فعلٍ يسيء لمصر، نحن معكم لا عليكم.

كلمات ضباط الجيش هدَّأت من غضب الشباب، الجميع منذ حرب أكتوبر يبدون الكثير من الاحترام والتقدير لكل من يرتدي الزي العسكري، اعتصم الشباب والفتيات وقليل من العامة أمام أسوار السفارة يُرددون هتافاتهم بحماسٍ لم يفتر على وقع ضربات الأيدي على الدفوف.

مشهد بديع كانت ستحتفي به صحف الولايات المتحدة الأمريكية نفسها وبتحضُّر أبطال هذه التظاهرة لو لم يكن المعتصمون في خانة الخصم.

تسلل واحد من الشباب وجعل يكتب على الحائط عبارات مسيئة للولايات المتحدة، لمحه أحد العساكر فنبه ضابط من ضباط الجيش للأمر، تلاقت عينا الشاب مع عيني الضابط فابتسم الأخير وغمز له بعينهِ وأولاه ظهره وكأنه لم يره!، شرارة الحماس انتشرت في صدور المعتصمين فأججت حماسهم وبخاصة مجموعة من طلاب النشاط الفني الموهوبين بالرسم للتنافس على ملأ حائط السفارة بكل ما تجود به قريحتهم، خلال ساعة واحدة

لم يعد هناك موضع واحد يخلو من رسومهم، وفي أكثر من موضع كانت تظهر صورة أيوب أبو الوفا بشعر رأسه ولحيته الأشيبين ونظارته الشمسية وابتسامته الساخرة الواثقة المتحدية!

صورته تحولت لأيقونة رُسِمَتْ في قلوب المعتصمين، صورة كان سيسعد برؤيتها أيوب أبو الوفا حتى وإن رسموه دون غليونه الحبيب.

جزء من الحلقة

أمام الشاشات انتزعت جملة أيوب أبو الوفا الأخيرة الكثير من الضحكات وهم يرون عمر الديب يكاد وجهه أن تتفجر منه الدماء من شدة الإحراج ووائل البدراوي كذلك وقد سقط الاثنان أسرى لجاذبية الأول رغم صغر كتلتهِ مقارنة بهما، المشاهدون أمام الشاشات رغم اختلاف ثقافاتهم أجمعوا على أمرٍ واحد «**أيوب أبو الوفا رجل بارع سواء في علمه أو كذبه!**»

أيوب أبو الوفا في أعينهم صار هالة مثيرة للإعجاب في طريقة عرضه للمعلومات، يحدِّثهم في أمورٍ علمية بحته فلا تفقدهم طريقة عرضه تركيزهم، له جاذبية وحضور طاغ حافظ عليهما رغم تجاوزه الستين!

ـ حلوة «**نخرج لفاصل**» التي قلتها يا دكتور!

قالها عمر الديب مصفقًا بيديه في اعترافٍ ضمني بمهارة أيوب أبو الوفا الذي رد إطراءه مكتفيًا بابتسامة ثقة، فاستطرد الأول قائلًا:

ـ نسبة المشاهدة عالية جدا يا د. أيوب، هذا شيء يُحسَب لك، أعترف بذلك، ولكن في ذات الوقت نحن مطالبين بالحفاظ على مصداقية الحلقة عن طريق استقبال مكالمات هاتفية.

ـ أنا مستعد في أي وقت.

ـ أنا واثق من ذلك، ولكن رجائي لك بأن يتسع صدرك لبعض المداخلات التي قد يرتفع بها حدة الحوار.

ـ هيا نرجعٍ من الفاصل يا أستاذ عمر.

قالها ضاحكًا أيوب أبو الوفا فعاد كلا المذيعين إلى مكانيهما أمام الكاميرات. «**قل لهذا الشائب أنني فقط من يحدد متى نخرج ومتي نعود من الفاصل**».

كان هذا التوبيخ الحاد منٍ المخرج عبر سماعات أذنيّ المذيعين فنقل عمر الديب ضاحكًا تلك التعليمات إلى أيوب أبو الوفا، أشاح الأخير بيده في عدم اهتمامٍ مما زاد من سخط المخرج فراح يسبه بكل مفردات السباب المًمكنة.

ـ عندنا بعد الفاصل، د. أيوب، درسنا في المرحلة الإعدادية في المدارس الحكومية ـ مثلما يقول صديقي عمر ـ أن

أكبر دليل على كروية الأرض هو اختفاء قاعدة السفينة أولًا عند ابتعادها عن الشاطيء ثم الشراع ثم تختفي السفينة بالكامل، ما ردك؟

سأله وائل البدراوي، فأجاب أيوب أبو الوفا:

ـ بدون الخوض في تعقيداتٍ علمية تُشتت تركيز المشاهدين مثلما اتفقنا، هناك علم يسمى علم المنظور يفسر هذه الظاهرة ببساطة، تخيل نفسك واقفًا في بداية ممر طويل من أحد ممرات الفنادق مثلًا وعلى الجانبين تتراص أبواب الغرف، وفي سقف الغرفة على مسافاتٍ متساوية يوجد مصابيح للإضاءة.. نستأذن المخرج في عرض الصورة رقم (١٠) على الشاشة.

انتظر لثوانٍ أيوب أبو الوفا حتى عرض المخرج الغاضب الصورة المقصودة لتوضح ما شرحه.

ـ مثلما ترون الآن، الأبواب في الواقع أبعادها واحدة، والمصابيح كذلك، والضوء واحد، والحوائط والسقف والأرضيات أبعادها من طول وعرض ثابتة من أول الممر لآخره، أليس كذلك؟

ـ كلام سليم.

ـ إذًا لماذا نرى كل الأشياء عبر الممر تنكمش كلما ابتعدت، الأبواب تنكمش، والسقف ينخفض مستواه، والأرض يرتفع مستواها، والحوائط تنكمش تدريجيًا

نحو منتصفها، فيتلاقوا جميعًا في نقطة واحدة هي مركز نظرك في آخر الممر!

ـ هذا صحيح، من الممكن أن يجرب أي واحدٍ من السادة المشاهدين هذا الأمر.

ـ السفينة عندما تبتعد نراها تصغر في الحجم، ولكن السؤال هنا: هل هذا يحدث على أرض الواقع؟.. بالطبع لا، أضف إلى ذلك عوامل الطقس المتغيرة وبخار الماء المعلَّق في طبقات الجو الذين يشوهون الأبعاد الفعلية فترى أنت الشراع هو الواضح أمامك، في حين لو استخدمت نظارة معظمة أو تلسكوب فسترى السفينة بالكامل أمامك.

ـ أتعني أن اختفاء السفن ليس بسبب تكور الأرض؟

ـ الأرض مسطحة يا صديقي قولًا واحدًا، فنار مثل فنار الإسكندرية كانت السفن تسترشد به، كان ارتفاعه ١٢٠ متر وكان ضوئه يصل لحوالي ٧٠ ميل، هذا معناه أن الأرض لو كانت كروية متقوسة السطح فكان لزامًا على السفينة أن تكون طائرة في الهواء على ارتفاع ٥٧١٥ متر فوق مستوى سطح البحر!، بل أن السفينة لن تتمكن من رؤية الضوء سوى على بعد ٢٤/٣ ميل!.. القدرة على رؤية الفنار من عدمه ترجع فقط لنظرية المنظور، إن كان بحوذتك منظار مقرب أو نظارة معظمة ذات كفائة عالية

جدًا فيمكنك حينها رؤية ضوء الفنار من الشاطيء الآخر للبحر المتوسط ورؤية السفينة كاملة مهما بلغ بعدها عن الشاطئ كذلك.

ـ د. أيوب، كلامك من الناحية المنطقية مقبول، ولكن هل أنصار كروية الأرض ليس لديهم تفسيرات علمية لكل الظواهر التي شرحتها؟

ـ سؤال جميل للغاية، بل وأحييك عليه أستاذ عمر، أنا في الوقت الحالي من الممكن أن أرتدي قناع أستاذ الفيزياء وأظل أُسمِعَك معادلات وتفسيرات اخترعها العلماء في محاولاتهم لتفسير تلك الظواهر من منطلق واحد فقط، هو أن الأرض كروية الشكل.

ـ إذا لِمَ لَمْ يأخذوا الطريق الأسهل ويقولوا بأن الأرض ليست كروية ويتباحثوا حول تفسيرات أيسر لتلك الظواهر.

قاطعه عمر الديب في تخابثٍ وقد شعر أن ضيفه قد أُسقط في يده.

ـ أنا كنت في انتظار هذا التعليق منك بالذات يا أستاذ عمر.

ـ وأنا منتظر رد حضرتك.

ـ تخيل معي طفل أحضروه من بلاد الواك الواك، لا يعرف ما هي لعبة كرة القدم ولا قوانينها ولا أي شيءٍ عنها، قال له مدرب الفريق أن المطلوب منك هو أن تأخذ هذه الكرة وتجري بها حتى تسكنها الشباك، ما هو أول شيء سيفكر به هذا الطفل؟

سأل المذيعين فلم يجبه أيٌّ منهما إذ لم يفهما ما وراء سؤاله فاستطرد قائلًا:

ـ هذا الطفل بالفطرة سيأخذ الكرة ويجري حاملًا إياها بين يديه ليضعها في المرمى بين الثلاث خشبات، أليس كذلك؟

ـ كلام سليم.

ـ ولكن المدرب أول ما سيقوله لهذا الطفل، هو أن ما فعله تصرف خاطىء يتعارض مع القوانين المتفق عليها، وأن عليه أن يبحث عن طريقٍ له والكرة بين قدميه حتى يُسْكِن الكرة الشباك.

ـ بمعنى؟

ـ بمعنى أن العلماء جميعهم يجدون أنفسهم مطالبين بإيجاد تفسيرات لكل هذه الظواهر بما لا يخل بالقاعدة الرئيسية التي وضعت لهم.. قاعدة كروية الأرض، القانون الذي لا يجوز خرقه وعلى الجميع البحث عن حلول

وتفسيرات لأي شيءٍ دون الإخلال به كي لا يتهمهم الآخرون بالجنون.

ـ تقصد أننا لو نحينا فكرة كروية الأرض سيتمكن العلماء من تفسير كل الأمور الفيزيائية وفقًا لتسطح الأرض؟

ـ بالطبع لا، وأكون كذابا أشرًا لو قلت لك عكس ذلك، في الأرض المسطحة: كثير من الأمور لم يتم التوصل لتفسير لها مثل خسوف القمر مثلا والمجال المغناطيسي وأمور أخرى، ولكن لو تركنا الحرية للجميع للبحث عن تفسيرٍ لظاهرة متعلقة بشكل الأرض، هم سيهتدون دون مساعدةٍ من أحد لشكل الأرض المسطح لو نحُّوا جانبًا الإطار المسبق الخاص بكروية الأرض الذي يُكبِّل عقولهم وتوفرت لديهم الإمكانيات والوقت اللازم ليهتدوا للتفسيرات الصحيحة.

ـ ثقة حضرتك الواضحة في كلماتك محل إعجاب!

قالها متعجبًا وائل البدراوي، فعلق بسرعة أيوب أبو الوفا قائلًا في ثقةٍ:

ـ ثقتي تتركز في قدرة العقل البشري على الاهتداء للحقائق وسط محاولات التضليل.

ـ أعزائي المشاهدين نلتقي بعد الفاصل.

قالها مسرعًا عمر الديب قبل أن يسبقه أيوب أبو الوفا في قولها مرة ثانية.



«الكونجرس الأمريكي يتخذ قرارًا بتعليق المساعدات الاقتصادية والعسكرية لمصر»

كان هذا العنوان الرئيسي الذي ظهر في جميع المواقع الإخبارية الإلكترونية المصرية والأجنبية، قررت الولايات المتحدة أن من الضروري أن تلوح بسيفها في الأفق كي تحفظ ماء وجهها، لن يقبل فِتوةْ الحارة أن يتمرد عليه أحدٌ مهما كان، لن تقبل بأن تتحداها دولة من دول العالم الثالث بعدما أخرست الدول العظمى بسيفها تارة وبذهبها تارة أخرى، الخلاف يحتدم وقد بدا أن الطرفين غير حريصين على الحفاظ على شعرة معاوية بينهما!

الإعلام المصري واصل دوره الموكل إليه بإزكاء نار الخلاف، خرجت البرامج المسائية بمذيعيها ومحلليها السياسيين وخبرائها الاستراتيجيين يتحدثون جميعهم بصراحةٍ مطلقة دون أيةِ مواربة

عن تورط الولايات المتحدة في مقتل شريف النجار وأيوب أبو الوفا، لا أحد من مصلحته القضاء عليهما غير الولايات المتحدة فقط لأنهما مثَّلا تهديدًا مباشرًا لاستثماراتهم الوهمية – على حد وصفهم ـ في مجال الفضاء، أنكروا على الولايات المتحدة قتلها القتيلين ثم مجيئها بتبجحها المعهود للمشي في جنازتهما.

لم تقتصر التعليمات الصادرة إليهم بذلك فقط، فانتقل كل مذيع في برنامجه ـ في تناغم يُحسَدون عليه ـ لاتهام الولايات المتحدة علانية ودون مواربةٍ بدعم الإرهاب والوقوف وراء كل التنظيمات الإرهابية المسلحة في كل بقعةٍ من بقاع العالم.

لم يكن في واقع الأمر كلامهم مرسلًا في تلك المرة، لم يبذل المذيعون وضيوفهم جهدًا يُذكَر في إتقان التمثيل ليقنعوا المشاهدين بذلك، تلك كانت من المرات القلائل التي يتحدثون فيها عن حقائق لا تحتمل التكذيب، عرضوا التاريخ الدموي للولايات المتحدة منذ بدايته، وفي لعبٍ ماكر على أوتار القومية العربية أبرزوا قيام الولايات المتحدةٍ في الأساس على دماء وأشلاء الهنود الحمر الذين كانت جريمتهم تتمثل في كونهم السكان الأصليين لهذه القارة تمامًا مثلما فعلت إسرائيل في الأراضي الفلسطينية، لم يتطرقوا للجرائم العنصرية ضد السود في تاريخ الولايات المتحدة الدموي إذ لا زالت بيوت الدول العربية جميعها من الزجاج يراهم العالم يمارسون كل أشكال العنصرية ضد بعضهم البعض ولذا لم يشأ المذيعون أن يقذفوا

الولايات المتحدة بالحجارة، تجاهلوا تلك العنصرية المُقيتة في تاريخ الولايات المتحدة ثم قفزوا على القنبلتين الذريتين كجريمةِ حربٍ لا تُغتفر تسببت في إبادة مدينتين عن بُكرة أبيهما، وصولًا لدعمهم الجماعات والتنظيمات الإرهابية في كل بقعةٍ من بقاع العالم.

تحدثوا عن تدخلات الولايات المتحدة الدموية في كمبوديا وفيتنام ودعم عصابة الكونترا في نيكاراجوا ودعمهم لحسني الزعيم في انقلابه العسكري في سوريا ودعمهم لباتيستا في انقلابه في كوبا، دعمهم لسوهارتوا في أندونيسيا ودعم انقلاب الجنرال بينوشيه ضد الرئيس التشيلي سلفادور، أذاعوا التقارير عن تنظيم القاعدة الذي كان في الأساس صناعة أمريكية خالصة وما خرج من رحمهِ من أبناء زنا بينهما كتنظيم داعش وتنظيم بيت المقدس وغيرهما، تحدثوا عن تدخلهم في الصومال ويوغسلافيا وأفغانستان والعراق والسودان وصولًا للدعم المادي والمعونات الذين تستقبلهما بعض منظمات المجتمع المدني والجمعيات الحقوقية في السر والعلن!

المحتوى المذاع على جميع القنوات واحد مع اختلاف شعار القناة واجتهاد الإعلاميين في تغيير وتنويع تعبيرات وجوههم ما بين غضبٍ وفرحٍ وأسى وتوعد وتباكي واحتقار، الإعلام في هذه الليلة قام بدورهٍ الكامل في إعادة تدوير العقول، كل من تفرَّغ للجلوس أمام شاشات التليفزيون في تلك الليلة نهض من مقعده

مقتنعًا تمام الاقتناع أن الولايات المتحدة على مدار تاريخها هي المرادف لإبليس شرًا وعملًا وغاية!، لم يعد يهم رأي المشاهدين قبل تلك الليلة، فقد نجح الإعلام في مسح أي رأي سابق وشحن العقول الجديدة برؤيةٍ موحدة، لو أن مواطنًا أمريكيًا شاهد تلك الحلقات على كلِّ القنوات لتخلى عن جنسيته الأمريكية بلا أي تأنيبٍ لضمير، جميع المشاهدين اقتنعوا أن إبليس قد ضاجع الأرضَ يومًا فحملت سفاحًا بعدما زرع في رحمها خطايا الإنسانية جمعاء لتنجب له ابنة باغية تساعده على إكمال مهمته في القضاء على بني آدم وإغراقهم في سُكرة الخطايا، ابنة تسمي «**الولايات المتحدة الأمريكية**»!.

من وقتٍ لآخر عرضت القنوات بثًا مباشرًا لمراسليهم من وسط الاعتصام أمام السفارة الأمريكية بالقاهرة، كانت رسالة خفية للمعتصمين على دعم الدولة لهم، ورسالة للجالسين في بيوتهم أن هذا الاعتصام غير مغضوبٍ عليه وبإمكانهم وابنائهم المشاركة به متى أرادوا، لو كانت الدولة ترفض هذا الاعتصام لوجدت القنوات جميعها كعادتها قد انشغلت بالحديث حول الممثلة الشهيرة التي قررت أن تُطلِع المتابعين على تهدل نهديها أو عن هذا الممثل الفخور بمثليته، ولظهر وائل البدراوي في برنامجه ليتحدث عن خطورة أبي قردان على معدلات إنتاج محصول القمح في العام الماضي!

السفارة الأمريكية بالقاهرة لم تكتف بالصمت كما توقع أمجد سليمان، ففي تجاهلها للاعتصام كسر للغطرسة الأمريكية، أصدرت السفارة من جانبها بيانًا تُحمِّل فيه الحكومة المصرية مسئولية أي اعتداءٍ قد يحدث على السفارة، بيانًا كانت تفوح منه رائحة الغرور والعجرفة الأمريكية المعتادة رغم أن جميع من بالسفارة كانوا يرتجفون ذعرًا خشية أن يلقوا نفس المصير الأسود الذي لاقاه السفير الأمريكي كريستوفر ستيفينز في طرابلس، كل ما كان سيتطلبه الأمر هو مبادرة من فردٍ واحد فقط تأخذه الحماسة للانقضاض على أسوار السفارة ليتبعه الباقون، فرد قد تكتفِي لاحقًا الحكومة المصرية بوصفهِ بـ(**المختل عقليا**)!، حينها لن يفلح جنود البحرية الأمريكية وأسلحتهم المتواجدين دائمًا بالداخل في إيقاف حشود المهاجمين، يؤمنون أن أيةَ محاولة منهم لصد الهجوم أو الدفاع الشرعي عن أنفسهم ستُضاعِف من بشاعة مشهد النهاية الأخير الذي ستراه أعينهم قبل أن تُسدَل أجفانهم للأبد.

في العاشرة والنصف مساءً ووسط متابعة المشاهدين للبرامج المسائية التي أعلنت حربًا كلامية ضد الولايات المتحدة الأمريكية، أعلنت جميع القنوات انتقالها لبثٍ مباشر لنقل وقائع المؤتمر الصحفي لرئيس الوزراء المصري مباشرةً من رئاسة مجلس الوزراء في مؤتمرٍ صحفي حضره مراسلي الصحف المصرية والأجنبية ومراسلي القنوات الفضائية المصرية.

المشاهدون أغلبهم لم يكونوا يعرفون من هو رئيس الوزراء المصري من الأساس، ومن عرف اسمه من بعض الأخبار بالمواقع الإلكترونية أو نشرات الأخبار لم يتذكر شكله رغم السنوات العديدة التي قضاها في منصبه، يتصدر المشهد دائمًا رئيس الجمهورية في أيةِ قراراتٍ اقتصادية من التي تصب في مصلحة المواطن، وأحيانًا يُوضع الوزراء في الصدارة حتى أنَّ البعض اندهش من وجود رئيس للوزراء من الأساس!

وقف رئيس الوزراء المصري أمام الكاميرات وخلفه وقف وزيرا الداخلية والخارجية والجدية قد رُسمت على وجوه ثلاثتهم، تحدث الأول في حزم رافضًا تجميد الكونجرس الأمريكي للمساعدات الاقتصاديةً والعسكرية وتكرار التلويح بذلك من وقتٍ لآخر رغم العلاقات الدبلوماسية الوطيدة التي تربط البلدين والمصالح المشتركة إقليميًا وعالميًا بينهما، مؤكدًا أن مصر تحترم جميع المعاهدات التي تربطها بدول العالم ودول الجوار على وجه التحديد، وإن كان تجميد المساعدات هو قرار من الكونجرس الأمريكي فالبرلمان المصري قد أبلغه منذ قليل رسميًا رغبتهم في إعادة النظر في بنود بعض المعاهدات السياسية التي رأى بعض نواب الشعب أن بنودها لا تخدم مصالح الدولة المصرية بشكلٍ كافٍ.

انتهى من تهديده الذي كان تصعيدًا غير متوقع على الإطلاق في كل المواقف السابقة المماثلة، لا تحتمل أيَّ أم مهما بلغ

تحجر قلبها أن يوجِّه أحدٌ ولو تهديدًا مستترًا لفلذة كبدها، وكذلك الولايات المتحدة لن تقبل بأي تهديدٍ للكيان الصهيوني ابنها المدلل، ألقى تهديده ثم انتقل للحديث عن التفجيرين الأخيرين في الليلةِ السابقة، أشار إلى «**أهل الشر**» الذين يحاولون أن يدمروا مصر ويتفننون في حياكة المكائد ضدها لينسفوا عزيمة هذا الشعب، وأكد أن رجال الداخلية يعملون قدر جهدهم للوصول إلى مُنفِّذِي التفجيرين ومن ورائهم ولن يغمض لهم جفن حتى يصلوا إليهم، أنهى بيانه الحماسي وأعطى الفرصة للحضور لإلقاء الأسئلة.

- السفارة الأمريكية في القاهرة ألمحت إلى مسئولية الحكومة المصرية عن بعض الاعتداءات التي قد تحدث للرعايا الأمريكيين في القاهرة وخاصة بعد مقتل المواطن الأمريكي أيوب أبو الوفا، ما تعليق سيادتكم؟

جاء السؤال المتفق عليه مسبقًا من مراسل إحدى الصحف القومية ليؤكد رئيس الوزراء المصري على أن المواطن أيوب أبو الوفا هو مصري الجنسية في الأساس حتى في حال ازدواج جنسيته، والتحقيقات كادت أن تنتهي لتكشف للجميع من هم قتلة المواطن المصري أيوب أبو الوفا والذي تتجه أصابع الاتهام حول مقتله نحو بعض الجهات الاستخباراتية.

ـ وهل ستوافق الحكومة المصرية على إشراك جهات أمريكية في إجراءات التحقيق والمحاكمة مثلما طالبوا رسميًا؟

ـ أنت تتحدث عن مصر يا بني، دولة كبيرة ذات سيادة، ليست مصر دولة هامشية مستضعفة تسمح بالتدخل في شئونها الداخلية.

كان رئيس الوزراء المصري حازمًا في رده على مراسل أحد الصحف الخاصة المشهورة بولائها التام للأنظمة الحاكمة المتعاقبة، يعلم كل من بالقاعة أن أسئلته قد تلقاها منهم قبل المؤتمر!

أطلق رئيس الوزراء تعنيفه السابق كيفما اُتفِقَ كي يكون عنوانًا رئيسيًا للجرائد الصباحية التي لا يقرأها أحد والنشرات الإخبارية التي لا يتابعها أحد ولن يقتات على هذه التصريحات سوى البرامج المسائية، واستكمالًا للرد المتفق عليه عاد ليؤكد على أن الجهاتِ الأمنية في مصر قد بلغت منذ عقودٍ مضت قدرًا من الكفاءة يُمكِّنها من الوصول لقاتلي المواطن المصري شريف النجار بالولايات المتحدة خلال أقل من ٤٨ ساعة إن سمحت لهم الولايات المتحدة بتقديم العون والمساعدة في حال لم يكن لديهم ما يخفوه بدلًا من انشغالهم بالشأن الداخلي المصري.

ـ الإعلام يتحدث عن وقوف الولايات المتحدة خلف التفجيرات الإرهابية الأخيرة، ويستشهدون بوقائع دعم

الولايات المتحدة لبعض التنظيمات الإرهابية المسلحة سابقًا، ما تعليقكم دولة رئيس الوزراء؟

كان هذا مراسل إحدى القنوات الإخبارية العربية الداعمة لمصر، ابتسم رئيس الوزراء في تخابثٍ قائلًا:

ـ الدولة المصرية ترفض حاليًا الربط بين تفجيرات الليلة الماضية وما يذكره الإعلام من حقائق عن دعم الولايات المتحدة لبعض الكيانات الإرهابية المسلحة عبر التاريخ، ولكن في ذات الوقت؛ الإعلام المصري يتمتع بحرية تعبيرٍ غير مسبوقة ولا يمكن للدولة التدخل في المحتوى المذاع على القنوات الفضائية المصرية والعربية، والمتضرر مما يتم بثه ـ إن كان فيه أي كذبٍ أو ادعاءٍ بالباطل ـ عليه – فورا ـ اللجوء للقضاء المصري الشامخ العادل الذي لن يتأخر عن نصرته إن كان مظلومًا.

ـ دولة رئيس الوزراء لدي سؤالين إن سمحت لي.

كان هذا لمراسل الوكالة الإخبارية الأشهر في المملكة المتحدة كما عرَّف نفسه فأذن له رئيس الوزراء بالحديث إذ لم يكن من اللياقة الرفض دون إبداء أسباب، المراسل الوحيد الذي لم يكن رئيس الوزراء على علمٍ بأسئلته لذا توجس قليلًا مما قد يقوله.

- السؤال الأول: ما تعليقكم على بيان السفارة الأمريكية بالقاهرة الذي حمَّل الدولة المصرية مسئولية أمن وسلامة السفارة الأمريكية بمن فيها وما فيها؟

التفت رئيس الوزراء لوزير الخارجية مشيرًا إليه ليتقدم هو للإجابة؛ ففعل الأخير قائلًا:

- تلقيت اتصالًا هاتفيًا من وزير خارجية الولايات المتحدة أعرب فيه عن استيائه من حصار المعتصمين للسفارة الأمريكية بالقاهرة، أكدت له أن ما يحدث عند السفارة لا يتعدى كونه اعتصامًا سلميًا وليس حصارًا على الإطلاق، ولجميع أعضاء البعثة الدبلوماسية الأمريكية كامل الحرية في الدخول والخروج من السفارة متى أرادوا دون أن يتعرض إليهم أحد، وأن الحكومة المصرية ملتزمة تمام الالتزام بأمن وسلامة جميع البعثات الدبلوماسية الموجودة داخل أراضيها، أكدت له أن مصر دولة مستقرة آمنة ذات سيادة ولا يمكن أبدًا أن تسمح مصر بتكرار ما حدث للسفير الأمريكي في طرابلس وقت الفوضى التي شهدتها الشقيقة ليبيا.
- ولكن لِمَ لَمْ تقم السلطات المصرية كخطوةٍ استباقية بفض الاعتصام بالقوة باعتباره مظاهرة لم تحصل على ترخيص من الجهات الأمنية بدلًا من انتظار حدوث كارثة لن يُحمَد عقباها؟

أعطى وزير الخارجية الكلمة لوزير الداخلية للرد على السؤال، تقدم الأخير متجهمًا كعادته وتحدث قائلًا:

ـ بدايةً، المظاهرة بالفعل لم تحصل على أي ترخيص من الجهات الأمنية، ولكن – بعين الحكمة ـ وزارة الداخلية آثرت التريث في التعامل مع المتظاهرين من أبنائنا طلاب الجامعات المصرية، نحاول قدر الإمكان تجنب الصدام مع هؤلاء الشباب المتحمس من أبنائنا على الرغم من طلب وزير الخارجية الأمريكي فض الاعتصام ولو بالقوة.

ـ ولكن وزارة الداخلية المصرية ليس هذا من نهجها.

ـ تعلمنا الكثير من التجارب الماضية ونحاول قدر الإمكان الالتزام بالمواثيق الدولية لحقوق الإنسان التي وقعت عليها مصر، والاعتصام لا زال سلميًا ولا يخرج عن كونهِ تعبيرًا من المتظاهرين عن رأيهم في مناخٍ صحي تعيشه مصر من الحرية والديموقراطية بعد ثورتين من أعظم ثورات التاريخ.

ـ ولكن تم الاعتداء بالفعل على سور السفارة وكتابة عبارات مسيئة عليه.

ـ وهل يُعقل أن نُريق الدماء من أجل كتل من الحجارة؟!.. هل نُضحي بأرواح شبابٍ في مقتبل العمر مفعمًا بالآمال والأحلام والطموحات لمواجهة حماسٍ لم يُحدِث ضررًا

يُذكَر؟!، هل تُضحِي الدولة المصرية بأمل هذا الوطن في مستقبلٍ أفضل تبنيه سواعد أبنائها وبناتها من الشباب والفتياتٍ من أجل بضعةِ قوالب من الحجارة؟!، هل يُعقَل أن تُعلن الدولة رعايتها للشباب وأحلامه وطموحاته وفي ذات الوقت لا يتسع صدرها لاحتواء تعبيرهم عن غضبهم وبخاصة أنه لم يتخط الطرق السلمية؟!، الحكومة المصرية ستتولى إعادة دهان السور إن كان هذا ما سيُرضي الولايات المتحدة.

كل من حضر المؤتمر كان يكتم ضحكاته من تصريحات وزير الداخلية!، بالطبع لم يكن ما قاله هو نهج وزارة الداخلية المصرية في الماضي أو الحاضر أو المستقبل مع أيةِ تظاهرة أو اعتصامٍ آخر، كان الرجل في ردهِ على السؤال يكتفي بترديد ما كانتً تُطالب به الولايات المتحدة والدول الأُخرى المعنية بالتضييق على الحريات خارج دولهم، كان أداؤه متقِنًا للغاية رغم نبرة السخرية التي طغت على تجهمِهِ المصطنع، ود الحضور لو ألهبوا أكفهم بالتصفيق على هذا التمثيل المتقن من قبل الوزير.

- السؤال الثاني لسيادة رئيس الوزراء: هل موقف مصر ينبع من تأييدها للخرافات التي بثتها بعض وسائل الإعلام بشأن تسطح الأرض؟

ابتسامة رئيس الوزراء للرد المفحم من وزير الداخلية ما لبثت أن تحولت لغضبٍ عارم لم يكن يتطلبه الأمر وتقدم قائلًا:

- خرافات لفظ لا يليق إطلاقًا بحديثٍ رسميّ مع رئيس وزراء مصر، أعلن تحفظي عليه ولذا أمتنع عن الإجابة، انتهى المؤتمر يا سادة.

جزء من الحلقة

- أعزائي المشاهدين والمشاهدات عدنا مرة أخرى لحوارنا الشيق مع الأستاذ الدكتور أيوب أبو الوفا أستاذ الفيزياء السابق بجامعة بيركيلي بالولايات المتحدة، د. أيوب، سؤال تكرر من المتابعين للبث المباشر لبرنامجنا عبر (**فيس بوك**) و(**يوتيوب**)، إن افترضنا أن الأرض مسطحة بالفعل كما تقول، والقمر والشمس يدوران في مداراتٍ دائرية تحت قبة سماوية مثلما تفضلت بالشرح سابقًا، فأين بالضبط تدور الأقمار الصناعية التي يُبث عن طريقها هذا البرنامج؟
- الأقمار الصناعية هي أكذوبة من الأكاذيب المثيرة للضحك أستاذ عمر.
- أختلف معك د. أيوب، نحن ننقل بالفعل برنامجنا للمشاهدين عن طريق البث المباشر عبر القمر الصناعي نايل سات وعبر القمر الصناعي عرب سات.
- هل يمكنك أن تذيع الآن مقابلة عندك على القناة مع صديقي في الولايات المتحدة؟

- بالطبع، وبالصوت والصورة.
- اشرح لي الكيفية.
- يتم إرسال إشارة البث عبر محطة إرسال في أمريكا للقمر الصناعي الذي يقوم بتوجيهها لأجهزة الاستقبال لدينا.
- أتعني أن صديقي في الولايات المتحدة في الجهةِ المقابلة من الكرة الأرضية المزعومة سيبعث إشارةً لقمرٍ صناعيّ فوقه سيوصلها للقمر الصناعي الذي يدور فوق مصر؟!!.. أم سيرسلها مباشرةً للقمر الصناعي الذي يدور فوق مصر لتتلوى الموجات وتسبح في الفضاء لكي تصل لهذا القمر الصناعي المصري، نحن نتحدث عن موجاتٍ وليس حيوانًا منويًا خارقًا!

قالها أيوب أبو الوفا ضاحكًا في تهكم، ولكن وائل البدراوي بوجهٍ متجهم اعتراضًا على تشبيههِ الأخير حدثه قائلًا:

- نتمنى أن تستفيض في التوضيح، د. أيوب.
- القمر الصناعي المفترض أن الدولة ترسله للفضاء لكي يخدم أهدافها، ولذا سيحدث أمرين لا ثالث لهما، إما أنه يدور حول الأرض بسرعةٍ أكبر أو أقل من سرعة دوران الأرض حول محورها وساعتها لن تستفيد الدولة منه غير دقائقٍ سيتصادف مروره فوقها حينئذ، وإما سيدور بنفس سرعةٍ دوران الأرض حول محورها فيظل فوق الدولة دائمًا على ارتفاعٍ شاهق، ساعتها لن يبقى قادرا على

إرسال أو استقبال أي شيءٍ من نصف الكرة الأرضية الآخر؛ لأن الموجات لن تخترق طبقات الأرض ولن تسبح كذلك في الفضاء وتتقوس في مسار نصف دائرة لكي تصل للقمر الصناعي المصري، كيف يكون القمر الصناعي المصري مثلًا قادرًا على إرسال إشارات من الفضاء إلى طبق الاستقبال فوق منزلك بشرط أن يكون هذا الطبق مثبتًا دائمًا وأبدًا في اتجاهٍ معين ثابت لا يتغير وليس موجهًا للسماء وحسب ليستقبل الإشارة من كل الجهات، أو يكون مثبتًا على محورٍ متحرك يجعله يسعى نحو إشارة البث مثلما تسعى زهرة عباد الشمس نحو الضوء!

ـ إذًا كيف نقوم بإرسال البث للمشاهدين وكيف يستقبلونه.

ـ مثلما ترسل وتستقبل المكالمات الصوتية ومحادثات (**الفيديو**) عبر شبكات المحمول، هل تتوقع أن العالم غير قادرٍ مثلًا على إرسال واستقبال الإنترنت عبر الأقمار الصناعية بدلًا من أسلاك الإنترنت الممدة في المحيطات واصلة بين القارات!

ـ أنت تقول صراحةً أن لا وجود للأقمار الصناعية!

سأله عمر الديب في اندهاشٍ رافعًا حاجبيه؛ فابتسم أيوب أبو الوفا قائلًا في ثقةٍ:

ـ بالتأكيد.

ـ وما الذي نتابع انطلاقه في الفضاء من وقتٍ لآخر؟

ـ يمكنك مراجعة أي (**فيديو**) لانطلاق الصواريخ الحاملة للأقمار الصناعية نحو الفضاء، ستلاحظ أنها تسلك مسار رأسي مستقيم ثم تسير في مسارٍ نصف دائري حتى تختفي لينتهي بها الأمر ساقطة في أعماق المحيطات بعيدًا عن الأعين والأنظار، هل تصدق أن الأرض يدور حولها ٢٢ ألف قمر صناعي ولا يمكننا ملاحظة أيًا منهم في صور ناسا المزعومة من محطة الفضاء الدولية الوهمية!، تبًا لناسا!، زحل يدور حوله كما يزعمون ٦٢ قمر فقط وبعض الحجارة والجليد وبخار الماء ويظهرون في جميع الصور رغم أن حجم زحل ٧٦٣٫٥٩ ضعف حجم الأَرَض!

ـ نشكرك د. أيوب، أعزائي المشاهدين نبدأ الآن استقبال المداخلات الهاتفية، معنا على الهاتف أول اتصالٍ من الأستاذ الدكتور مختار وفيق أستاذ الفيزياء النووية المتفرغ بكلية العلوم – جامعة عين شمس، أهلا بك د. مختار.

ـ أهلًا بك أستاذ وائل، وأهلًا بأستاذ عمر.

تحدث الرجل بصوتٍ رصين ثابت النبرة.

- د. مختار، باختصار، ما تعليقك على كلام د. أيوب أبو الوفا منذ بداية الحلقة؟
- والله أنا أسمع هذا الكلام وأضرب كفًا بكف حسرةً وحزنًا على ما آل إليه حال د. أيوب، علماؤنا المصريون في الخارج دائمًا كانوا مصدر تشريفٍ وفخرٍ لبلادهم في كل مكانٍ على سطح الكرة الأرضية، ولكن مع حالة د. أيوب المتردية الأمر يختلف، الظاهر أن تقدمه في العمر أثر بالسلب على عقله، وأنا مستاء أن عائلته تتركه ليقول مثـ...
- د. مختار، من فضلك بدون التعليق على الشخص، أرجو الرد على ما قيل خلال الحلقة.

قاطعه عمر الديب في حزم اعتراضًا على لهجتِه المتهكمة بغرض التجريح في شخص ضيفه، لكن الغريب أن أيوب أبو الوفا حين سُلِطَت الكاميرات على وجههِ بدا أنه لا يشعر على الإطلاق بأي ضيق؛ بل اتسعت ابتسامته وقد بدا مستمتعًا بهجوم المتصل!

- أنا لا أجرح فيه صدقني، أنا أرجو أي فرد من عائلته أن يمنعه من الاستمرار في الحديث عن تلك الخزعبلات لأن في ذلك إساءة لجامعةٍ عريقة درس وتخرج بها ونال شرف التعيين كعضو هيئة تدريس بها.

ـ د. مختار، من فضلك إن كنت مخولًا من الكلية بالحديث باسمها فتفضل وأكمل حديثك، وإن لم تكن كذلك فعليك أن تتحدث من منطلقٍ علميٍّ بحت.

ـ الكلام الذي قاله يا أستاذ وائل لا يحتاج سوى لطالبٍ في المرحلة الإعدادية للرد عليه ولا يحتاج لعالمٍ في الفيزياء النووية لنقده.

ـ مختار.. هل تسمعني؟

تحدث أيوب أبو الوفا دون أن تُفارق ابتسامة السخرية وجهه!

ـ نعم، أسمعك يا د. أيوب.

ـ في البداية، يا ليتك توصل سلامي لأميمة، ثانيًا..

ـ أنت بني آدم قليل الأدب وحيوان..

«**توت توت توت توت**»

كان هذا الصوت نتيجةً لقطع المخرج للاتصالِ قبل أن يسترسل مختار وفيق في سبابهِ لأيوب أبو الوفا، كانت الدهشة تعلو وجهيّ المذيعين غير مدركين لما حدث، فتبرع أيوب أبو الوفا بالتوضيح قائلًا:

ـ معذورٌ هو يا أساتذة، أنا أسامحه.

ـ بنعتذر للسادة المشاهدين ولضيفنا عن الإساءة من المتصل.

ـ لا عليك، دكتور مختار وفيق زوج خطيبتي السابقة د. أميمة، أنا أتعجب فقط من سبب غضبهِ لرغبتي في الاطمئنان عليها من منطلق الصداقة التي جمعتنا في مصر قبل هجرتي، «**العادات الشرقية بسلبياتها**» أنتما أعلما بها.

ـ نكرر الاعتذار د. أيوب، فاصل ونعود لاستكمال الحديث.



رغم زخم الأحداث المتتالية في مصر خلال الأيام الماضية إلَّا أن الحديث عن تسطح الأرض وكونه سبب الخلاف لم يجد طريقه إلى وسائل الإعلام الأجنبية بقصدٍ أو دون قصد، بل صدَّرت وسائل الإعلام الأجنبية لمتابيعهم أن سبب الأزمة الراهنة بين حكومة الولايات المتحدة والحكومة المصرية؛ يتبلور فقط حول الإجراءات القمعية التي تمارسها الدولة المصرية ـ حسب زعمهم ـ ضد منظمات المجتمع المدني المدافعة عن حقوق الإنسان؛ في محاولةٍ من الدولة المصرية لعركلة المحاولات المضنية التي تبذلها المنظمات الحقوقية لفضح انتهاكات حقوق الإنسان والتضييق على الحريات والتنكيل بالمعارضين، هذه الأفعال التي تُمثل وصمة عار – حسب زعمهم – في جبين النظام الحاكم في مصر، زاعمين أن النظام الحاكم وإعلامه الموجه يمارسون دورهم

في خداع المواطنين المغيبين لحشدهم كأداةِ ضغطٍ ضد حكومة الولايات المتحدة بحصار سفارتها في القاهرة.

كان ذلك قبل أن تأتي مفاجأة على طبق من ذهب من داخل الولايات المتحدة ذاتها، مفاجأة كان بطلها آسر يونس!

الإعلامي المصري الساخر المشهور الذي عاد إلى الولايات المتحدة واستقر بها بعد ثورة الثلاثين من يونيو اعتراضًا على ما تلاها من أحداثٍ رغم إزكائه لنيران هذه الثورة ومشاركته الفاعلة بها ضد حكم الإخوان المسلمين؛ من وقتٍ لآخر يظهر عبر مواقع التواصل الاجتماعي ليتحدث عن تهديداتٍ يتلقاها من الأجهزة الأمنية في مصر فيتعاطف معه الكثيرون ويشمت فيه أنصار التيار الإسلامي بحجة أن عليه قطف ثمار ما زرعه، مع متابعته لما يحدث في بلده الأم في الأيام الأخيرة قرر أن عليه استغلال الفرصة بالظهور مجددًا على الساحة بعد غيابٍ لفترةٍ طالت.

جمع آسر يونس مادته الإعلامية اللازمة لعودةٍ قوية إلى الساحة الإعلامية بمساعدةٍ من مُعِدٍ سابق بفريق إعداد برنامجه الذي كان يُذاع عبر القنوات الفضائية المصرية والعربية، لم يكلفه الأمر كثيرًا من الدولارات الأمريكية كأجرٍ للمعد الشاب في ظل ارتفاع سعر صرف الدولار بشكلٍ مروعٍ أمام الجنيه المصري الموشك على الغرق بعد الأحداثٍ الأخيرة.

اتصال هاتفي مع صديقه المذيع الأمريكي المشهور جان ستيفين كان كافيًا لإسالة لعاب الأخير بجودة المادة الإعلامية

التي حدَّثه عنها، لم يبذل أي مجهودٍ في إقناع صديقه بالظهور معه في حلقةٍ سيتساقط معها المشاهدون أرضًا ويركلون الأرض بأقدامهم من شدةِ الضحك، حلقة مغرقة في السخرية من إدعاءات حكومة دولة من دول العالم الثالث بأن الأرض مسطحة!

مجرد الإعلان عن الحلقة عبر وسائل التواصل الاجتماعي أحدث ضجة متوقعة بين المصريين والعرب، ما بين معارضي النظام مؤيدي آسر يونس، ومؤيدي النظام معارضي آسر يونس، ومعارضي النظام معارضي آسر يونس.

أمجد سليمان انتابته موجة من الغضب حين وصلته التقارير عن الحلقة المنتظرة، تخلى عن برود أعصابه المعتاد وجعل يسب ذلك الإعلامي وأهله وعشيرته متعجبًا من وقوفه ضد بلده في وقتٍ وجب فيه نصر إخوانه سواء كانوا ظالمين أو مظلومين، أصدر تعليماتٍ صارمة بتجاهله تمامًا عبر جميع وسائل الإعلام والصحف موقنًا أن الهجوم عليه عبر أشخاص محسوبين على النظام الحاكم سيُكسبه المزيد من المؤيدين والأنصار مثلما يحدث في كل مرة.

أُذيعت الحلقة بالفعل ونُشِرَت مترجمة للعربية على مواقع التواصل الاجتماعي في محاولةٍ من المذيع للثأر من النظام الحاكم عبر سلاحه الوحيد الذي طالما برع في استخدامه وطالما كان فتاكًا..

سلاح السخرية!

أرادها آسر يونس أن تنتشر ويتحدث عنها الجميع وهذا ما تحقق إذ لاقت الحلقة رواجًا كبيرًا داخل المجتمع الأمريكي، لم يُحسِن أمجد سليمان التوقع هذه المرة لتخذله توقعاته، إذ جاءت الرياح بما تشتهي سفن الدولة المصرية بعد تلك الحلقة!

حلقة كان ملخصها الإغراق في السخرية من موقف الدولة المصرية من القول بتسطح الأرض، يتخللها عرض لمشاهد حواريّ سندس الليثي فأيوب أبو الوفا على القنوات الفضائية المصرية ثم تطرق لدعم الدولة لتلك الأقاويل من خلال موقف وزارة الخارجية من مقتل شريف النجار وكذلك واقعة مقتل أيوب أبو الوفا الذي زعم أن الحكومة المصرية هي من قتلته لتعزيز موقفها، وصولًا للتفجيرات الإرهابية التي زعم تدبيرها من قبل النظام المصري كعادةٍ لديهم لإلهاء الشعب عن أيةِ كارثة أخرى، وعرض المؤتمر الصحفي لرئيس الوزراء المصري برفقة وزيري الداخلية والخارجية ساخرًا من مزاعمهم بحماية حقوق الإنسان.

حلقة نجحت في انتزاع ضحكات المشاهدين من العرب والأجانب لجودة المادة المستخدمة وتوظيفها مصحوبة بتعليقات آسر يونس وجان ستيفين البارعين في السخرية والتهكم.

المشاهد الأمريكي انتبه للمرةِ الأولى لتلك الأحداث الدائرة بمصر والتي تختلف مع الروايات الرسمية التي تتناقلها وكالات الأنباء الأجنبية، لكن أثر الحلقة الأبلغ كان في الصدمة المروعة

التي تلقتها منظمة الأرض المسطحة Flat Earth Society المتبنية لتلك النظرية منذ ١٨٣٨!

جاءت الحلقة لتُفسر لهم اختفاء أيوب أبو الوفا المفاجيء وانقطاع اتصالاته بهم منذ سفرهِ إلى مصر، حذروه مرارًا من خطورة الظهور عبر وسائل الإعلام وخطورة التحدث عن واقعة مقتل شريف النجار الذي لم يمهله القدر وقتًا لتسليمهم ما توصل إليه من داخل ناسا في ذات اليوم الذي قُتِلَ فيه، ولكنهم لم يتوقعوا رفضهِ لنصائحهم ظنًا منه أنه بمأمنٍ من أي خطرٍ في وطنه الأم.

عبر جميع مجموعاتهم وصفحاتهم على مواقع التواصل الاجتماعي بثُّوا مشاركاتهم التي تباينت من صورٍ لمقاطع (**فيديو**) يشرحون خلالها لمتابعيهم عبر جميع أنحاء العالم كل ما حدث، كانت المتابعات تتضاعف باستمرارٍ بشكلٍ أذهلهم، لم يتوقعوا أن تنتشر حلقة أيوب أبو الوفا التي قاموا بترجمة محتواها بأكثر من لغة، توحدت صورهم الشخصية على صفحاتهم ليتشاركوا صورة من سور السفارة الأمريكية في القاهرة، صورة أصبحت أيقونة غضبهم تصور المعتصمين أمام أسوار السفارة التي زينت برسومات تهاجم الولايات المتحدة وتؤيد الأرض المسطحة وإلى جوارها أيوب أبو الوفا بشعر رأسه ولحيته الأشيبين ونظارته الشمسية التي أضفت عليه وسامة فوق وسامته.

في خلال أربع وعشرين ساعة كان وسم #Flat_Earth هو الأكثر بحثًا على (**يوتيوب**) و(**فيس بوك**) و(**جوجل**)، ثم فجأة اختفى الوسم من نتائج الأكثر بحثًا في تطورٍ صدم الجميع!

جزء من الحلقة

هادىء البال ينفث دخان غليونه والابتسامة لا تفارق شفتيه ولمعة غريبة تظهر في عينيه، في خبثٍ داعبه عمر الديب سائلًا:

ـ دكتورنا، أراك غير متضايق من هجوم المتصل الأخير؟!

ضحك أيوب أبو الوفا فاختلط سعاله بضحكاته وهو يتذكر سنينًا مضت.

ـ أضحكتنا معك يا دكتور.

ـ أبدًا يا أستاذ عمر، أميمة فسخت خطبتها مني منذ سنينٍ مضت رغم أنها كثيرًا ما كانت تُمزِّق نياط قلبي حين تُعبر لي عن مشاعر حبها، فسخت خطبتها لأنها رأت في فقري عيبًا وفي قرويتي عبءً عليها، ولكن الواضح أنها اكتشفت خطأها لاحقا بعدما ارتمت بين أحضانه من بعدي طمعًا في أموال أهله، ويبدو أنها كثيرًا ما صارحته بندمها هذا لأن من الواضح أني قد تسببت له في عقدةٍ نفسية رغم غيابي عن البلد بأكملها لكل هذه السنين.

- إرم كلامه وراء ظهرك، بعد الفاصل نستقبل اتصالًا من الدكتور عز الدين الجبالي أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر.

قالها وائل البدراوي بجديةٍ قاطعًا تدفق الذكريات بين عمر الديب وأيوب أبو الوفا، فعقَّبَ الأخير قائلًا في ضيقٍ ململمًا مستلزمات غليونه ليخفيها وراءه:

- نحن نتناقش في موضوع علميٍّ بحت، وأنتم تصرون أن تحشروا الدين في الموضوع، على العموم مرحب برأيه أيًا كان.

انتهى العد التنازلي معلنًا انتهاء الفاصل وعودة البث المباشر للبرنامج.

- أعزائي المشاهدين والمشاهدات أمام الشاشات، عدنا مرة ثانية لاستكمال حديثنا الطويل حول الأرض المسطحة، حلقة ساخنة نتشرف خلالها باستقبال اتصال هاتفي من الأستاذ الدكتور عز الدين الجبالي أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر الشريف، دكتور عز الدين مساء الخير.

- مساء النور أستاذ وائل، والتحية موصولة لأستاذ عمر ولضيفك كريم الطلة.

- د. عز الدين، اسمح لنا أن نعرف منك رأي الدين في موضوع حلقتنا اليوم.

تنهد عز الدين الجبالي بصوتٍ مسموع، ثم تحدث في هدوءٍ وقد ارتدى صوته ثوب الورع:

- بسم الله الرحمن الرحيم، أولًا أستاذ عمر نحن نتحدث عن أمرٍ من أمور الدنيا ومثلما أخبرنا رسولنا الكريم في الحديث الذي رواه أنس بن مالك في صحيح مسلم «**أنتم أعلم بأمر دنياكم**»، فمسألة تسطح الأرض أو تكورها أمر من أمور الدنيا التي لا جدال عليها.
- ألم يرد فيها نصًا أو اتفق العلماء على رؤيةٍ معينة من منطلق الإعجاز العلمي لقرآننا الكريم؟
- أنا سأصارحك بأمرٍ وأجري على الله يا أخ وائل، تسألني وهل أنت يا عز الدين تؤمن بما يُسمى الإعجاز العلمي في القرآن فأجيبك أن «**لا**»، بل أنني ضد ليّ عنق الآيات القرآنية المباركة لتفسير نظريةٍ علميةٍ ما، فلا يجوز الاستشهاد بنظريات علمية متغيرة لإثبات معجزة القرآن.
- هذا تصريح خطير من فضيلتك!
- النظريات العلمية أستاذ عمر تتغير مع تغير الزمن، فيصح بعضها الآن ويثبت خطأ أخرى، وقد ينعكس الأمر في المستقبل، والقرآن ثابت لا يتغير، وهو الحق من ربنا المحفوظ بوعدٍ منه في كتابه الحكيم.
- كلام سليم.

- ولكن...
- يهمنا أن نعرف ما بعد «**لكن**».
- ولكن كلام الله ثابت لا يتغير مثلما قلت، نحن فقط بعقولنا القاصرة قد نخطىء في تفسير الآيات، والقرآن الكريم كما تعلمون حمَّال أوجه، بل إننا بعد أكثر من ١٤٠٠ عام لا زلنا قاصرين عن القطع بتفسير الأحرف في بدايات بعض السور، كـ(**ألم**) و(**كهيعص**) مثلًا.
- ولكن بعض رجال الدين يؤكدون أن الأرض كروية مستدلين بآياتٍ من كتاب الله عز وجل.
- هذه من محاولات البعض للّيّ عنق الآيات ليقابل أهوائهم.
- وضحلنا فضيلتك، المشاهدون سيظنون أن فضيلتك تؤيد تسطح الأرض لا كرويتها!
- يا إخوتي كتاب الله ليس سرًا لا يطلع عليه أحد!، ليفتح المشاهد هذا المصحف المهجور بركنهِ في «**النيش**» ولنتلوا سويًا الآيات التي تحدثت عن شكل الأرض، يقول المولى عز وجل في سورة الغاشية «**وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**»..

وفي سورة ق: «**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**»..

وفي سورة الحجر: «**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**»..

وفي سورة الذاريات: «**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**»..

وفي سورة النازعات: «**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا**»، ودحاها أي بسطها.

ـ ولكن دحاها فضيلتك أتت من «**الدحية**» أي البيضة؟

ـ وما دخل هذا البيض في موضوعنا!

ضحك المذيعان من دعابة عز الدين الجبالي ثم استطرد قائلًا:

ـ أليس لدينا تفسيرات شيوخنا وعلمائنا للقرآن الكريم؟!.. قال ابن كثير عن دحاها: تفسيره ما بعده أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها، وهذا قول ابن جرير عن ابن عباس، وقال القرطبي: «**دحاها**» أي: بسطها، والعرب تقول: دحا الشيء إذا بسطه، وقال أبو حيان: «**دحاها**» بسطها ومهدها للسكنى والاستقرار عليها، ثم فسر ذلك التمهيد بما لا بد منه من إخراج الماء والمرعى، وإرسائها بالجبال.. ومما ذُكر يتأتى السُكنى والمعيشة حتى الملح والمأكل والمشرب، وهذا هو كلام الزمخشري بعينه.. وقال الفخر الرازي: «**دحاها**»: بسطها، فترى أن جميع المفسرين تقريبًا اتفقوا على أن دحاها بمعنى بسطها،

وقول ابن جرير وابن كثير: إن «**دحاها**» فسر بما بعده لا يتعارض مع البسط والتمهيد، كما قال أبو حيان: إنه ذكر لوازم التسكن إلى المعيشة عليها من إخراج مائها ومرعاها؛ لأن بهما قوام الحياة.. ومما يستأنس به أن الدحو معروف بمعنى البسط ، قول ابن الرومي:

ـ «ما أنس لا أنس خبازا مررت به..

ـ يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر»

ـ نستنتج من هذا أن الآيات التي تناولت شكل الأرض تحدثت فقط عن بسطها وثباتها، ولما استقر في أذهان العامة والخاصة أن الأرض ذات شكلٍ كروي، سارع أهل العلم من رجال الدين بتوضيح أنَّ كروية الأرض لا تتعارض مع الآيات؛ قائلين بأن طبيعة سطح الأرض الكروي ستجعل الناظر لا يُبصر نهاية لها وسيراها ممتدة أمامه.

ـ فضيلتك، اسمح...

ـ دعني أكمل يا أستاذ عمر ولا تستعجلني يا أخي..

ـ أكمل فضيلتك.

ـ في سورة الرعد قال الله تعالى: «**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ**». وفي سورة النحل: «**وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**». وفي سورة الأنبياء:

«**وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ**». وفي سورة لقمان: «**وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**».

ـ هنا الأرض ربنا جعل فيها رواسي لتثبيتها، والرواسي كيفما اتفق هي الجبال، أي أن الأرض هنا لا تتحرك ويتطابق ذلك مع ما عرضه ضيفك الكريم.

ـ اسمح لي أن أسأل سؤالًا من فضلك؟

ـ تفضل؟

ـ والقبلة؟

ـ لو صبر القاتل على المقتول كان سيموت بالحصبة يا أستاذ عمر يا (**متعجل**).

ـ لا والله فضيلتك دا أنا ماشي على نظام غذائي قاسي.

ضحك كل من في الاستديو وكذلك الجالسون أمام الشاشات قبل أن يُكمل عز الدين الجبالي:

ـ ربنا يقول في سورة البقرة: «**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» ويقول أيضًا في الآية التي تليها: «**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ**».

ـ الأرض الكروية تتعارض تعارضًا مباشرًا مع هذه الآية إذ يستحيل أن يسجد جميع سكان الأرض في اتجاه القبلة إذ أن البعيد عن المسجد الحرام فوق أي موضعٍ آخر من

الكرة الأرضية وجهه في خط مستقيم يُصبح متوجهًا نحو السماء، بينما في الأرض المسطحة نرى أنها تتفق مع هذه الآية.

- ويجب هنا تذكر حديث عن قتادة بن دعامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن البيت المعمور: «**فإنه مسجد في السماء تحته الكعبة، لو خر لخر عليها**» وهذا معناه أن البيت المعمور الثابت في مكانه في السماء لا بد معه من ثبوت الكعبة على الأرض وهذا يتعارض مع دورانها حول محورها مثلما يقول أهل الفلك المعاصرين، بل في نموذج الأرض المسطحة الذي عرضه د. أيوب نرى بوضوح بالغ تكور الليل على النهار وتعاقبهما بالفعل بما لا يتعارض مع آيات الذكر الحكيم.
- كلام فضيلتك جميل، ولكن..
- إذًا دع فضيلتي يكمل يا أستاذ عمر.

قالها ضاحكًا عز الدين الجبالي فوضع عمر الديب كفه على فمه دلالة على عدم التحدث ثانية ليكمل الأول:

- نأتي لفرضية خلق الكون، ربنا عز وجل ماذا يقول في كتابه الكريم؟.. «فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ»، ما هي كينونة تلك المصابيح يا أستاذ وائل يا بدراوي؟
- النجوم؟

- النجوم والشمس والقمر والكواكب، كل ذلك ربنا خلقه من أجل زينة السماء علشان تتبسط حضرتك لما تنظر إليها سواء كنت وحدك أو برفقة حبيبتك.. المولى عز وجل قال لنا «**وزيناها للناظرين**».

رفع عمر الديب اصبعه في تأدبٍ طالبًا الإذن في الحديث فتعالت ضحكات عز الدين الجبالي معطيًا الإذن له.

- فضيلتك المخرج يقول في أذني أن أحد أهم من تحدثوا عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم قال أن أبرز الأدلة القاطعة على كروية الأرض وأنها تدور حول محورها وغير ثابتة هي قول الله عز وجل «وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ »، بمعنى أننا حتى لو رأينا الأرض والجبال ثابتة إلا أنهما في الحقيقة يتحركان!

- هذا بعينه هو ليّ عنق الآيات ـ كما ذكرت في بداية حديثي ـ لتحميلها ما ليس فيها، لتأتني بالآية من بدايتها..

لم يجبه أيٌ من المذيعين؛ فضحك عز الدين الجبالي قائلًا:

- لا تحفظها يا عمر يا ديب وتحفظ كاسمك أغاني عمرو دياب!، أنا أحفظها، يقول تعالى: «وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾» **ثم** «وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ

ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾» ثم «مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ »..

ـ التفسير فضيلتك.

ـ يعني سأتلو الآيات والتفسير أيضا؟!.. ركز يا أخ عمر ويا أخ وائل ويا ليت الأخ أيوب يُعرنا تركيزه، الآيات تتحدث عن يوم النفخ في الصور وتوابعه يوم القيامة، ولا يمكن إخراج الآية من سياقها على الإطلاق، أي أن الجبال وهي تمر مر السحاب أمر قاصر فقط وحصري في يوم القيامة مثلما ستصبح كالعهن المنفوش كما ذكر في سورة القارعة، وينسفها ربك نسفًا كما ذكر في سورة طه، وذكر في غير موضع للتأكيد «**ويوم نسير الجبال**» في سورة الكهف، و«وتسير الجبال سيرا» في سورة الطور، و«إذا الجبال سيرت» في سورة التكوير، وغيرها من الآيات التي تتحدث عن الجبال يوم القيامة، ثم يأتي شخص ويقول غير ذلك فيصبح قوله تأولًا على النص والعياذ بالله..

ـ إذًا ما دامت الرؤية واضحة بهذا الشكل عند أغلب رجال الدين، فلم لم نر أحدًا منهم يتحدث في الإعلام من قبل عن تسطح الأرض؟

- للأسف البعض قد يستغل حينها ذلك في الهجوم على رجال الدين أنفسهم لمعارضتهم ما استقر في أذهان العامة عن كروية الأرض، هل تعلم أن الشيخ عبد العزيز بن باز اعتبر القول بدوران الأرض حول محورها قولًا باطلًا والاعتقاد بصحته مخرج من الملة؟.. أتدري ماذا قال الشيخ ابن عثيمين؟.. قال أن ظاهر القرآن يدل على أن الذي يدور حول الأرض هي الشمس لا العكس، واستند إلى قول الله عز وجل: «**والشمس تجري لمستقرٍ لها**» و «وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ»، هنا أربعة أفعال عن الحركة كلها أضافها الله إلى الشمس بحركتها نسبة إلى الأرض، أخي وائل، وهل الوقت لا زال يسمح بتفجير قنبلة صغيرة تصدم المشاهدين؟

- يسمح فضيلتك.

- المعتزلة كانوا يؤمنون بتقديم العقل على النقل، واختلف معهم معظم السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، ولكن في شأن شكل الأرض ونشأة الكون فإني أود من علمائنا الأجلاء أن يُقدموا ها هنا العقل على النقل؛ فكل آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم تتعارض جملة وتفصيلًا مع كل نظريات خلق الكون العلمية، الانفجار الكبير هراء، ولكن لا يجرؤ أحد

شيوخنا الأفاضل على التحدث عن ذلك الأمر أمام العامة كي لا يكون عرضة لهجومهم واستهزائهم به، الغرب لا يؤمن أغلبه بقدرة الخالق عز وجل، يريدون أن يظهروا للناس أن الكون خُلق صدفة نتيجة انفجار مزعوم حتى منشأ الحياة على الأرض مرورًا بنظريات التطور، الغرب يروج للانفجار الكبير وخلافه لتفسير نشأة الكون بعيدًا عن عظمة صنع وقدرة وإبداع الخالق، يروجون أن ذلك الكون نشأ من تلقاء نفسه، في حين يُخبرنا المولى عز وجل أنه قد خلق الأرض والسماء في ستة أيام، السماء في يومين والأرض في أربعة، لنأتِ نحن ونستكثر على أنفسنا أننا خلق الله المكرمين المصطفين وندَّعي أن الأرض ما هي إلا ذرة في حجم الكون!

- الآيات القرآنية المباركة تتحدث جميعها عن ثنائية الشمس والقمر منذ خلق الكون وحتى قيام الساعة لتجاورهما، سيجمع الله الشمس والقمر ويقول الإنسان يومئذٍ أين المفر، وستطبق السماء فوق الأرض، هذا هو ما خلقه الله، سماء زينها الله بالكواكب والنجوم تعلو أرضًا جعل الله الإنسان خليفة عليها.
- «يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾»، ركزوا معي وليجبني أعلم أهل الإسلام

كيف يمكن لإنسان أن ينفذ من أرض هربًا من ملكوت الله الذي يظنه الإنسان بعينه إن كانت كروية؟.. هل ستخترق الأرض وتصل إلى الجهة الأخرى؟!.. هل في هذا فعل خارق!.. لتركب الطائرة إذًا وتذهب للطرف الآخر إن أردت أو اركب الفلك التي تجري في الماء أيها العقلاء، الأرض مسطحة لها وجهان، وجه نعيش عليه ووجه لا يعلمه إلا المولى عز وجل، عذرا للإطالة للسادة المشاهدين ولكم، وأختم حديثي بأبيات لأبي محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني إذ قال:

كذب المهندس والمنجم مثله
فهما لعلم الله مدعيان

الأرض عند كليهما كروية
وهما بهذا القول مقترنان

والأرض عند أولى النهى سطيحة
بدليل صدق واضح القرآن

والله صيرها فراشًا للورى
وبني السماء بأحسن البنيان

والله أخبر أنها مسطوحة
وأبان ذلك أيما تبيان

ـ نشكر فضيلتك أ.د. عز الدين الجبالي لمشاركتك المثمرة، نخرج لفاصل إعلاني ونعود لنستكمل الحلقة.



دعوات التظاهر التي أطلقها المؤيدون لتسطح الأرض حول العالم لاقت قبولًا غير متوقع!

مسيرات محدودة الأعداد انطلقت في بعض الدول حول العالم وعلى رأس هذه الدول الولايات المتحدة عبر عدة ولايات وكذلك انجلترا وروسيا والصين، كانت هذه الدول هي التي اختارت الصدام مع المتظاهرين لا التجاهل في قرارٍ أصابهم الندم عليه لاحقا!.

الدول الأخرى التي سُيِّرَت فيها المظاهرات اختارت تجاهلها تمامًا مؤمنين أنهم شباب متحمس وحسب يمتلك القليل من المال الذي لا يعرف أين ينفقه والكثير من وقت الفراغ لا يعرف كيف يشغله، شباب قرر شغل وقت فراغه بالتظاهر وإنفاق القليل من المال على لافتاتٍ تتهم ناسا والولايات المتحدة من ورائها بالخداع وتتهم الماسونية العالمية بالتآمر على الشعوب،

الدول التي قررت تجاهل المسيرات انتظرت أن يفرغ هؤلاء الشباب ما لديهم من أدرينالين زائد عن الحاجة؛ حارقين الكثير من السعرات الحرارية حتى تفرغ بطاريات الميتوكوندريا في خلاياهم ليعودوا إلى منازلهم لينعموا باستحمام ممتع تحت المياه الدافئة ثم يتدثروا بالأغطية في سرائرهم سُعداء بمحاولاتهم لكشف الحقائق ودحر الخداع الممنهج الذي ينتهجه الضالون من حكومات العالم، نالت هذه الحكومات الحكيمة ما أرادت بالفعل ولم يتطور الأمر لديهم لأيامٍ تالية قضوها في مشاهدة ما يحدث في الدول التي يحكمها مجموعةٌ تفتقر إلى القليل من الحكمة، فعلى الجانب الآخر وجدت الدول التي اختارت الصدام مع تلك المسيرات نفسها قد سقطت في فخ لم يكن في حسبانها، وسط أعبائها اليومية وضغوط دافعي الضرائب وأصوات المعارضة الصاخبة تناست قاعدة بسيطة يعرفها الجميع بما فيهم حكومات العالم الثالث..

«**العنف لا يُوِّلدْ إلا العنف**»

متخذي القرار من أهل السلطة لديهم تناسوا أن العنف لم يكن أبدًا وسيلة لمحاربة الأفكار حتى إن ترائى للحكومات أنها أفكار عبثية.

الاعتداء على المتظاهرين في محاولاتِ تفريقهم بزعم عدم تعطيل المصالح العامة أكسب المتظاهرين الكثير من المتعاطفين والمتضامنين؛ لينضم إليهم مؤمن بأفكارهم تكاسل من قبل عن

الاشتراك في التظاهرات منذ بدايتها، ورافض لأفكارهم مؤمن بحقهم في التظاهر السلمي ورافض لأي اعتداء وحشي عليهم.

تطور الأمر لأعمال شغب في نيويورك وشيكاغو وموسكو وبكين ولندن، مناوشات مع قوات الأمن كان من الممكن أن تمر بسلام ويتكفل الزمن بطمس ذكراها والتئام تلك الندبة من أثر رصاصة مطاطية غاضبة، ربما كانت ستساعد الأيام في تخفيف حدة الألم الذي تجأر به هذه الكدمة من أثر هراوة الأمن الباطشة، بعض التصريحات الخادعة حول تقديم المسئولين عن هذه العاهات المزمنة التي أصابت بعض المتظاهرين ربما كانت ستنجح في تهدئة الرأي العام مثلجة صدور تستعر بنيران الثأر والثورة، ربما انتهت المظاهرات حينها بنهاية سعيدة تُرضي جميع الأفراد لولا هذه الدماء التي سالت من أجسادٍ فارقتها أرواحها!

«**الفوضى تضرب العالم**»

هكذا كانت العناوين الأساسية في الصحف والمواقع الإخبارية الإلكترونية والنشرات الإخبارية على القنوات التليفزيونية!

هكذا أجمع الملايين من المؤيدين والمعارضين في تغريداتهم ومشاركاتهم عبر حساباتهم الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي!

هكذا كانت الحقيقة التي أدركها الساسة والخبراء وتحدثوا بها في السر والعلن!

لم يلتفت أحد لمطالب الدبلوماسية المصرية بضرورة وقف العنف واحترام حقوق الإنسان وحريته في التظاهر، ضجيج الفوضى الصاخب طغى على مطالبات الخارجية المصرية، كان العالم منشغلًا بالفوضى التي تضرب أرجاءه بعيدًا عن أسلوب «**كيد النساء**» الذي اختارت الخارجية المصرية أن تتعامل به، التجاهل التام الذي لمسته من العالم أجمع انعكس على تغير سلوكها ومنهجيتها في الأيام التالية وباتت أكثر نضجًا في التعامل مع هذه القضية الحساسة، مستعينة بخبرات الماضي المتراكمة تذكرت من أين قد تؤكل الكتف.



مظاهرات تختلف في حجم ضخامتها تتوالى في ضرب عواصم العالم مطالبين الحكومات المخادعة بالكف عن ترديد الأكاذيب.

لم يكن أحدٌ يتوقع يومًا أن يتضاعف عدد المؤيدين لتسطح الأرض ليصل إلى تلك الأعداد التي تتجاوز الملايين تزدحم بهم الميادين الرئيسية مثلما تتكدس بمشاركاتهم صفحات مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، لم يكن أحدٌ يومًا ما بقادرٍ على توقع قدر أهمية السبب الذي قد يثور بسببه الإنسان؛ فقد تغدو أتفه الأسباب وأقلها تأثيرًا على حياتهم هي وقود أضخم الثورات وأكثرها عنفًا وأشدها أثرًا في مستقبلهم!

الولايات المتحدة كانت كلمة السر!

لو كانت الخصومة في شأن شكل الأرض مع دولة أخرى غير الولايات المتحدة ما تصاعدت الأحداث بهذا الشكل وما وجدت الفوضى طريقها إلى العالم، حتى وإن وجدت طريقها فما تلبث أن تتضائل وتتلاشى إذ لن تجد بيئة كراهية خصبة تنمو وتترعرع عليها!

ضع اليابان أو فرنسا أو كوتيفوار أو استراليا أو البرازيل أو كندا محل الولايات المتحدة وستدرك الفارق!

الولايات المتحدة طوال تاريخها القصير نجحت بجدارة في أن تزرع أقسى مشاعر الكراهية في عقول وقلوب كل شعوب العالم بلا استثناء؛ أشعرت الجميع بالقهر والذل والعجز وقلة الحيلة أمامها، هي فتوة الحارة الظالمة الجائرة المستبدة التي يحلم الجميع باليوم الذي ينكسر فيه كبريائها ويُصيب جسدها الصلب وهنٌ لتسقط على الأرض، متى جاءت تلك اللحظة ستندهش كثيرًا من ضربات الخناجر التي ستتوالى من الجميع في جسدها انتقامًا!

لم يكن كل المتظاهرين مناصرين لتسطح الأرض يؤمنون تمام الإيمان بتسطحها، هم فقط يتخذون الصف المعارض للولايات المتحدة وسياساتها وعجرفتها وغرورها واستبدادها، قاعدة «**عدو عدوي هو صديقي**» كثيرًا ما كانت تجد قبولًا لدى الكثيرين مهما اختلفت أجناسهم أو ثقافاتهم، عدو الولايات

المتحدة هو صديق مهما كان سبب العداوة معها حتى وإن كان عداءً بسبب تجشوء رئيس الولايات المتحدة أمام رئيس دولة أخرى، يكفي هذا العدو شرفًا أن تجرأ بالجهر بمعاداته للشيطان الأكبر الذي يحكم العالم.

لو قال أحدهم قبل شهورٍ أن تسطح الأرض أصبح على قائمة المناقشات في جامعة الدول العربية بالقاهرة بحضور وزراء الخارجية لاتهمه الجميع بالسفهِ ولأودعوه بمصحةٍ لعلاج الأمراض العقلية، ولكن جاء اليوم الذي يتحقق فيه ما كان سيعد ضربًا من الجنون فيما مضى!

اجتمع وزراء الخارجية العرب في القاهرة لمناقشة قضية تسطح الأرض وتكورها بدعوة من وزارة الخارجية المصرية، كانت المفاجأة في اتفاق الدول العربية – باستثناء قطر وشمال السودان الرافضتين وسلطنة عمان الممتنعة عن التصويت – على إصدار بيان يطالبون فيه الدول التي تمتلك وكالات فضاء باتخاذ إجراءات جدية لكشف الحقائق لمنع البلبلة التي تجتاح العالم.

نجحت القوة الناعمة للخارجية المصرية في دفعهم للموافقة بشبه إجماع على صيغة هذا البيان بعدما رفض البعض القول بتسطح الأرض، ذلك الرفض الذي ما لبثوا أن تراجعوا عنه حين اتفقوا جميعًا على المطالبة بكشف الحقائق دون تبنِّي موقفًا حاسم تجاه تسطح الأرض أو تكورها.

كان البيان دافعًا إيجابيًا لمصر ونجاحًا احتفى به النظام المصري، وفي زهوةِ فرحهم قرروا الطرق على الحديد وهو ساخن ما دامت الظروف مواتيه للتحرك بشكلٍ أكبر على المستوى الدولي، في اليوم التالي تقدم مندوب مصر الدائم في الأمم المتحدة بمشروع قرارٍ يتضمن ما اتفقت عليه الدول العربية ليُطرَح للتصويت ملزِمًا الدول التي تمتلك وكالات فضاء باتخاذ ما يلزم لحسم الخلاف المحتدم بين الشعوب وحكومات دول العالم.

لم يكن أشد المتفائلين تفاؤلًا يتوقع أن يلقَ المشروع المصري أي تأييدٍ من دولٍ أخرى، ولكن المفاجأة كانت في تلقي مشروع القرار تأييدًا من أكثر من دولةٍ بأمريكا الجنوبية وعلى رأسهم كوبا وفنزويلا والأرجنتين والبرازيل والبيرو إلى جانب بعض الدول الأفريقية والأسيوية.

الولايات المتحدة من منطلق ديكتاتوريتها المطلقة وعجرفتها المعتادة هي من استخدمت حق الفيتو لرفض مناقشة الأمر من البداية في حين لم يستخدم هذا الحق بقية الدول الأخرى القادرة على استخدامه.

الوضع ازداد تعقيدًا، والعالم أجمع أصبح فوق فوهة بركانٍ يعلم الجميع بانفجارهِ الوشيك ولا يتحسبون لتلك اللحظة التي قد تؤدي لهلاك البشرية أسفل حمم الغضب المستعرة!

مؤيدوا تسطح الأرض لم يعودوا قلة مجهولة لا صوت لها؛ أصبحت أعدادهم بالملايين في جميع أرجاء الأرض، أصبح للفكرة أنصارًا من المشاهير الذين يتبنونها ويدافعون عنها، كان بينهم أدباء حصلوا على نوبل، ممثلون لهم ثقلهم في هوليوود وبوليوود، لاعبي كرة قدم تُثَمَّن أقدامهم بملايين الدولارات من القدامى والحاليين، سياسيون من ذوي الشهرة على مستوى العالم من الذين تُفتَح لهم صالات كبار الزوار ويُمنَحون الدكتوراة الفخرية من الجامعات العريقة وتُحقق كتب سيرتهم الذاتية متعددة الطبعات ملايين الدولارات وتسعى خلفهم عدسات الكاميرات أينما ذهبوا.

كل هؤلاء أجمعوا على أمرٍ واحد، أمر لم يكن في ظاهرِهِ صعب التحقيق، لِمَ جزم جميعهم بتسطح الأرض وإن اكتفوا بالإصرار على المطالبة بكشف الحقائق وحسب، ولكن مطلبهم الشرعي لم يلق غير التجاهل، تجاهل تام يصب مزيدًا من الوقود على حريق الغضب المستعر في الصدور!

جزء من الحلقة

اقترب عمر الديب من أيوب أبو الوفا ممسكًا جبهته من أثر الإرهاق قائلًا له:

ـ أظن يا دكتور أن الرأي الديني عجبك؟

ـ شجاعة منه صراحة أن يتكلم بهذا الرأي أمام المشاهدين، سيعلقون له المشانق في الصباح الباكر.

ـ المخرج يقول أن بعد الفاصل نستقبل معنا رأيًا من المفكر القبطي المشهور د. مينا لبيب.

ـ أكاد أُجزم معرفتي بما سيقوله، أرى الإرهاق واضح عليك.

ـ صداع بسيط، لكن بسم الله ما شاء الله صحة حضرتك مثيرة للإعجاب يا دكتورنا.

قالها ضاحكًا عمر الديب ضاربًا بقبضتِه على صدره، ثم عاد لمقعده إيذانًا بانتهاء الفاصل، أشار له أيوب أبو الوفا لينبهه إلى غياب وائل البدراوي، فأوضح له عمر الديب السبب ضاحكًا:

ـ أستاذ وائل، غير قادرٍ على التماسك لآخر الحلقة، أظنه سيغيب في دورة المياه حتى الفاصل التالي.

انتهى الفاصل وعاد البث المباشر ليتحدث عمر الديب قائلًا:

ـ استقبلنا اتصالًا بخصوص رأي الدين الإسلامي في مسألة تسطح الأرض، والآن يشرفنا بالاتصال المفكر القبطي البارز د. مينا لبيب، د. مينا مساء الخير.

ـ أهلًا أستاذ عمر، ومرحبًا بأستاذ وائل المختفي وبضيفك، حلقة ثرية ومشوقة أحييكم عليها.

ـ شكرًا لك د. لبيب، دعنا ندخل في صلب الموضوع مباشرة، حضرتك تريد أن تقدم إضافة.

ـ بالطبع يُسعدني إيضاح بعض النقاط، أنت تعرف عزيزي أن الكنيسة ترفض التدخل في الخلافات العلمية منذ محاكمة الكاثوليكي المتدين جاليليو جاليلي سنة ١٦٣٢ بسبب نشره وتبنيه لنظرية كوبرنيكوس واتهامه بالهرطقة من قبل محاكم التفتيش الرومانية، ولكن دعنا نصدم المشاهدين ونقول لهم أن الكتاب المقدس تحدث هو أيضًا عن تسطح الأرض!

ـ ما هذا؟!.. حضرتك وصلت لصلب الموضوع مباشرة يا دكتور، أحييك بصراحة.

ـ لا داعي لإضاعة وقت المشاهد الكريم يا أستاذ عمر، لنبدأ بإنجيل لوقا ـ الإصحاح الرابع: « **أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئًا من الروح القدس وكان يقتاد بالروح في البرية، أربعين يومًا يجرب من إبليس ولم يأكل شيئًا في تلك الأيام ولما تمت جاع أخيرًا، وقال له إبليس إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزًا، فأجابه يسوع قائلًا مكتوب أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة من الله، ثم أصعده إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان**»

وفي إنجيل متى – الإصحاح الرابع: «**ثم أخذه (يسوع المسيح) أيضا إبليس إلى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها**».

هنا يا أستاذ عمر من الواضح أنه مهما بلغ ارتفاع جبل على الأرض الكروية فلن يمكنه ذلك من أن يرى جميع سطح الأرض لتقوس سطحها، في حين أن على الأرض المسطحة بمشيئة الرب وبصيرته يمكن ذلك.

- أليس من الوارد أن يكون الأمر مجرد كناية د. مينا؟
- ربما يُصبح كلامك صحيحًا إن توقف الأمر على ما ذكرته، ولكن اسمح لي أن أُكمل وكل شيءٍ سيتضح، جاء في رؤية يوحنا (٨١٢٠): «**ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض جوج وماجوج ليجمعهم للحرب الذين عددهم مثل رمل البحر**»، الزوايا أساتذتي لا يمكن أن تتوفر في أي شكلٍ كروي، وإنما تتوفر في مسطح منبسط.

أيضا في رؤية يوحنا (٢ – ١١٧): «**وبعد هذا رأيت أربع ملائكة واقفين على أربع زوايا الأرض ممسكين أربع رياح الأرض**».

وفي حزقيال (٢١٧): «**وأنت يا ابن آدم، فهكذا قال السيد الرب لأرض إسرائيل، نهاية قد جاءت النهاية على زوايا الأرض الأربع**».

وفي أشعياء (١٢\١١): «**ويرفع راية للأمم ويجمع منفى إسرائيل ويضم مشتتي الأرض يهوذا من أربعة أطراف الأرض**».

أما على الجانب الآخر، ففي سفر أشعياء (**٢٢\٤٠**) نجد أن لفظة «**كرة الأرض**» قد ذُكِرَت: «**الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب الذي ينشر السماوات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن**»!

- هل هذا يتعارض مع الأرض المسطحة واعترافًا دامغًا على كروية الأرض؟!
- الإجابة هي «**لا**»!

إذ نجد أن النص الإنجليزي لا توجد فيه كلمة «**كرة الأرض»!، وإنما هي دائرة الأرض، وما كان ذلك التعريب إلا محاولة للتجويد من قبل المترجم للعربية، النص الإنجليزي يقول:**»

He sits enthroned above the circle of the earth، and its people are like grasshoppers. He stretches out the heavens like a canopy and spreads them !out like a tent to live

والخيمة تعلو أساتذتي الكرام أرضًا مسطحة لا كروية، الخيمة هنا كالقبة السماوية فوق الأرض.

- د. مينا، مشاركتك ثرية، وأكاد أن أجزم أنك من المؤمنين بتسطح الأرض!
- الأمر ليس وليد اللحظة، المسيحي الحق لا يمكن أن يؤمن بخلاف ذلك من وجهة نظري الشخصية، ولكني كغيري يكتم إيمانه خوفًا من أن يسير الأطفال خلفي ليقذفوني بالحجارة باعتباري مجنونًا فر من مستشفى الأمراض العقلية، وأجد نفسي مطرودًا من أي حدثٍ ثقافيّ بتهمة الجنون.

قال جملته الأخيرة ضاحكًا ليضحك الجميع معه، ابتسم عمر الديب قائلًا في ود:

- تشرفنا بمداخلتك الهاتفية يا دكتور مينا، تحب أن تضيف أي شيء آخر؟
- أشكرك بشدة أستاذ عمر.. وأتوجه بالشكر الخالص لضيفك الكريم د.أيوب أبو الوفا الذي منحني الشجاعة لأتحدث أمام المشاهدين اليوم.
- شرفتنا د. مينا لبيب المفكر القبطي البارز، أعزائي المشاهدين والمشاهدات في المنازل والمقاهي: فاصل قصير ونعود لاستكمال الحوار.



الفوضى التي تضرب العالم أصبحت بعد فترةٍ ليست بالقصيرة هي والملل سواء!

الأحداث خلال اليوم الواحد تكاد تتماثل دون أي اختلافٍ ملحوظ، بعض الجرائد الماكرة اكتفت ذات صباح بتغيير تاريخ الجريدة دون المساس بالمحتوى، المفاجأة كانت أن ما من أحدٍ لاحظ ذلك!

تستيقظ الشعوب على أخبار الاشتباكات بين المتظاهرين وقوات الأمن والتي تُخلِّف عادةً نفس العدد من الضحايا دون زيادة أو نقصان، الأمر بدا وكأن هناك اتفاقًا ضمنيًا بين المتظاهرين وقوات الأمن بأن يبقى الوضع على ما هو عليه إلى يوم قيام الساعة، الطرفان ظنا أنهما الشمس والقمر يدوران في مدارات ثابتة لا نهائية حتى تقوم الساعة إلى أن يحدث الحيود وتتغير المسارات وليصطدما بقدرة الخالق لتبدأ أحداث جديدة ومختلفة!

ذات صباح، قرر أحدهم أن يُلقِي بحجرٍ ضخم في مياه بحيرة الفوضي التي صارت راكدة، قرر أن يغير من الرتابة اليومية للأحداث، قرر أن يمد الصحف والقنوات التليفزيونية والمواقع الإخبارية بحدثٍ جديد يثرثرون بشأنه، حدث يُشعل الحماس في صدور المتظاهرين ويؤجج الغضب في صدور الجالسين في البيت الأبيض ومن يؤيدونهم من حكومات العالم، وكان هذا الرجل هو رئيس دولة بيرو المطلة على ساحل المحيط الهادي!

خرج الرئيس البيروفي على شاشات التليفزيون وفي أخبار الصحافة الورقية والإلكترونية وقد اتخذ قراره بأن يُفجر مفاجأة اتفق الجميع على كونها من العيار الثقيل!

أعلن الرئيس البيروفي للجميع أن دولته «**بيرو**» هي من ستأخذ زمام المبادرة ليخطوا العالم أولى خطواته على طريق كشف الحقيقة.

تصريحاته أحدثت ضجة في العالم أجمع!

سفينة أُطلِقَ عليها «**عين البشرية**» ستبحر غربًا عبر المحيط الهادي؛ إمًا أن تصل إلى الجدار الجليدي وإمًّا أن ترسو على سواحل آسيا، طمأن شعبه أن بعض الأثرياء الذين رفضوا الإفصاح عن هوياتهم هم من تكفلوا بتحمل جميع تكاليف هذه الرحلة التاريخية، لن يتحمل دافعي الضرائب سولا بيروفيا جديدًا واحدًا.

جزء من الحلقة

انتهت مكالمة د.مينا لبيب فصمت عمر الديب لوهلةٍ بغرض إعطاء فرصة للمشاهدين لاستيعاب ما قاله مينا لبيب في مداخلته، وفي ذات الوقت ليحاول هو ترتيب كلماته قبل أن يوجه حديثه ضاحكًا لأيوب أبو الوفا قائلًا:

- سمعنا الإسلام والمسيحية وأنت قلت في بداية الحلقة أن اليهود والهندوس يقتنعون بأن الأرض مسطحة لا كروية.

- مع كامل احترامي لرأي الدين والذي للمصادفة توافق مع ما نقوله، ولكن الحقيقة أمام أعيننا طوال الوقتِ ولا حاجة للاستدلال بالأديان لإثباتها كي لا تتضرر الأديان بتفسيرات البشر التي ربما تكون خاطئة، ما ينقصنا كي ندرك الحقائق واضحة مجردة هو تحرير عقولنا للتفكير والتدبر فيما حولنا، ساعتها فقط سنبصر تلك الحقائق.

- عودة لموضوعنا د. أيوب، إن افترضنا أن الأرض مسطحة، ما الذي يمنع انسكاب مياه المحيطات؟

- الجدار الجليدي.

قالها أيوب أبو الوفا في ثقةٍ بالغة، عاجله عمر الديب في اندهاشٍ من ثقتهِ التي لا تهتز قائلًا:

- المزيد من التوضيح من فضلك د. أيوب؟

- في نموذج الأرض الكروية هناك قارة تقبع في أسفل النموذج.

- القارة القطبية الجنوبية.

- اتفقوا على تسميتها بقارة «**انتاركاتيكا**»، هي في الأرض المسطحة ليست بهذا الشكل كما يصورونها لنا في النموذج الكروي.

- إذًا كيف تبدو؟

ـ هي إطار من الجبال الجليدية شاهقة الارتفاع تحيط بالأرض من جميع جوانبها.

ـ أنت تقصد أن هذه الجبال هي نهاية العالم؟

ـ فقط هي نهاية الأرض التي نعرفها بمحيطاتها ويابستها، لم يذهب أحدٌ بعد لما بعد هذه الجبال الجليدية لانخفاض درجات الحرارة بشدة لنعرف ماذا يوجد بعدها، ومن ذهبوا أسرّوا ما شاهدوه.

ـ إذًا ماذا يمنع أن نذهب إلى هناك في رحلةٍ يمولها أي شخص ثري لنرى جميعًا نهاية الأرض؟

ـ معاهدة انتاركاتيكا تمنعك.

ـ هذه المرة الأولى التي أسمع فيها بهذه المعاهدة!

ـ عام ١٩٥٩ عُرضَت تلك المعاهدة للتوقيع وفي عام ١٩٦١ وقعت عليها ١٢ دولة تزايد عددهم في السنوات التالية، من ضمن بنود المعاهدة منع إجراء اختبارات الأسلحة العسكرية ومنع الانفجارات النووية أو دفن المواد المشعة في تلك البقعة النائية من العالم خوفًا على إحداث انهيارات في الجدار الجليدي، لا يوجد معاهدة مماثلة للقطب الشمالي بالمناسبة.

ـ المعاهدة ذكرت لفظ «**الجدار الجليدي**» يا د. أيوب؟

ـ بالطبع لا، ولكن رغم أن هذه البقعة غير مأهولة بالسكان إلا إنها مهملة من جميع دول العالم، ليس لتجمدها شأنًا بذلك وبخاصة أننا نرى النزاعات الدولية على آلاسكا المتجمدة مثلًا في القطب الشمالي، هذا الجزء المتجمد لا يُسمح بدخوله سوى للأبحاث العلمية فقط بعد أخذ الموافقات اللازمة، ليس باستطاعة أي فردً الذهاب إلى هناك متى شاء.

ـ وماذا وراء ذلك الجدار الجليدي؟

ـ لا أحد يعلم على وجه التحديد، الله وحده من يعلم، ثم ربما حكومات الدول العظمى فقط، وإن كنت أظن أن درجات الحرارة المنخفضة هناك لا يمكن تحملها، ألسنة النيران قد تتجمد هناك!

ـ حسنًا د. أيوب، فاصل إعلاني أعزائي المشاهدين ونعود لاستقبال اتصالاتكم الهاتفية على الأرقام الظاهرة على الشاشة.



منذ إعلان «**بيرو» عن نيتها تسيير السفينة «عين البشرية**» نحو الغرب والولايات المتحدة تلتزم الصمت على المستوى الرسمي، لا أحد يعرف هل من خوفٍ هو صمتهم أم من ثقةٍ.

الجميع من المؤيدين والمعارضين لتسطح الأرض يترقبون انطلاق السفينة «**عين البشرية**» التي تحمل على سطحها مئات المؤيدين، الأنظار معلقة بالسفينة الضخمة التي لن تعتمد في إبحارها على أي من أجهزة الملاحة الحديثة مثلما أُعلِن، يقتلهم الفضول ليعرفوا كيف ستنتهي رحلة السفينة وإن اتفقوا على أنها ستضع حدًا لحالة الجدل المثار، يتسائلون أمام شاشات التليفزيون وشاشات العرض الضخمة المعلقة بالميادين الكبيرة هل أتى حقًا اليوم الذي قد تتغير فيه واحدة من المسلمات على هذه الأرض والمتعلقة بشكل الأرض؟!.. إن كانت الأرض مسطحة بالفعل

فهل تتركهم الولايات المتحدة ليثبتوا هذا ويبرهنوا بدليلٍ قاطع على كذبها؟!.

«**رحلتنا غير محددة بمدة زمنية، سنتوقف عندما نصل إلى اليابسة، لندعوا الرب أن يرزقنا التوفيق**»

كان هذا آخر تصريح لرئيس الوزراء البيروفي من فوق اليابسة قبل أن يصعد إلى سطح السفينة ليشاركهم الرحلة التاريخية.

انطلقت السفينة «**عين البشرية**» لتشق بمقدمتها أمواج المياه وحولها الزوارق الصغيرة التي خرجت تودعها قلب المحيط وسط أجواءٍ احتفالية وألعاب نارية انطلقت في السماء فقلل من إبهارها ضوء شمس الظهيرة.

قبطان السفينة جونزالو روبرتو يقف في مقصورة القيادة يتطلع باسمًا نحو المحيط الممتد أمامه، السماء في الأفق في خطٍ مستقيم لا تقوس فيه تلامس سطح الماء، سعيدًا كان القبطان جونزالو روبرتو لتسجيل اسمه في كتب التاريخ سواء انتهت رحلته بتأكيد كروية الأرض أو انتهت بنسف تلك الفكرة تمامًا، الشيء المُحزن الوحيد إن أثبتوا تسطح الأرض؛ هو أن الأرض ستخسر آلاف الأشجار التي ستُقطَّع جزوعها ليُصنَع منها أوراقًا جديدة تكفي لتغيير كل الكتب العلمية حول العالم.

جونزالو روبرتو في قرارةِ نفسه كان يؤمن بتسطح الأرض لا بكرويتها، كاثوليكيًا ملتزمًا كان مداومًا على زيارة الكنيسة والصلاة وسماع عظة الأحد، مؤمن هو بأن الإنجيل أخبرهم

بتسطح الأرض لا بكرويتها، كل مشاهداته خلال رحلاته البحرية العديدة كانت تُثبت ذلك ولكنه كان يكتم إيمانه في قلبه لسنين طالت خوفًا من استبعاده من الإبحار بالسفن شكًا في قواه العقلية، جهر بإيمانه في كل مكانٍ فور علمه بإشاعات تأييد بلاده لتسطح الأرض والتي أصبحت – الإشاعات – حقيقة، راح يدعو كل من حوله للإيمان بهذه الحقيقة مثله رغم دهشتهم من حماسه غير المبرر لتلك الأقاويل، كان أول المتطوعين لقيادة السفينة حين عقدت بلاده النية على تسيير تلك الرحلة التاريخية، انسكبت دموع صدق إيمانه بتسطح الأرض خلال المقابلة التي عُقدت معه لاختيار قبطان السفينة «**عين البشرية**».

حينما تمت الموافقة علي قيادته للسفينة علم أن هناك مجدًا – بلا شك ـ في انتظاره، لم يشأ أن يشهد المجد وحده من دون زوجته ومعشوقته كاثرين التي جاءته بخبر حملها الذي تأخر سنينًا في ذات اليوم الذي تمت فيه الموافقة على قيادته لطاقم السفينة لتضاعف دموع الفرح المنهمرة من عينيه، قرر أن يصعد إلى السفينة في تلك الرحلة الفريدة هو وسنوات عمره الخمسة وأربعين وزوجته وجنينها ليشهدوا سويًا متشابكي الأيدي مولِد لحظات المجد.

جزء من الحلقة

انتهى الفاصل وعاد وائل البدراوي بعد انتهاءه من قضاء حاجته ليشارك عمر الديب تقديم البرنامج مرة ثانية، تحدث الأول مرحبًا بالمتصل:

ـ عدنا بعد الفاصل، أعزائي المشاهدين معنا اتصال هاتفي من الإعلامي والصحفي الدكتور عبد الدايم منتصر، دكتورنا الجميل مساء الخير.

أتى صوت المتصل كعادته يحمل الكثير من العجرفة والاستعلاء قائلًا في غلظةٍ وكأنه على وشك البصق في وجوه المستمعين:

ـ مساء النور أستاذ وائل وأستاذ عمر، اسمحا لي أن أتوجه بعتابٍ رقيق لكليكما وأنتما تعلمان قدركما ومعزتكما عندي.

ـ تفضل بالطبع يا عبد الدايم.

ـ أنتما طوال مشواركما الطويل مثالٌ للمذيع والإعلامي المجتهد، ولكن الحلقة اليوم جعلتني أحزن بحق.

ـ لا نرضى بحزنك يا صديقي، ولكن بالطبع يهمنا أن نعرف الأسباب.

ـ لا يليق بتاريخكما العريض المشرف يا عمر ويا وائل، أن تستضيفا رجلًا مجهولًا لا يعرفه أحد؛ رجلًا ظهر باحثًا عن تواجد إعلامي ليروج عبر شاشة البرنامج ـ وأنتما معروفان بمصداقيتكما ـ لمثل تلك الخرافات التي تناقض العلم، لا يصح أن ينشغل العالم بالتخطيط للوصول بالبشر إلى المريخ وأنتما تستضيفان شخصًا يزعم أن الإنسان محبوس داخل الأرض تحت قبة وينكر كل ما توصلت إليه التكنولوجيا والتقدم العلمي المذهل!، بل ويسانده في زعمه رجال دينٍ وظيفتهم في العالم أن يُحدِثوا بلبلة وينفخوا في الكيرٍ ليؤججوا نار الفتن.

ـ أنا أختلف معك وأنت تعلم معزتك لدي يا عبد الدايم.

ـ تفضل يا أستاذ عمر.

ـ أنا من جانبي حاولت استضافة وجهة النظر المقابلة ولكنه للأسف تهرب في اللحظات الأخيرة، ضيفنا عرض بالفعل وجهة نظره وأدلته، ولا شأن لنا بكونه مغمورًا أو مشهورًا، هو في النهاية رجل أكاديمي ومشهور في مجاله واستمر في عمله بهيئة التدريس في واحدةٍ من أعرق الجامعات الأمريكية حتى وصل لسن التقاعد، نحن من جانبنا فتحنا الاتصالات الهاتفية لكي نحاول أن نُحدث قدرًا من التوازن والدليل تواجدك معنا عبر

الهاتف ومعك الحرية تمامًا في إبداء وجهة نظرك، لو لديك وجهة نظر معارضة يشرفنا بالطبع سماعها.

ـ أنا غير متخصصٍ لأفتي في هذا المجال، لكني في ذات الوقت ضد ترويجٍ الخرافات والإشاعات.

ـ تشرفنا بسماع وجهة نظرك د. عبد الدايم.

قالها في ضيقٍ وائل البدراوي ثم توجه بحديثه لأيوب أبو الوفا الذي لم تفارقه ابتسامته الواثقة.

ـ ما رأيك يا د. أيوب؟

ـ الدكتور عبد الدايم، ما وظيفته؟

ـ د. عبد الدايم مفكر وصحفي وإعلامي مشهور.

ـ ولِمَ تسبق اسمه بـ»دكتور»؟

ـ لأنه في الأساس طبيب بشري.

ـ إذًا هو غير متخصص، وأنا بحكم خبرتي ـ كما ذكر أستاذ عمر ـ أُعتبر متخصصًا فيما أتحدث عنه، فلِمَ أعطَى لنفسه حق نقدي ولِمَ أنا مطالب بالرد عليه؟قالها باسمًا أيوب أبو الوفا والثقة تغلف كل كلمةٍ من كلماته، تصنع عمر الديب الجدية كاتمًا ضحكاته سائلًا:

ـ تحدثنا عن القطب الجنوبي أو ما سميته أنت يا دكتور بالجدار الجليدي، لم لا نتحدث عن القطب الشمالي؟

ـ لنتحدث، القطب الشمالي يُعتبر في منتصف الأرض، هناك نجمة فوق القطب الشمالي اسمها الشعرى الشمالية، وهي التي استدل بها الناس قديمًا على اتجاه الشمال إذ تظهر لامعة بوضوح في السماء.

ـ وما علاقة النجمة الشمالية بالقطب الشمالي؟

ـ في الأرض الكروية يزعمون أن الأرض تدور حول محورها المائل بمتوسط سرعة يصل لـ ١١٠٠ ميل في الساعة، وفي نفس الوقت الأرض تدور في مدارها حول الشمس بسرعة ٦٧ ألف ميل في الساعة، والشمس – جاذبة حولها مجموعتها الشمسية ـ تدور في مسارها اللولبي حول مركز المجرة بسرعة ٥٠٠ ألف ميل في الساعة، وسط كل هذه الحركات المتغيرة كيف يمكن أن يظل موضع الشعرى الشمالية ثابتًا لا يتغير طوال الوقت؟!

لم يُعقِّب أي من المذيعين رغم انتظار أيوب أبو الوفا تعقيبًا منهما اعتراضًا أو تأييدًا، استطرد أيوب أبو الوفا قائلًا:

ـ لنضف إلى ذلك أنك إن وجهتك عدسة كاميرا لتُسجل حركة النجوم في السماء لعام مثلًا؛ فستصدمك المفاجأة، إذ سترى أن الشعرى الشماليَّة ستظل طوال الوقت وكأنها مركز دائرة يدور من حولها في مساراتٍ دائرية بقية النجوم في السماء!

ـ إذًا أنت تقصد أن جميع النجوم التي تظهر في القبة السماوية التي تحدثت عنها تدور هي أيضًا فوق الأرض. أو يمكن القول بأن القبة السماوية تدور بالنجوم المثبتة فيها فوق الأرض، كما تدور الشمس والقمر.



شهرٌ مر على يوم إبحار السفينة «**عين البشرية**» وثلاثة أسابيع على انقطاع جميع الاتصالات معها وانقطاع جميع أخبارها وسط صدمة من الجميع!

طائرات استطلاع انطلقت للبحث عن السفينة «**عين البشرية**» التي ابتلعها المحيط ولم تصل إلى شيء!، بدت السفينة وكأنها ذرة ملح ذابت وسط أمواج المحيط المتلاطمة!

في مشهدٍ حزين امتلك رئيس بيرو الشجاعة ليخرج على العالم بشعوبهِ وحكوماته ليؤكد الأمر، كلمات رثائهِ للضحايا التي انسكبت صادقة من قلبهِ أمام الكاميرات أبكت الجميع وأبكته هو شخصيًا، كان العثور على أي حطام أو أية أشلاء سيخفف من قسوة الأمر، كان يتمنى أن يعثر على ًأي شيءٍ من أثر السفينة ليعلم ماذا حل بها، ولكن ذلك الاختفاء الغامض أصاب الجميع

بالإحباط وهو أولهم، لا جثث أو أشلاء تتم لها مراسم تأبين لائقة تُثلج صدورًا تستعر بالغضب ويعتصرها الحزن اعتصارًا.

تصدَّر الخبر وسائل الإعلام المرئي والمسموع على مستوى العالم، وجد الخبر طريقه كعنوانٍ رئيسي في الصحافة المطبوعة والإلكترونية، تقارير عدة أُذيعت ونُشِرَت عن الضحايا المفقودين؛ أسمائهم، حياتهم وعائلاتهم اللاتي تركوها ورائهم، مع القليل من الانتقادات بالتقصير لبيرو لافتقاد السفينة للتأمين الكافي في مهمتها التاريخية.

الدول الكبرى المؤيدة لكروية الأرض اندلعت فيها المظاهرات وأعمال الشغب مرة ثانية ولكن كانت تلك المرة أشد عنفًا؛ رددوا اتهام رئيس بيرو للولايات المتحدة بوقوفها وراء اختفاء السفينة!

المناخ العدائي تجاه الولايات المتحده تحديدًا يتصاعد في كل بقعة من بقاع العالم، كل ما هو أمريكي تعرض لاعتداءاتٍ متكررة، السفارات والقنصليات تعرضت لهجوم غاضب من متظاهرين، الشركات الأمريكية تتعرض للاعتداًءات وللسلب والنهب، أحد أفراد الوفد الدبلوماسي للولايات المتحدة تعرض للطعن بأداةٍ حادة في القاعة الرئيسية بالأمم المتحدة على يد أحد ممثلي دولة بيرو!

استيقظ العالم في ذلك الصباح الصاخب على أحداثٍ أكثر صخوبة ودموية، الولايات المتحدة وسط الضغوط التي تتعرض

لها في كل بقعةٍ من بقاع العالم أوشكت أن تفقد قدرتها على اتخاذ القرارات الصائبة، شعرت أنها فتوة الحارة الذي وصل إلى خريف عمره وفقد هيبته وصار الصبية الصغار يتقاذفونه بالحجارة على مرأى ومسمع من الجميع من باب التسلية عن أنفسهم!

مدفوعة بغضبها تقدمت الولايات المتحدة لمجلس الأمن بمشروع قرار بفرض عقوبات اقتصادية قاسية صارمة على بيرو بعد واقعة الطعن التي تعرض لها الدبلوماسي الأمريكي على الأراضي الأمريكية، ازداد الوضع تأزمًا مع عدم حصول القرار على الأغلبية، حق الفيتو الذي طالما استخدموه لمنع الآخرين من التعبير عن آرائهم وتغليب رأي الأغلبية لا يفلح لفرض قرار على ذات الأغلبية التي امتلأت صدورها بكراهية الصقر الأمريكي المتعجرف!

لم تشأ الولايات المتحدة التخلي عن غطرستها المعتادة في تعاملها مع دول العالم، معتبرة نفسها الشقيقة الكبرى وولي أمر العالم القاصر رغم أنفه، أعلنت للجميع أنها ستقاطع تمامًا أي دولةٍ تدعم بيرو سياسيًا أو اقتصاديًا أو عسكريًا، قررت أن تُسيِّر العالم كعادتها وفقًا لشريعة الغاب لا بالأدوات الديموقراطية والدبلوماسية.

الكيل قد فاض بالجميع من هذه الغطرسة الأمريكية، كان الجميع يبتلعون ألسنتهم في الماضي وهم يرهبون بطشها اللا محدود، لم يعد في قوس الصبر منزع وما من شيءٍ يجبرهم على

الانكسار أمامها وهي تنزف جريحة وسط العالم غير قادرة على التماسك والوقوف على قدميها.

بعض الدول قررت أن على الولايات المتحدة أن تستفيق من هذه الأوهام بالنفوذ والسيطرة وقد ولت تلك الأيام بلا رجعى، دول القارة الأمريكية الجنوبية أعلنت جميعها التضامن مع بيرو، أخبار ذلك التضامن أسرت القشعريرة في نفوس جميع المناصرين للأرض المسطحة في بكل بقاع الأرض من فرط الحماس، تضامن أعاد الثقة لدولة البيرو وأشعل قيادتها بالحماسة لاستكمال مهمة «**عين البشرية**»، في مؤتمرٍ شهده العالم أجمع قررت بيرو إرسال طائرات حربية على مجموعتين صوب قارة انتاركاتيكا المتجمدة في تحدٍ جديد للولايات المتحدة كخطوةٍ جديدة على طريق كشف الحقيقة التي ينشدها الجميع.

هذا التحدي الجديد الذي جدد الأمل في نفوس المناصرين لتسطح الأرض زرع خوفًا في نفوس مناصري كرويتها؛ إذ أضحى الأمر أمام الجميع كقنبلة قد يدفع الغباء السياسي الولايات المتحدة لنزع صمام أمانها لتنفجر في وجوه الجميع.

جزء من الحلقة

الفاصل لم يكن طويلًا هذه المرة على غير العادة، من استغرق في نقاشٍ مع زوجته ـ حول الحلقة ـ قطع نقاشه، ومن نهض ليلبي نداء الطبيعة عاد دون أن يُنهي إفراغ مثانته، ومن أوقد

الموقد على الذرة من أجل طبقٍ من «**الفيشار**» أغلق الموقد وترك حبوب الذرة تتفتح كي لا تفوته دقائق من الحلقة، ظهرت إمارات الجدية على وجه عمر الديب بعدما انتهى الفاصل القصير قائلًا:

ـ أعزائي المشاهدين والمشاهدات، معنا اتصال هاتفي هام للغاية، يشرفنا بالاتصال فخامة رئيس الجمهورية شخصيًا.

ـ مساء الخير يا عمر، مساء الخير يا وائل.

ـ فخامة الرئيس بنفسه يتابع حلقتنا ويشرفنا باتصاله؟.. أهلًا بخامتك.

ـ أنا أرحب يا وائل بضيفك الكريم والإخوة المواطنين والمواطنات داخل وخارج مصرنا الحبيبة، أنا مستمتع بالنقاشات الجميلة والثرية على مدار الحلقة، لا أريد أن أقاطع حديثكم، ولكن وددت أن أستغل تجمع المصريين أمام شاشات التليفزيون كي أوجه رسالة لابنتنا وبنت مصر الجميلة الدكتورة سندس الليثي وابنها الطفل الجميل ياسين إن سمحتم لي.

ـ فخامتك الحلقة بمن في الاستديو تحت أمرك فخامتك.

قالها مقاطعًا عمر الديب في تزلفٍ واضح انتزع ضحكات رئيس الجمهورية قائلًا:

ـ شكرًا يا عمر، أحب أن أقول لهما: مصر ـ قيادة وحكومة وشعبًا ـ لا يمكن أن تُفرط في حق ابنٍ من أبنائها سواء داخل مصر أو خارجها، أُأكد مرة ثانية والعالم كله يسمعني، مصر دولة كبيرة ولن تُفرط في حق أي مصري داخل حدودها أو خارجها، نحن تربطنا علاقات دبلوماسية مع جميع دول العالم وجميعها قائمة على المصالح المتبادلة، شريف النجار يا سندس ويا ياسين مواطن مصري، ومصر لن تدخر جهدًا لكي يأخذ الجاني عقابه، أتمنى ألا تُفسد بعض التصرفات الفردية غير المنضبطة من أهل الشر العلاقات الدولية التي تحرص عليها مصر مع الجميع.

صمت رئيس الجمهورية مما شجع عمر الديب على سؤاله:

ـ فخامة الرئيس، هل لدى فخامتكم تعليقًا على موضوع الحلقة؟مساء الخير يا عمر، وأتركك لاستكمال الحلقة، تحيا مصر.

ـ تحيا مصر فخامتك.

انتهي الاتصال فلم يضع عمر الديب فرصة التودد إلى رئيس الدولة من خلال المبالغة في التمجيد والتفخيم والتعظيم الذي يقربه إلى النظام الحاكم زلفى، وكذلك زايد عليه وائل البدراوي، أما أيوب أبو الوفا في داخلهِ فكاد من فرط سعادته أن يتوقف قلبه الهرِم، إذ كان في اتصال رئيس الجمهورية خلال حلقةٍ

لبرنامج تليفزيوني تناقش تسطح الأرض ضوءً أخضر ليتباحث الجميع فيما عرض خلال تلك الحلقة بحريةٍ وأريحية ودون قيودٍ كالخوف من الاستهزاء بحديثهم من كثرةٍ من أشباه الإعلاميين الذين يملؤون القنوات الفضائية؛ فرئيس الدولة بما لمنصبه من رهبةٍ في نفوس الإعلاميين جميعهم مهما أنكروا ذلك يُتابع تلك الحلقة ولم يأمر بوقفها.



الطائرات الحربية أقلعت صوب انتاركاتيكا، ساعات قليلة مرت والأعين معلقة بشاشاتِ التليفزيون وشاشات العرض الضخمة المعلقة في الميادين الرئيسية في عواصم العالم؛ ينصتون السمع إلى الاتصالات اللاسلكية بين القاعدة الجوية في بيرو وقادة الطائرات الحربية، الأحاديث المتبادلة بينهما كانت باللغة الأسبانية بينما يتطوع المعلقون بترجمتها إلى جميع لغات العالم ليتعايش المشاهدون معهم لحظة بلحظة!

فجأة انقطع الإرسال دون أيةِ مقدمات!

ظن الجميع أن ما حدث لن يتعدى كونه عطبًا في أجهزة التليفزيون أو خللًا بأجهزة الاتصال على أسوأ تقدير، أو ربما تعرضت الاتصالات لتشويش متعمد، ولكن انقطاع الاتصالات بين القاعدة الأرضية والطائرات استمر إلى الأبد!

الكثيرون تحدثوا بغضبٍ مستعر عن استهداف الولايات المتحدة لهذه الطائرات، أكدوا بأعينٍ يتطاير منها الشرر والرزاز يتطاير من أفواههم أن هؤلاء الأوغادً المتغطرسون في البيت الأبيض يمتلكون من التكنولوجيا المتطورة ما يمكنهم من فعل ذلك دون أن يتركوا أثرًا ورائهم.

آخرون ضربوا كفًا بكف من الدهشة، عجزت عقولهم عن التصديق بأن الولايات المتحدة وراء الأمر، قالوا أن الولايات المتحدة رغم بطشها وغطرستها ليست بالحماقة التي تدفعها لفعل ذلك مرتين! قد تتسرع بفعل ذلك لمرة أولى نتيجة اتخاذ قرارات متسرعة بغير دراسةٍ مستفيضة في واقعة اختفاء السفينة «**عين البشرية**»، ولكن من غير المعقول أن تُكرر الأمر لمرةٍ ثانية مع الطائرات الحربية، قالوا ذلك فردَّ عليهم الأولون بكلماتٍ غاضبة ألجمتهم ونظرات ازدراء تطل من أعينهم وضيق صدرٍ قد يدفعهم لتمزيق هؤلاء المدافعين عن الولايات المتحدة، ساخرون من سذاجة المدافعين أخبروهم بأن الولايات المتحدة لم تكن يومًا تُلقِي بالًا لغضب الدول الأخرى ما صغر منها وما كبر؛ هي تسعى في الأساس لحماية مصالحها وحسب مهما كان ثمن ذلك حتى وإن أهلكت البشرية جمعاء، مصاصي دماء البشر القابعين في البيت الأبيض يعدون ناسا وأنشطتها المزعومة دجاجة ثمينة تبيض لهم ذهبًا!

وقت الفوضى لا وقت للنقاشات الجدلية، وقت الحرب لا وقت للخلاف، «**من لم يكن معي فهو ضدي**» تلك هي القاعدة في تلك الأوقات، وليبحث المتعلقون بالآمال الذائفة والباحثون عن الحقوق بطرقٍ سلمية عن جحر جرزٍ يقبعون به إلى أن يقضي أحد الطرفين على الآخر ثم يخرجوا ليلعقوا نعال الفائزين في تزلف!

الفوضى عادت لتضرب العالم من جديد، الجميع يترقبون حرب عالمية ثالثة أو قيام الساعة!

جزء من الحلقة

نظر وائل البدراوي في الهاتف اللوحي أمامه، ثم قال لأيوب أبو الوفا:

- د. أيوب، سؤال تكرر كثيرًا على ألسنة المتابعين عبر البث المباشر لحلقتنا على مواقع التواصل الاجتماعي، يسألون: هل صعد الإنسان يومًا إلى سطح القمر؟
- قولًا واحدًا؟
- قولًا واحدًا د. أيوب.
- قولًا واحدًا، بالطبع لا.
- إذًا أنت تُعلنها صراحةً أن ناسا تكذب؟
- ومنذ متى كفت ناسا عن الأكاذيب؟

قالها أيوب أبو الوفا ضاحكًا، فتصنع وائل البدراوي الاندهاش قائلا:

- اسمح لي يا د. أيوب، أي مشاهد يشاهدنا الآن سيسأل سؤالًا مهمًا جدًا، لم تحتاج ناسا إلى الكذب؟

- للحفاظ على مليارات المليارات التي تنهبها من جميع دول العالم منذ عقودٍ مضت، أضف إلى ذلك المليارات التي تُقتَطَع من جيوب دافعي الضرائب من المواطنين الأمريكيين المغفلين وتذهب لناسا لتبيع لهم – عفوا – (**فنكوشًا**)، هل الإدارة الأمريكية غير قادرة على نفي عدم وجود مخلوقات فضائية ونفي كل تلك القصص عن الذين جاءوا إلى الأرض من الفضاء أو الذين اختطفتهم المخلوقات الفضائية المزعومة؟!، بالطبع هي تستطيع نفي ذلك بشكلٍ قاطع ينهي تلك الإشاعات التي يتداولها العامة منذ منتصف القرن الماضي، ولكن الولايات المتحدة تُدرك جيدًا أهمية أن يظل المواطن الأمريكي والرأي العام العالمي لديهما رهبةً مما هو فوق السماء لتكون لديها الحجة في سلب أموالهم بحجة بحوث فضاء وهمية دون أن تواجه اعتراضات منهم، لا بد من أن تنتج هوليوود آلاف الأفلام عن غزو الفضاء القادم إلينا وكذلك عن أطماع الأرضيين في الاستيلاء على أراضٍ أخرى مجهولة على كوكبٍ بعيد مزعوم كي

لا يسأل أحد عن جدوى إنفاق كل هذه المليارات في فضاءٍ بعيد لن يفيد، في حربٍ باردة قررت روسيا أن تُحرج الولايات المتحدة المتغطرسة بكذبتها عن أول بشري يدور حول أرضٍ زعموا كرويتها؛ فكذبت الولايات المتحدة كذبة أكبر زاعمة أن أمريكيًا كان أول الهابطين على سطح القمر؛ فأصبح من المستحيل أن يكذب أحدهما الآخر!.

- أستاذ عمر وأستاذ وائل، أنتما على قدرٍ كبير من الذكاء، في العشرين من يوليو سنة ١٩٦٩ في تمام الساعة الحادية عشر و٤٩ دقيقة مساءً، ريتشارد نيكسون أجرى اتصالًا من مكتبه البيضاوي بالبيت الأبيض بطاقم المركبة أبوللو ١١ وتحدث عبر هاتف مكتبه مع نيل أرمسترونج وطاقمه!.. ألا ينتزع ذلك الأمر ضحكاتكم!، استمعوا لتسجيل المكالمة على «**يوتيوب**» يحدثهم ويحدثونه بسلاسةٍ في وقتٍ كان الاتصال بمدينةٍ مجاورة معضلة حقيقية!، في عام ١٩٦٩ كان لدى الرئيس الأمريكي هاتف في مكتبه يتصل بالفضاء!!!.. يا للهول!.. لو لم نكن على الهواء أمام ملايين المشاهدين لتلفظت بلفظٍ خارج!

انتزع أيوب أبو الوفا ضحكات الجميع بآدائهِ الساخر، وائل البدراوي وسط ضحكاتهِ الوقور علَّق قائلًا:

ـ لا داعي للألفاظ الخارجة د. أيوب، إذًا خلاصة القول، أنت تُصرح بأنه لم يهبط أحدٌ يومًا على سطح القمر.

ـ بالتأكيد، لتخبرني أنت، كم من العقود مرت منذ آخر مرة هبط فيها بشري على سطح القمر؟.. أليس العلم أكثر تطورًا الآن من ستينات القرن الماضي لكي يسافر الإنسان ذهابًا وإيابا إلى القمر؟.. هل الوصول لمحطة الفضاء الدولية المزعومة أكثر سهولة من الوصول للقمر؟

ـ ولكن كل هذه الصور التي تُبثها ناسا من الفضاء أنت تعدها كذبًا؟

ـ بالطبع أُعدها كذبا ولكن للأسف كذبًا غير ممنهج!، من النادر أن تجد صورتين متماثلتين من كل صور ناسا الرسمية، ليعرض لنا المخرج الصورة رقم (١٥) والتي تظهر الصور الرسمية لكوكب الأرض التي أعلنتها ناسا عبر السنين الماضية وليحاول المشاهدون بكل جهدهم إيجاد أي تشابه بين الصور، بل ليقارنوا بين صور ناسا وصور كوكب الأرض المختلفة تمامًا التي تبثها وكالة الفضاء الروسية والصينية واليابانية مثلًا، دائمًا ما تجد اختلافًا في شكل الأرض وفي شكل القارات عند كل وكالةٍ فضائية من هذه الوكالات التي تحترف الكذب والذين انضموا للعبة ليتقاسموا الغنائم التي ينهبونها من الدول المخدوعة حول العالم. للأسف كان على تلك

الوكالات الدولية أن تستأجر مصممًا واحدًا يصمم لهم صورًا متشابهة للأرض.

ـ ولكن الفيديوهات التي تبث، ما قولك بشأنها؟

ـ عن أي فيديوهاتٍ تتحدث؟.. ألم تشاهد أي فيلم هوليودي وكيف يخلق الكمبيوتر والتكنولوجيا البصرية المتطورة فضاءً كاملًا مبهًرا؟.. ستوديوهات هوليوود سيدي الفاضل هي كلمة السر.

ـ ولكننا رأينا فيديو فيليكس مثلًا عن طريق البث المباشر على جميع الشاشات عبر العالم ورأينا الأرض وكرويتها.

ـ في البداية أود تصحيح الأمر، قفزة فيليكس لم تتم من الفضاء وإنما صعد فقط لارتفاع ٣٩ كيلو متر وصولًا لطبقة الستراتوسفير، هذه تصريحاتهم الرسمية لا من وحي خيالي، هذه القفزة تحديدا هي الدليل الأكبر على كذبهم، شخص استغرق في صعوده ساعتين ونصف الساعة إلى ارتفاع ٣٩ كيلو متر، ووصل الأرض خلال ٩ دقائق و٩ ثوانٍ منذ ترك كبسولته، خلال رحلة صعوده لهذا الارتفاع ـ وصولًا لطبقة الستراتوسفير ـ المفترض أن الأرض قد دارت حول محورها المزعوم مسافة ٤٤٢٥ كم!، في حين أن نقطة هبوطه لم تبعد عن نقطة صعوده سوى ٣٧ كم!، تلك القفزة أكبر دليل على عدم دوران الأرض حول محورها على الإطلاق وزيف تلك

الإدعاءات، أما عن كروية الأرض التي رأيناها؛ فأنت على سطح الأرض يمكنك استخدام عدسة عين السمكة التي استخدمها فيليكس لترى كروية الأرض المزعومة دون أن ترتفع لأعلى!

ـ حسنا د. أيوب، المخرج يُصر على الخروج لفاصل قصير ثم نعود لنستكمل حلقتنا.



احتفالات المؤيدين ملأت شوارع العالم للمرة الأولى منذ اندلعت الأحداث الأخيرة!

لم يكن ذلك لحدوث شيء جلل يؤكد تسطح الأرض!

لم تظهر السفينة «**عين البشرية**»!

الطائرات البيروفية لا زالت مختفية لم يستعيدوا اتصالاتهم بها! لم يُحسَم آنذاك الأمر بانتصار طرف على الطرف الآخر!

للمرةِ الأولى انطلقت الألعاب النارية نحو السماء ابتهاجًا، أحضان وقبلات بين المتظاهرين والمعتصمين والجالسين على آرائكهم يتابعون التطورات من أمام شاشات التليفزيون في منازلهم، كل ذلك لسببٍ لم يكن كافيًا لإحداث مثل هذه البهجة لو أنه حدث منذ بداية الفوضى!

رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ـ في خطوةٍ لم تكن متوقعة على الإطلاق ـ قرر توجيه الدعوة للرموز العالمية الداعمة لتسطح الأرض للقائهِ في حوارٍ مفتوح بالبيت الأبيض!

لم يصل أحد تحديدًا للسر وراء هذه الدعوة المقتضبة وكل أطلق لخياله العنان لتخيل أسبابها ومحاولة إلباسها ثوب المنطقية.

«**رئيس الولايات المتحدة لن يجالس مجموعة من المجانين، هذا هو المكتسب الأول من تلك الدعوة التي نُثمِّنُها ونُثني عليها**»

هكذا صرَّح لوسائل الإعلام الممثل الهوليوودي الشهير الهرِم ذو الأصول الأفريقية، اعتبر جلوس رئيس الولايات المتحدة معهم اعترافًا منه بأنهم كاملي العقل لدرجة تؤهلهم لمجالسته ومناقشته.

«**علينا الآن التركيز بدرجةٍ أكبر على صياغة مطالبنا**»

هكذا غرد بتدوينة على موقع (**تويتر**) لاعب الكرة السابق فرنسي الجنسية جزائري الأصل ومدرب واحد من أهم الفرق الأوروبية لكرة القدم.

المحللون السياسيون تحدثوا عن سبب هذه الدعوة التي جاءت لتهدئة الأزمة المستعرة في كل بقاع الأرض في تحركٍ إيجابي على الأرض من حكومة الولايات المتحدة، الاقتصاديون فسروا الأمر بأن الولايات المتحدة تشتعل شوارعها بالمظاهرات وأصبحت بالفعل على شفا حربٍ أهلية؛ مما أثر سلبًا على صورتها أمام العالم وأحدث حالة من الركود الاقتصادي غير المعهود في

تاريخ البلاد منذ الأزمة المالية العالمية الأخيرة؛ مما أثار حفيظة المواطنين الأمريكيين من دافعي الضرائب الذين سيركلون الحزبين الكبيرين على مؤخراتهم طاردين إياهم في أقرب انتخاباتٍ خارج اللعبة السياسية إن استمرت الأوضاع في التدهور، وأرجع البعض سبب هذه الدعوة للـ(**فيديو**) الذي تم تسريبه لدقائقٍ على موقع (**تويتر**) والذي دعمت فيه زوجة الرئيس الأمريكي تسطح الأرض، أرجع المتابعون إقدامها على الظهور مؤيدة تسطح الأرض للمعاملة القاسية والوحشية التي تلقاها زوجة الرئيس من زوجها.

«**الأمر أصبح خارجًا عن سيطرتهم، هذه مجرد هدنة لالتقاط الأنفاس والاستعداد للمعركةِ القادمة، لا يجب أن نلقي بأسلحتنا ونذهب للعبث مع عشيقاتنا قارعين كئوس الخمر ظنًا منا أننا قد ربحنا المعركة، سينتظرون اللحظة التي تسكرنا فيها الخمر ليضاجعوننا من الخلف، تبًا لنا إن سمحنا لهم بذلك!**»

بهذه الكلمات الغاضبة نهر الرئيس البيروفي الجميع أمام الكاميرات في مؤتمرٍ صحفي عالمي.

تنوعت التحذيرات التي ظهرت على مواقع التواصل الاجتماعي للمجموعة التي وُجِهَتْ لها الدعوة لحضور هذا الحوار المفتوح في البيت الأبيض ما بين تحذيراتٍ من حدوث غدرٍ بهم بمكيدة يحيكها لهم ذلك الرئيس الذي عُرف عنه جنونه، وتحذيراتٍ أخرى لهم تنهاهم عن التهاون أو الاستسلام لأيةِ ضغوطٍ قد تُمَارَس عليهم، غير مسموحٍ لهم على الإطلاق بالفشلِ

في استغلال تلك الفرصة التي جاءتهم على طبقٍ من ذهب وقد لا تتكرر عبر قرونٍ قادمة، ملايين من البشر يضعون ثقتهم الكاملة في هذه المجموعة آملين أن يكونوا على قدرِ المسئولية الموكلة إليهم في هذا التوقت الحاسم من تاريخ الإنسانية جمعاء!

جزء من الحلقة

استمرت ثواني من الصمت التام بعد العودة من الفاصل يحاول خلالها عمر الديب البحث عن سؤالٍ وسط البطاقات الخاصة بالبرنامج أمامه، عندما فشل في العثور على سؤالٍ جديد سأل أيوب أبو الوفا:

- د. أيوب، المعلقون على حلقتنا على (**فيس بوك**) يسألونك سؤالًا أتفق معهم بشأنِه بعض الشيء، كيف تنفي كل هذا التطور التكنولوجي في مجال الفضاء؟

ابتسم أيوب أبو الوفا وقد أدرك أن عمر الديب يحاول إعادة تدوير الأسئلة السابقة وقد فرغت جعبته، أجابه قائلًا:

- أستاذ عمر، لماذا لا نرى هذا التقدم التكنولوجي على الأرض؟
- كيف لا نراه؟
- أعني أن تلك التكنولوجيا العظيمة التي يزعمونها تنجح في الوصول لأقاصي المجموعة الشمسية المزعومة مسيِّرين مسابير ومكوكات لا تتجمد ولا تصطدم بكويكبات أو

أجرام سماوية، بل وتنجح في إرسال إشاراتها عبر فراغ الفضاء المزعوم عبر كل هذه المسافات التي تُقاس بالسنين الضوئية في حين تفشل أنت أحيانًا في التقاط إشارة شبكات الهاتف المحمول!، في ذات الوقت لدينا كرة أرضية كما يزعمون نصف قطرها ٦٣٧١ كيلومتر، ولكن الإنسان بتقدمه العلمي المبهر وصل فقط لـ ١٢٫٣ كيلو متر كأعمق نقطة في باطن الأرض!، كيف استطاع تصميم ملابس قادرة على تحمل كل الظروف المحيطة في الفضاء وعجز عن تصميم الملابس اللازمة ليهبط لأعمق نقطةٍ في قاع المحيطات!، الأرض ها هنا أمام أعيننا ويمكننا أن نشاهد ونرصد ونصدق أقوالهم، فليحفروا إذًا حفرة عميقة تصل للب الأرض لندرسه عن قرب، لنتفرغ لدراسة ما تحت أقدامنا بدلًا من خداع الجميع بأننا ندرس ما فوقنا، تلك حجة الطالب الفاشل الذي يوهم أباه أنه يذاكر الفيزياء كي لا يكتشف الأب مدرس اللغة العربية فشل ابنه!



لم يكن مقدَّرا أن يُذاع الاجتماع على الهواء مباشرةً على الرغم من إصرار المشاركين على إذاعته وتهديداتهم بالانسحاب، ولكن القرار كان لا رجعة فيه، بعض الحكماء في البيت الأبيض تخوفوا من ردود أفعال الرئيس الأمريكي غير المنضبطة التي قد تفلت منه فتكون فضيحة للبيت الأبيض يشهدها العالم أجمع.

أنصار الأرض المسطحة يُمثلهم خليطٌ من الممثلين والعلماء والرياضيين جميعهم من الأمريكيين المشاهير، في حين جمع الرئيس الأمريكي إلى جانبه الرؤساء السابقين للولايات المتحدة ومسئولين من ناسا ووزارة الدفاع وبعض المشاهير القريبين من السلطة.

بدا التحفز على وجوه الجميع، الرئيس الأمريكي بتصرفاته غير المنضبطة لم يصافح ضيوفه ورسم على وجههِ ازدراءً للجميع، لم يتكبد عناء محاولة إخفاء شعوره وراء قناع الدبلوماسية عكس

الرؤساء السابقين البارعين في السيطرة على مشاعرهم ورسم ابتسامة دبلوماسية أنيقة على وجوههم رغم توترهم الداخلي البالغ.

احتدم النقاش بين الطرفين أكثر من مرة، الحكماء من الطرفين نجحوا في تهدئة الأجواء في كل مرةٍ تتصاعد فيها حدة النقاش، الرئيس الأمريكي كاد أن يُفشِل الاجتماع أكثر من مرة باندفاعه، ديكتاتور هو متعجرف لا يقبل أن يعارضه أحد، لو لم يكن رئيسًا للبلاد لجمعهم ووضعهم في أفرانٍ ضخمة ولأوقد عليهم النيران وما حرك صراخهم وعويلهم أيةِ ذرة تعاطف في قلبهِ متبلد الإحساس، ولحمل الرماد المتبقي منهم ليرسله إلى الفضاء ناثرًا إياه فوق سطح القمر.

أضاع الرئيس الأمريكي الكثير من الوقت في تقريع الطرف الآخر ومحاولة تحميلهم مسئولية التدهور الاقتصادي والسياسي والأمني الأسوأ في تاريخ الولايات المتحدة، اختلف الطرفان على من تقع مسئولية هذه الفوضى، هل من يُصِّرُ على إخفاء الحقائق ويريق الدماء في سبيل ذلك، أم الطرف الآخر الذي يُصِّرُ على أن هناك حقائقًا مُخفاه ولا ضير من كشفها للجميع ليعم السلام أرجاء العالم مرة ثانية!

ـ تبًا لكم، أنا لا أعرف ماذا تريدون بالضبط؟

صرخ فيهم كالمجنون ضاربا بكلتي قبضتيه منضدة الاجتماعات أمامه بكل قوته، وجهه المحتقن بالدماء ضجرًا والرزاز المتطاير من فمِ أثناء صراخه ونظرات عينينه التي يتطاير

منهما شرر غضبه تكاد تحرقهم جميعًا وتُحولهم إلى رمادٍ خلفوا دقيقة من الصمت المطبق على المكان، إن تمخطت نملة – إن كان بإمكانها التمخط ـ في أول القاعة لسُمِعَ صوت تمخطها في آخرِ القاعة دون عناء، أجابه الممثل الشهير الكهل ذو البشرة السمراء بصوتهِ الهادىء المميز ليُضاعِف من استفزازه كاسرًا حالة الصمت:

ـ نريد الحقيقة.

ـ أية حقيقة لعينة تريدونها؟.. ألا تكفيكم صور ناسا؟

ـ هي مجرد CGI.

ـ وما هو CGI اللعين؟

ـ صور تم صُنعها بواسطة الكمبيوتر Computer Generated Images، سيدي.

ـ والفيديوهات التي يتم بثها من محطة الفضاء الدولية؟

انطلقت في قاعة الاجتماعات ضحكة رقيعة مجلجلة من الممثلة الشقراء الشهيرة قائلة دون أن تتوقف عن ضحكاتها:

ـ سيدي الرئيس، يبدو أن انشغالك بشئون الرئاسة لم يعطك الفرصة لتشاهد فيلمي الشهير وأنا أتراقص في فراغ الفضاء دون تأثير الجاذبية، الحلة الفضائية التي كنت أرتديها حالت دون انكشاف مؤخرتي للمشاهدين

وقت تراقصي، مخرجي هوليود أصدقائي بالغي البراعة في صناعة هذه الأفلام.

ـ أيمكنني التحدث سيدي الرئيس؟

تنحنح أحد المسئولين بناسا طالبًا الإذن بالحديث، أشاح الرئيس بيده بوقاحته المعهودة سامحًا له أن يتحدث وقد سئم الجدال مع هؤلاء الذين يراهم مجرد حفنة من المخابيل.

ـ يمكنكم إرسال أي شيءٍ تختارونه بأنفسكم لمحطة الفضاء الدولية، أو التحدث في بثٍ مباشر مع فريقنا هناك.

ـ تبًا لك، هم ـ أيها الأحمق ـ لا يؤمنون بوجود محطة فضاء دولية من الأساس!

نهره غاضبًا رئيس الولايات المتحدة فابتلع الرجل لسانه ونكّس رأسه ناظرًا لموضع قدميه لائمًا نفسه على تطوعه بالحديث التي تسببت في تقريعه وإهانته بهذا الشكل البالغ أمام الجميع، لولا آلاف الدولارات التي يتقاضاها لغادر الاجتماع حفظًا لماء وجهه.

ـ الرئيس بدأ يفهمنا، عرضتم ما لديكم، وسنعرض عليكم مطلبنا الوحيد الذي اتفقنا عليه.

تحدث الممثل الكهل ذو البشرة السمراء بهدوء وثقة أجبرت الجميع على الصمت والإنصات لما يقوله.

ـ أعزائي المشاهدين والمشاهدات، معنا اتصال هاتفي من الدكتورة سندس الليثي، زوجة المهندس شريف النجار الذي قُتِلَ في الولايات المتحدة واتهمت زوجته ناسا والولايات المتحدة بالوقوف وراء حادثة مقتله، د. سندس مساء الخير.

ـ مساء الخير، أستاذ عمر، وأتوجه بالتحية لك وللأستاذ وائل ود. أيوب على هذه الحلقة الرائعة.

أتى صوت سندس الليثي واثقًا على الطرف الآخر، حدَّثها وائل البدراوي قائلًا:

ـ د. سندس، طالبتي بعمل مداخلة، هل هناك جديد؟

ـ أستاذ وائل، ليس لدي تعليقًا على ما قيل خلال الحلقة، فلا يُفتَي ود. أيوب في المدينة، ولكن أحب أن أوجه رسالة لقتلة زوجي رحمه الله.

ـ د. سندس، كلماتك أثارت قلقي.

ـ لا داعي للقلق، هم قد زاروني بمنزل أبي متخفين في هيئة مراسلين لصحيفة وهمية تصدر في الولايات المتحدة، أنا واثقة كل الثقة أنهم إن كانوا قد عثروا لديَّ على ما أرادوا وواتتهم الظروف المناسبة لكنت الآن مع زوجي الراحل في الجنة.

استرسلت سندس الليثي تحكي لهم ما حدث بالتفصيل ثم قالت بلهجةٍ غاضبة محذرة:

ـ في المرة القادمة التي سيتخذون فيها قرار الاقتراب من منزلي لا أضمن لهم الخروج أحياء من المنطقة، هم في مصر وليس في الولايات المتحدة، وشعبنا الشهم لا يسمح بتكرار ما حدث هناك مرة ثانية.

ـ د. سندس، الحمد لله أن الأمر قد مر على خير، ولكني أتقدم بطلب عاجل لوزارة الداخلية المصرية بتوفير التأمين اللازم لزوجة المرحوم شريف النجار.



وقف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أمام الكاميرات في المؤتمر الصحفي الذي تلا الاجتماع وخلفه وقف جميع المشاركين.

دون عناءٍ توقع جميع المشاهدين للمؤتمر نتيجة الاجتماع وقد رأوا ابتسامات انتصار تعلوا وجوه أنصار الأرض المسطحة، وفي المقابل غضب عارم شكَّلَ وجه الرئيس الأمريكي واستياء بالغ على وجوه أنصاره.

- في هذه الأوقات العصيبة التي تمر بها الإنسانية، ومن منطلق حرص الولايات المتحدة الأمريكية على حفظ الاستقرار العالمي وإنهاء حالة الجدل القائمة، ورغبتنا الصادقة في القضاء على هذه الفتنة التي زرعها الشيطان بين البشر، قررت الرئاسة الأمريكية كما علمتم دعوة ممثلي تسطح الأرض للجلوس على مائدة الحوار.

توقف لوهلةٍ ونظر نظرة استخفاف على أنصار تسطح الأرض الواقفين خلفه الذين ردوا نظرة استخفافه بابتساماتِ ظفر ليزيدوا من حنقه البادي على وجهه.

ـ حاولنا من جانبنا طرح جميع الرؤى الممكنة لإنهاء حالة الجدل المثارة بلا داعي ولكنهم رفضوا جميع اقتراحاتنا قاطبة؛ ليخرجوا حلهم الذي اتفقوا عليه واعتقدوا أنه الوسيلة الوحيدة لإنهاء هذا الخلاف.

توقف لبرهةٍ ليسحب شهيقًا عميقًا محاولًا السيطرة على لسانه الذي يدفعه نحو توجيه السباب الفاحش لهم جميعًا ولن يراعي حينها حساسية منصبه، ثم تابع:

ـ اتسعت صدورنا لسماع الحل الذي ظنوا معه أنه الوحيد الذي سيحسم الخلاف، لقد أجمعوا على أن يمثلهم بعثة يختارونها بأنفسهم للوصول إلى محطة الفضاء الدولية ليخاطبوا الجميع بما يرونه بأم أعينهم.

ارتفت الهمهمات وسادت حالة من الهرج بين الحاضرين من مراسلي وسائل الإعلام حين قال جملته الأخيرة.

ـ الهدوء من فضلكم.

صاح بها الرئيس الأمريكي غاضبًا بهمجية لا تليق برئيس الولايات المتحدة فأصابهم جميعًا الخرس وابتلعوا ألسنتهم مرغمين ليتابع:

- خوفًا على سلامتهم كمواطنين أمريكيين في المقام الأول، ولأنهم غير مؤهلين لتلك الرحلة طالبناهم بأن يكون في هذه الرحلة طاقم مؤهل من جانبنا بدلًا منهم مع تقديم الضمانات الكاملة لكنهم رفضوا، وأننا نرى أنفسنا أمام خيار وحيد بأن نوافق على مطلبهم على مسئوليتهم الشخصية ونؤكد بأن حكومة الولايات المتحدة غير مسئولة على الإطلاق عن أي أضرارٍ صحية أو جسدية قد تلحق بهم لظروف الرحلة القاسية.
- هل تم الاتفاق على موعد الإطلاق؟

تجرأ أحد المراسلين المتحمسين وامتلك قدرًا كبيرًا من الشجاعة ليقاطع الرئيس الأمريكي الغاضب بسؤالهِ فأجابه غاضبًا:

- نحن طلبنا مهلة ستة أشهر حتى نستعد ولكنهم رفضوا، بعد مفاوضاتٍ مضنية تم الاتفاق على أن يكون يوم الإطلاق هو آخر أيام الشهر الحالي؛ بعد عشرين يومًا من الآن على أن تتولى ناسا تدريبهم وإعدادهم في تلك الفترة القصيرة وغير الكافية.
- ولكن البعثات ذهابًا وإيابًا مستمرة بين الأرض ومحطة الفضاء الدولية ولا تحتاج لاستعداداتٍ خاصة بالفعل تتطلب الستة أشهر.

قاطعه في اعتراضٍ أحد المراسلين من الحضور فأنهى الرئيس الأمريكي الغاضب حديثه وأطاح بمجموعة المكيروفونات الموضوعة على منصة التحدث اعتراضًا منه على مقاطعته وانصرف وقد فقد القدرة على السيطرةِ على غضبه لوقتٍ آخر ليلحق به أنصاره ويلتف المراسلون حول الوفد السعيد بفرض شروطه والاستجابة لمطلبه.



في تلك اللحظات، لم يكن فوق الأرض من هو أكثر سعادة من سندس الليثي، واقفة وسط ميدان التحرير أمام الشاشات الضخمة المنصوبة في محيط الميدان وسط آلاف من المتظاهرين يترقبون نتائج الاجتماع الذي جمع الرئيس الأمريكي وحاشيته بأنصار الأرض المسطحة.

تقف محتضنة صغيرها ياسين الذي لا يدرك سر بكاء أمه المصاحب لسعادتها!، هو يعلم أن البكاء فقط من أثر عقاب أو نهر أو ضرب ويستهجن اقترانه بالسعادة البادية على وجه أمه.

وسط الميدان لم يكن أحد يعرفها أو يلتفت إليها، خلال الشهور الماضية بأحداثها الصاخبة نسيها الناس ونسوا قضيتها ونسوا مقتل زوجها شريف النجار الذي أُزهقت روحه ثمنًا لإثباته تسطح الأرض.

الجميع على اختلاف ثقافاتهم يعرفون أيوب أبو الوفا، رمز الثورة في كل بقاع الأرض رغم مرور شهورٍ على مقتله.

لم يكن نسيانهم لمقتل زوجها يغضبها وهي ترى القصاص لمقتلهِ آتيًا لا محالة في استجابةٍ من الله لدعواتها.



الثامن من يوليو الساعة الثانية ظهرًا.

عشرون يومًا مضت شهد العالم خلالها هدوءً نسبيًا، هدنة شهدت تراجعًا ملحوظًا في حدة الفوضى، عشرون يومًا من السلام سادت بلدان العالم، التقارير التي يصورها فريق البعثة طوال الوقت بثت الطمأنينة في نفوس الجميع، تدريباتهم المكثفة ومراحل إعدادهم كانت حديث جميع المهتمين حول العالم خلال الأيام الماضية.

يتقدمون بسيارةٍ مكشوفة ستحملهم إلى المكوك الفضائي الذي سيطير بهم لمحطة الفضاء الدولية، اثنان من الرياضيين من لاعبي كرة السلة وممثل زنجي ممشوق القوام اشتهر بقوامه الرياضي، كان ثلاثتهم هم الوفد الذي يُمثل أنصار تسطح الأرض الذين سيطيرون إلى محطة الفضاء الدولية ذهابًا وعودة، هم من

وقع عليهم اختيار أنصار الأرض المسطحة ليرافقهم ثلاثة من رواد الفضاء التابعين لناسا في رحلتهم.

رواد الفضاء التابعون لناسا تبدو على وجوههم إمارات الاستياء من انصباب تفكير مرافقيهم الثلاث في التحديق في الكاميرات المسلطة عليهم والتلويح لأنصارهم بدلًا من التفكير في المهمة الصعبة المقبلين عليها، الفريق المكون من ستة أفراد كانت تلك رحلته الأولى نحو محطة الفضاء الدولية.

الكاميرات تنقل للمشاهدين في كل دول العالم مشهد صعودهم في المصعد حتى وصولهم لكبسولة المكوك.

هيوستن هي محط أنظار العالم أجمع!

شاشات عرض ضخمة نُصبت كالعادة في الميادين الكبرى في عواصم العالم ليتجمع جمهور عريض أمامها ليشهد هذه اللحظات الحاسمة في تاريخ الإنسانية.

تلك اللحظات الحاسمة ليس من الأفضل أن يشهدها الناس بين جدران منازلهم!

الرئيس الأمريكي جالس في قاعة مجاورة للمكتب البيضاوي يتابع ساخطًا لحظات إقلاع الصاروخ التالية، لا يكف لسانه البذيء عن ترديد السباب الفاحش لهؤلاء الحمقى الذين أوعزوا إليه بفكرة الاجتماع بهؤلاء القوم الذين يراهم مجرد حفنة من المخابيل وما تلى ذلك من إجباره على الانصياع لخبالهم.

الشاشات انقسمت إلى نصفين، نصف يعرض صورة الصاروخ الذي يستعد لرحلة تاريخية والنصف الآخر يعرض لحظات حية من مركز عمليات ناسا حيث يوجهون لروادهم التعليمات الأخيرة ويتأكدون من إجراءات السلامة اللازمة.

بدأ العد التنازلي إيذانًا بانطلاق الصاروخ نحو السماء وسط ترقب من الجميع بأعصابٍ مشدودة.

ـ انفينيتي، هل أنت جاهز للإنطلاق؟

تحدثت المرأة الشقراء من غرفة العمليات.

ـ تم إجراء الفحص، كل شيءٍ على ما يرام، كريستين، الطاقم بالكامل مستعد للإقلاع.

تحدث قائد الصاروخ ليأتي صوته وسط القليل من التشويش وكأنه أحد أمناء الشرطة في ميدان الأميرية يتحدث عبر اللاسلكي!

ـ انفينيتي، الكمبيوتر سوف ينقلكم الآن إلى العد التنازلي النهائي للتأكيد.

ـ حسنًا، كريستين، ليوفقنا الرب في رحلتنا.

ـ انفصال المصعد سيتم الآن عن المكوك.

ـ كرستين، هل تقبلين دعوتي على العشاء الليلة؟

كان هذا هو الممثل الذي اعتقد أن القليل من التظرف لن يضر أحدًا قبل أن يتحرك الصاروخ من مكانه!

«تسعة، ثمانية، سبعة، ستة، الآن تبدأ المحركات الرئيسية في العمل»

بدأت محركات الصاروخ في العمل، الدخان يملأ المكان الشاسع المحيط بالصاروخ لتنفصل عنه منصات الإطلاق المحيطة به.

«ثلاثة،اثنان، واحد..»

انطلق الصاروخ وسط هتافات وتهليل في غرفة عمليات ناسا ابتهاجًا بنجاح الإطلاق، احتفالات في الشوارع والميادين والمنازل وصيحات ابتهاج ودموع فرح وهم يرون حلمهم يقترب من التحقيق.

استمر الصاروخ في ارتفاعه والمعلقين الصوتيين ينقلون بكل لغات العالم تلك اللحظات الاستثنائية في تاريخ الإنسانية ولا أحد يلتفت إلي تعليقاتهم.

الكاميرات تحاول تقريب صورة الصاروخ الآخذ في الانكماش مع ارتفاعِه نحو السماء، يستمر في ارتفاعه ساحبًا معه أنظار المتابعين، فجأة عم صمت كئيب على جميع بقاع الأرض!

انفجر الصاروخ!

ذهول سيطر على جميع المتابعين وهم يرون بالكاد الشظايا تتناثر في الهواء، بدا الأمر كأنفجار ألعاب نارية فوق سرادق عزاء!

ذهول أخذ الجميع لوهلةٍ غير قادرين على استيعاب الصدمة قبل أن يستغرفوا في بكاءٍ وغضبٍ وسباب، غضب هادر ينذر بثورة جديدة لن تبقِي ولن تذر، ثورة قد تقود العالم لحرب عالمية ثالثة وشيكة، حرب قد تكون الأخيرة في تاريخ الإنسانية!



أيوب أبو الوفا وقد جاوز الستين من عمره كان كومة من العظام المتحركة التي يبقيها الجلد وقليل من اللحم مترابطة، أي طفل صغير كان بإمكانه أن يُسقطه أرضًا بقليلٍ من العنف؛ هو كان يعلم ذلك تمامًا، لم يكن يتخيل يومًا أن الأدرينالين الذي تفجرت ينابيعه في دمائه بقادر على أن يمده بمثل تلك القوة التي أحالته شابًا في العشرين من عمره وهو يقاوم هذين الملثمين الذين وجدهما أمام باب شقته قبيل مقتله.

لم يصرخ ولم يستنجد بأحد، تلك أفعال تحتاج للكثير من الوقت الذي لم يكن يمتلكه، كان أمام خيارين لا ثالث لهما؛ أن يستنجد ويستغيث أو أن يقاوم، واختار الخيار الأخير، غريزة البقاء سيطرت عليه دافعةً إياه للتشبث بالحياة، دفعته للمقاومة بقوةٍ لم يكن يتوقعها مهاجماه اللعينان ولم يكن يتوقعها هو أيضًا، لم يرَ في أعينهما إلا شرًا خالصًا يتقاطر منها.

لم تخر قواه ولم تفتر مقاومته، ولكن كان يحتاج الكثير من القوة للتغلب عليهما، لم تفلح قبضته الواهنة رغم أدرينالينه الذي يصب صبًا في دمائه في دفعهما عنه وإن نجحت في إسقاط أحدهما فوق المنضدة بالصالة ليهشمها، رغم قوة تشبثه بستائر الشرفة إلا أن الستائر لم تكن مثبتة بالقدر الكافي الذي لا يخذله في معركتهِ الأخيرة، لم تصمم تلك الستائر للتشبث في مواجهة قاتلين محترفين!

أدرك فشله حين رفعاه فوق سور الشرفة وهو ينظر لوجه أحدهما وقد سقط لثامه، رأى برودًا أذهله وكأن القتل عادة يومية لدى قاتله لا يجد فيه إثمًا ولا يُحدِث أي تأنيبٍ لضميره إن وُجِدَ لديه ضمير!

قيل أن الإنسان يُعرض شريط حياته أمام عينيه وسط سكرات الموت، لم يعد أحدهم من الموت ليخبرنا بصحة الأمر، ولكن أيوب أبو الوفا خلال رحلته من الشرفة حتى ارتطم بالأرض تأكد من الأمر ولم يمتلك وقتًا ليخبر الجميع بصحته!

قطع المسافة ما بين شرفته والأرض في بضعِ سنين!، رأى فيها لهوه في قريته وسط أقرانه في الحقول، رأى نبوغَه العلمي وإشادات نالها خلال سنوات دراسته، رأى مكوثه بالمدينة الجامعية بالقاهرة بمعدةٍ خاوية وملابس رثة، رأى حبه لأميمة وحبها له والذي ظن أنه سيخلد، ورأى ابتسامتها اللزجة وهي تتأبط ذراع مختار وفيق الذي سرقها منه وقد ظنت أنها قد نالت الدنيا وما فيها، رأى

وحدته وعزلته وبؤسه في غربته، رأى سنوات قضاها سرًا مع رفاقه من أنصار الأرض المسطحة، رأى وجه شريف النجار الذي اعتبره ابنًا لا صديقًا.

خلال السنوات التي قضاها في قطع المسافة ما بين شرفته والأرض دارت آلاف التساؤلات في عقله، تساؤلات زعزعت إيمانه ـ الذي ظنه ثابتًا راسخًا كالجبال – بتسطح الأرض، هو يشعر بجسدهِ يتسارع أثناء سقوطه، يخشى أن تكون تلك الوساوس من همزات الشيطان الرجيم في سكرات موته القادم، يخشى أن تكون الجاذبية الأرضية قد قررت الانتقام منه بنفسها لتثبت له وجودها، لن ينفع نفسه إيمانها في هذه اللحظات، يخشى أن يكون كل ما مر من عمره قد قضاه في خداع، يخشى تهدم كل تلك النظريات التي آمن بها بعد اطمئنان قلبه نتيجة تجارب أجراها بيده.

قبل سنتيمترات قليلة من ارتطامه بالأرض عُرِضَ المشهد الأخير في شريط حياته أمام عينيه، كانت نظرات قاتله التي رماه بها هي آخر ما رأت عينيه فآمن أنه لم ينخدع وأن حياته التي سيفقدها في التو لن يفقدها هباءً، حينها فقط ابتسم لمرةٍ أخيرة، ابتسامة لتجدد الإيمان في قلبهِ انتصارًا على سكرات موته الآتية، ابتسامة لم يقدر لقاتليه أن يروها لتؤرق منامهم لسنينٍ طوال، ابتسامة ما لبثت أن اختفت ما إن ارتطم جسده بالأرضٍ لتتفجر الدماء من رأسِ قبل أن يُدرك أن روحه قد غادرت جسده.



وقف أمام الكاميرات مزدردًا لعابه مكفهرَ الوجه يكاد أن يقتله التوتر، متضائلًا منكمشًا كفأرٍ محاصر يسجل كلماته الأخيرة من مكتبه البيضاوي قبل تنحيه عن رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، أصبح الرئيس الثاني في تاريخ الولايات المتحدة الذي يتنحى عن الرئاسة قبل إكمال فترة رئاسته، الرئيس الثاني بعد ريتشارد نيكسون الذي شاءت الأقدار أن يكون تنحيه بسبب فضيحة هو الآخر وهي فضيحة ووتر جيت، ريتشارد نيكسون – ويا للمصادفة ـ صاحب الاتصال التاريخي المزعوم من مكتبه البيضاوي مع نيل ارمسترونج!

«**تنعي الولايات المتحدة الأمريكية ببالغ الأسى الضحايا الذين فقدتهم الإنسانية في بعثة البارحة، بعثة «إينفينيتي»**، والتي أعادت لأذهاننا ذكريات أليمة سابقة حين فقدنا رجالنا في كارثة تشالينجر.

غصة سدت حلقه فابتلعها بصوتٍ واضح سمعه جميع المشاهدين، بحركةٍ لا إرادية لفتت أنظار الجميع؛ مسح بمنديلٍ قطرات العرق المتكاثفة فوق جبهته قبل أن يكمل:

«**ليتذكر الجميع أنني سبق أن حذرت من خطورة التسرع في إطلاق هذه الرحلة، هذا العطب الذي أصاب محركات الدفع الصاروخي لا علاقة له بقبة سماوية أو ما شابه مثلما يروج البعض، ووجب التأكيد بأنه سيتم محاسبة المسئولين وتقديمهم لمحاكمةٍ عادلة عاجلة..**»

جزء من الحلقة

- قبل أن نختتم حلقتنا، أود أن أشكر السادة المشاهدين على وقتهم الذي قضوه معنا من الساعة السادسة حتى منتصف الليل، وأشكر صديقي عمر الديب وطاقم الإخراج والتصوير، وكذلك ضيفنا الكريم أ.د. أيوب أبو الوفا أستاذ الفيزياء السابق بجامعة بيركيلي بالولايات المتحدة الأمريكية، د. أيوب أبو الوفا، معك الكلمة لتوجه رسالة لصديقك شريف النجار.
- شريف النجار ضحَّى بحياته من أجل إيصال الحقيقة إلى العالم، لو وصل إلينا ما توصل إليه من داخل ناسا ما كان الوضع كما هو الآن، الأوغاد لم يعطوه الفرصة ليفعل ذلك، هم لن يضحوا بمكتسباتهم مهما كان الثمن، وشريف النجار لم يكن المضحِي الأول ولن

يكون الأخير، أفتقدك يا صديقي طاهر الروح، وأتمنى أن يكون لقاؤنا قريبًا.

ـ أعزائي المشاهدين والمشاهدات، تصبحون على خير.



هزت الصغيرة ديمة أمها برفقٍ من كتفها لتوقظها وقد استغرقت في غفوةٍ طالت، فتحت ريم عينيها بمشقةٍ بالغة وتلفتت حولها محاولة إدراك ماذا كان يجري قبل غفوتها.

ـ كم الساعة الآن؟.. هل أتى أبوك؟

ارتجت الأرض من أثر قذيفةٍ سقطت في شارعٍ بعيد؛ فاحتضنت ريم ابنتها الراجفة أملًا في طمأنتها.

ـ لا يا ريم، يبدو أنه سيبيت في الخارج.

ـ البهائم لن يوقفوا القصف حتى الصباح.

ـ راقبي ألفاظك يا ريم، هل انتهت الرواية؟

نظرت الأم بعين نصف غافية نحو سقف الغرفة محاولة تذكر أين توقفت.

ـ نعم يا دودو.

ـ أنا لم أفهم شيئًا، هل الأرض مسطحة إذًا أم كروية؟

نظرت الأم نحو النافذة المطلية بالأزرق وسرحت متذكرة سنين مضت، تنهدت في حزنٍ قائلة:

ـ لم نعرف بعد، ربما نعرف حين تنتهي الفوضى.











